

..... :

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ. ق

المركز الإسلامي للدراسات

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء العشرون

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

..... :

الفصل الثاني:

معركة مؤتة

المسلمون في مؤتة:

قالوا: ولما فصل المسلمون من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فتجمعوا لهم، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو، فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه^(١).

فلما نزل المسلمون وادي القرى، بعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين من المشركين، فاقتتلوا. وانكشف أصحاب سدوس، وقد قتل، فشخص أخوه - وعند الواقدي: «وخاف شرحبيل بن عمرو، ودخل حصناً فتحصن، وبعث أخاً له يقال له: وبر بن عمرو»^(٢) - إلى هرقل يستمده، فبعث هرقل زهاء مائتي ألف^(٣).

(١) راجع: الروض الأنف ج ٤ ص ١٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٦ و ٦٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٢٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٣.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧١ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ والبحار ج ٢١ ص ٦١ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧١.

المسلمون في مواجهة هرقل:

ومضى المسلمون حتى نزلوا مُعان من أرض الشام. وبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم مائة ألف أخرى من لَحْم وجُذام، وبكر ووائل، وقبائل قضاعة من بلقين، وبهراء، ويليّ، عليهم رجل من بليّ، ثم أحد بني إراشة، يقال له: مالك بن رافلة.

وقيل: كانوا مائتي ألف من الروم وخمسين ألفاً من قبائل العرب المنتصرة، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فنخبره بكثرة عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له. فشجع الناس عبد الله بن رواحة، فقال: «يا قوم، والله، إن التي تكرهون، للتي خرجتم تطلبون: الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة، ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور، وإما شهادة، وليست بشرّ المنزلتين». فقال الناس: صدق والله ابن رواحة^(١).

(١) أسد الغابة ج ٣ ص ١٥٨ وعن إعلام الوری ج ١ ص ٢١٢ و ٢١٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٧ و ٨٣ وج ٢٨ ص ١٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٦٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣١ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٨ وسبل الهدى =

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء، يقال لها: مشارف^(١).

في المواجهة:

ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة. فالتقى الناس عندها، فتعباً لهم المسلمون^(٢).

وروى أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن القُرَّاب في تاريخه، عن بردع بن زيد، قال: قدم علينا وفد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مؤتة، وعليهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وخرج معهم

= والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٨٧ وراجع: النص والإجتهد ص ٣٠ والدرر لابن عبد البر ص ٢٠٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٧ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٢٣٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤١.

(١) تنسب إليها السيوف المشرفية، حيث يقال: إنها طبعت لسليمان «عليه السلام» بها. راجع: مجمع البلدان ج ٥ ص ١٣١ و ٢٢٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ والبحار ج ٢١ ص ٥٦ وإعلام الوری ج ١ ص ٢١٣.

(٢) راجع: مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٨ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨.

.....
منا عشرة إلى مؤتة، يقاتلون معهم. قد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» نهاهم أن يأتوا، فركبت القوم ضبابية، فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة.

وروى محمد بن عمر، عن أبي هريرة قال: «شهدت مؤتة، فلما دنا العدو منا رأينا ما لا قبل لأحد به من العدد والعُدَد، والسلاح والكرّاع، والديباج والحرير، والذهب، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة.

قلت: نعم.

قال: إنك لم تشهد معنا بدرًا، إنّنا لم ننصر بالكثرة^(١).

قال ابن إسحاق: وتعباً المسلمون للمشركين، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من عذرة، يقال له: قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عباية بن مالك.

[قال ابن هشام]: ويقال له: عبادة بن مالك^(٢).

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٧ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٤ وج ١١ ص ١٠٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٨٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦١ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ والبحار ج ٢١ ص ٦١ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٧ والإصابة ج ١ ص ٥٠٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٩ و ٧٦٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٦ و ٦٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦١ والبحار ج ٢١ ص ٥٥ و ٥٦ و ٧١ ومقاتل الطالبين ص ٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٩ والمعجم الكبير ج ٥ ص ٨٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦ ص ٤٦٢ وج ٤٩ ص ٣٣٦ وعن أسد الغابة =

استشهاد القادة:

قال ابن عقبة، وابن إسحاق، ومحمد بن عمر: ثم التقى الناس، واقتتلوا قتالاً شديداً.

فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى شاط في رماح القوم.

ثم أخذها جعفر بن أبي طالب، فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فعرقبها. ثم قاتل القوم حتى قتل.

فكان جعفر أول رجل من المسلمين عرقب فرساً له في سبيل الله^(١). وروى ابن إسحاق، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي، وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في غزوة مؤتة، قال: والله، لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى قتل، وهو يقول:

= ج ٣ ص ١١٤ وعن الإصابة ج ٥ ص ٣٤٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧١ والبحار ج ٢١ ص ٥٠ و ٥١ و ٥٤ و ٦١ و ٦٢ وعن أمالي الطوسي ص ٨٧ و ٨٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٩ ومقاتل الطالبين ص ٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٣.

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شراها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لاقيتها ضراها

وهذا الحديث رواه أبو داود من طريق ابن اسحاق، ولم يذكر الشعر^(١).
وفي حديث أبي عامر عند ابن سعد: أن جعفرأ «رحمه الله» تعالى لبس
السلاح، ثم حمل على القوم، حتى إذا هم أن يخالطهم رجع فوَحَّش بالسلاح،
ثم حمل على العدو، وطاعن حتى قتل.
قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم: أن جعفر بن أبي
طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه
بعضديه حتى قتل «رحمه الله» تعالى، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. فأثابه الله
بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ ومجمع الزوائد
ج٦ ص١٥٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٣ والبداية والنهاية ج٤
ص٢٧٨ و٢٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦١ وسنن أبي داود ج١
ص٥٨٠ وراجع: مقاتل الطالبين ص٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٨٧
وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ والمنتخب من ذيل المذيل ص٢ وذخائر
العقبى ص٢١٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٥٧٧ وج٧ ص٧٣١ والمعجم
الكبير ج٢ ص١٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٨٨ وج٧٠ ص٢٧١
وتهذيب التهذيب ج٢ ص٨٤ والإصابة ج١ ص٥٩٣ وسير أعلام النبلاء ج١
ص٢٠٩ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٨ وأسد الغابة ج١ ص٢٨٨ والطبقات
الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٧ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص٢٥.

..... :
ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين^(١).
وقيل: وقع أحد نصفيه في كرم، فوجد في نصفه ثلاثون أو بضعة
وثلاثون جراحاً^(٢).

جراحات جعفر:

روى الذهبي: عن أسامة بن زيد الليثي، عن نافع: أن ابن عمر قال:
جمعت جعفرًا على صدري يوم مؤتة، فوجدت في مقدم جسده بضعة
وأربعين من بين ضربة وطعنة^(٣).
وعن نافع، عن ابن عمر أيضاً: «أنه وقف على جعفر يومئذ، وهو
قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها - أو قال فيها - شيء في

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧١ والبحار ج ٢١
ص ٦١ عن المعتزلي، وراجع: الطبقات لابن سعد ج ٤ ص ٣٨ و البداية والنهاية ج ٤
ص ٢٧٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٣ والمستدرك للحاكم ج ٣
ص ٢٠٨ والبحار ج ٢١ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٢.
(٢) المنتخب من ذيل المذيل ص ٣ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٢٠٨ والطبقات
الكبرى ج ٤ ص ٣٨ والبحار ج ٢١ ص ٦١ وراجع: سير أعلام النبلاء ج ١
ص ٢١٠ و البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٢.
(٣) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٠ وقال في هامشه: إسناده حسن. وأخرجه
البخاري (٤٢٦٠) في المغازي: باب غزوة مؤتة من طريق ابن وهب، عن عمرو،
عن ابن أبي هلال قال: وأخبرني نافع: أن ابن عمر أخبره: أنه وقف على جعفر
يومئذ وهو قتيل. فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره -
يعني ظهره.

دبره»^(١).

وعن أبي جعفر «عليه السلام»: «أصيب يومئذ جعفر، وبه خمسون جراحاً، خمس وعشرون منها في وجهه»^(٢).

وروى البخاري، والبيهقي، عن عبد الله بن عمر قال: «كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعا وستين من طعنة ورمية»^(٣).

وعن نافع، عن ابن عمر: أنه كان يأتي عبد الله بن جعفر، فقال له الناس: إنك تكثر إتيان عبد الله بن جعفر.

فقال ابن عمر: لو رأيتم أباه، أحببتم هذا. وجد فيما بين قرنه إلى قدمه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٧ و ١٤٩ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٦، وعن سنن سعيد بن منصور، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧١ والبحار ج ٢١ ص ٥٨ عن جامع الأصول، والعمدة لابن البطريق ص ٤٠٨ وعن فتح الباري (المقدمة) ص ٢١٨ وج ٧ ص ٣٩٤ والمعجم الكبير ج ٢ ص ١٠٧ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٤.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٥٦ عن إعلام الوري ص ١١٠ و ١١١ وعن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٧ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٢١٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٩ و ١٥٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦١ وراجع: الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٨ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٥٤٨ والعمدة لابن البطريق ص ٤٠٨ وذخائر العقبى ص ٢١٨ والبحار ج ٢١ ص ٥٨ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٧ وتهذيب الكمال ح ٥ ص ٥٤ ومعجم ما استعجم ج ٤ ص ١١٧٢ وراجع: الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٨.

سبعون بين ضربة سيف وطعنة برمح^(١).
وفي نص آخر عنه أيضاً: وجد فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه
اثنان وسبعون ضربة بسيف، أو طعنة برمح^(٢).
وقيل: وجدوا في إحدى شقيه بضعة وثمانين جرحاً^(٣)، وفيما أقبل من
بدنه اثنين وسبعين ضربة بسيف، وطعنة برمح^(٤).
وعن ابن عمر أيضاً: وجدنا فيما بين صدر جعفر ومنكبيه، وما أقبل
منه تسعين جراحة، ما بين ضربة بالسيف، وطعنة بالرمح^(٥).
وعن ابن عمر قال: «التمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى،
في جسده (نيفاً) بضعا وتسعين من طعنة ورمية»^(٦).

-
- (١) تاريخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٢٦٢ وعن تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة
٦١ - ٨٠) ص ٤٣٠ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٥٨ و ٤٥٩ وتهذيب الكمال
ج ١٤ ص ٣٧١.
- (٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦١ وراجع: البحار ج ٢١ ص ٦١ والطبقات الكبرى ج ٢
ص ١٢٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٧ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٩.
- (٣) راجع: النص والإجتهد ص ٢٩ وعن الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٣٦ وتاريخ
الخميس ج ٢ ص ٧١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٧٨.
- (٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٨.
- (٥) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧١ والطبقات الكبرى ج ٤
ص ٣٨ وعن الإحتجاج ج ١ هامش ص ١٧٢ والدرجات الرفيعة ص ٧٥
والبحار ج ٢٢ ص ٢٧٦ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٨.
- (٦) المعجم الكبير ج ٢ ص ١٠٧ وكنت العمال ج ١٠ ص ٥٦١ وعن صحيح البخاري ج ٥
ص ٨٧ والبحار ج ٢١ ص ٥٨ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٤ وقال في هامشه: =

وفي نص آخر: فقدنا جعفر بن أبي طالب. طلبناه في القتلى، فوجدناه
وبه طعنة ورمية بضع وتسعون فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده^(١).
وقال ابن عمر: وكنت معهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفرًا، فوجدنا
فيما أقبل من جسمه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية.
وروى ابن كثير: أنه لما قتل، وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة
بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر،
وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء، فلما فقدهما
احتضنه حتى قتل وهو كذلك^(٢).

وعن الفيروزآبادي: فوجد فيما أقبل من جسده تسعون ضربة ما بين
طعنة برمح وضربة بسيف^(٣).

= أخرجه البخاري ج ٥ ص ١٨٢ في المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام،
وأبو نعيم في الحلية ج ١ ص ١١٧ والحاكم ج ٣ ص ٢١٢ وابن سعد ج ٤ ص ٣٨
وراجع: شرح الأخبار ج ٣ ص ٥٤٨ والعمدة لابن البطريق ص ٤٠٨ وذخائر
العقبى ص ٢١٨ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٤ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٠
ومعجم ما استعجم ج ١ ص ١١٧٢.

(١) الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٨ وذكر عن الفضل بن دكين: تسعين ضربة بين طعنة
برمح وضربة بسيف، وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٥٠ وسير أعلام
النبلاء ج ١ ص ٢١٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٨.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٨٣.

(٣) البحار ج ٦٩ ص ١٢٤ و ١٢٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ٦٨٥ وراجع:
مسند أبي حنيفة ص ٥٢٩.

.....
:
وذكر ابن الأثير: أنه لما قتل جعفر وجد به بضع وسبعون جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح كلها فيما أقبل من بدنه.
وقيل: بضع وخمسون، والأول أصح^(١).
فظهر ذلك التخالف. أي أن التخالف بين الروايات أصبح ظاهراً وواضحاً.

كيفية الجمع بين الروايات:

قال الحافظ: ويجمع بأن العدد قد لا يكون له مفهوم، أو بأن الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمي السهام، فإن ذلك لم يذكر في الرواية الأولى، أو الخمسين مقيدة بكونها ليس فيها شيء في دبره أي ظهره، فقد يكون الباقي في بقية جسده، ولا يستلزم ذلك أنه ولى دبره، وإنما هو محمول على أن الرمي جاء من جهة قفاه أو جانبيه، ولكن يريد الأول: أن في رواية العمري عن نافع: فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده، بعد أن ذكر العدد بضعاً وتسعين^(٢).
ووقع في رواية البيهقي في الدلائل بضع وسبعون - بتقديم السين على الموحدة - وأشار أن بضعاً وتسعين بتقديم الفوقية على السين أثبت^(٣).

طليعة شرحبيل:

ذكرت الروايات المتقدمة: أن شرحبيل بن عمرو الغساني قد جمع مائة ألف.

(١) أسد الغابة ج ١ ص ٢٨٨ وراجع: صحيح ابن حبان ج ١١ ص ٤٥.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٥٨ عن جامع الأصول.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٧ و ١٥٨ عن صحيح البخاري، وراجع: الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٨.

ولكنها تعود لتقول: إنه لما نزل المسلمون وادي القرى أرسل شرحبيل أخاه في خمسين رجلاً، فاقتتلوا، ثم انكشف المشركون وقد قتل أخوه سدوس..

ثم تذكر: أن شرحبيل هذا قد خاف، فدخل حصناً فتحصن فيه. ونقول:

إن هذه التصرفات لا تنسجم مع المنطق السليم، والعقل القويم، وذلك لما يلي:

١ - إن من يجمع مائة ألف مقاتل لا تكون طليعته خمسين رجلاً بحسب العادة، فإن المشركين الذين لا يجمعون ما يصل إلى عشر ما جمعه شرحبيل، تكون طليعتهم مائتي فارس في الحديبية^(١)، لمواجهة أقل من ألف وخمسة مائة مقاتل..

٢ - ما معنى أن يخاف شرحبيل من ثلاثة آلاف رجل حتى إنه ليدخل حصناً ويتحصن فيه، مع أن معه مائة ألف مقاتل؟!..

(١) راجع: نور الثقلين ج ١ ص ٥٤٣ وكنز الدقائق ج ٢ ص ٦٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣٥ وتفسير القمي ج ١ ص ١٥٠ وج ٢ ص ٣١٠ والبحار ج ٢٠ ص ٣٤٨ وج ٨٣ ص ١١٠ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٩١ والأم للشافعي ج ٧ ص ١٤٩ ومستدرک الوسائل ج ٦ ص ٥١٨ والنص والاجتهاد ص ١٦٥ والميزان (تفسير) ج ٥ ص ٦٤ وج ١٨ ص ٢٦٤ وعن فتح الباري ج ٥ ص ٢٤٣ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١١٤ وعن ابن سعد في الطبقات ج ٢ ص ٩٥ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٩١ وتفسير القمي ج ١ ص ١٥٠ وج ٢ ص ٣١٠.

٣ - وحين دخل شرحبيل الحصن، أين كان المائة ألف الذين جمعهم؟
هل دخلوا معه؟! أم تركهم في خارجه؟

وإذا كانوا دخلوا معه، فهل اتسع ذلك الحصن لهذه الأعداد الهائلة؟!
وإن كانوا قد بقوا في الخارج، كيف أقنعهم بصحة تصرفه هذا، وأن
يبقوا عرضة للخطر في العراء، ويبيت هو في داخل الحصن؟!
وهل رضوا منه به أم لم يرضوا؟

٤ - وعن أخيه سدوس نقول:
كيف تجرباً أخوه سدوس على الدخول في حرب ضد ثلاثة آلاف
مقاتل، مع أن الذين معه كانوا خمسين رجلاً فقط؟!
وإذا كان شرحبيل - وهو في مائة ألف مقاتل - لا يجرؤ على مواجهة
ثلاثة آلاف مقاتل، بل يُدْخِلُهُ خوفه منهم حصناً ليأمن على نفسه فيه،
فكيف يقدم سدوس على الدخول في حرب مع نفس هؤلاء الذين هرب
منهم أخوه الذي أرسله؟!!

وإذا كان باستطاعة الخمسين رجلاً - بمن فيهم سدوس - أن يفلتوا،
وينكشفوا وَيَسْلَمُوا حتى إنه لم ينقل أحد أن أحداً منهم قد أصيب ولو
بجراحة، فلماذا لم يفلت سدوس نفسه أيضاً؟!!

٥ - ولست أدري كيف استطاع شرحبيل أن يجمع مائة ألف مقاتل
بهذه السرعة الفائقة. أي من حين بدأ المسلمون مسيرهم نحوهم، وإلى حين
وصولهم؟! هل كانوا مجتمعين في منطقة واحدة، فدعاهم، فأجابوه؟! أم أنه
قد جمعهم من مناطق متباعدة؟!!

إننا لم نعهد في منطقة مؤتة تجمعات كبيرة تستطيع أن تفرز مائة ألف

مقاتل بهذه السرعة..

٦ - على أن من يستطيع أن يجمع أكثر من مائة ألف بهذه السرعة، فلا بد أن يكون ذا نفوذ عظيم يضاهي نفوذ هرقل ملك الروم، ويستحق أن يجعله هرقل على بلاد الشام كلها، ولا يجعل سواه، لا الحارث بن أبي شمر الغساني، ولا غيره.

بل هو يستطيع أن يستقل عن هرقل نفسه، فهو ليس بحاجة إليه، فلماذا يأنف من أن يكون تابعاً له؟!

الأرقام عن عدد جيوش العدو:

نحن وإن كنا لا نريد أن نعطي رقماً مبالغاً فيه عن عدد جيوش العدو، غير أننا نشير إلى أن مراجعة النصوص المتقدمة تعطي الانطباع عن عدد جيوش العدو، وأنه كان أكثر من مائتي ألف، بل قد يصل إلى ضعف هذا العدد..

فقد تقدم: أن شرجيل جمع أكثر من مائة ألف، وأن هرقل بعث إليه زهاء مائتي ألف.

وكان هرقل نفسه قد نزل اللقاء في مائة ألف من الروم، ومائة ألف أخرى من العرب.

وقيل: بل كان معه مائتا ألف من الروم، وخمسون ألفاً من العرب المنتصرة..

فإذا ضممنا هذه الأرقام إلى بعضها البعض، فإن العدد سوف يتضاعف ليصل إلى ما يقارب الخمس مائة وخمسين ألفاً. وهو رقم لم يذكره أحد من

المؤرخين. فهل كان ذلك غفلة منهم عن حقيقة الحال؟! أم أن ارتباك الروايات جعلهم يقتصرون على ذكر المائتي ألف، أو ما يزيد على ذلك بما لا يصل إلى هذه الأرقام العالية؟!

أم أن كثرة الأعداد، أوجبت اختلاط الأمور عليهم؟!
إننا لا نستطيع أن نقدم أية إجابة حاسمة على هذا السؤال، لكننا نقول:
لا شك في أن الجيوش المجتمعة كانت هائلة، حتى مع الاعتراف
بغياب القدرة على تقديم إحصاءات دقيقة عنها..

وقد يكون سبب عزوف المؤرخين عن التصريح بأرقامها العالية هو
استبعادهم أن يكون ذلك قد حصل فعلاً. فاکتفوا بذكر ما يسع الناس
تصديقه، ولو بنحو من التكلف وادّعاء التسامح، وتركوا ما عداه..

واحتمال تكثير عدد الجيوش إلى هذا الحد الذي ربما يبدو خيالياً هو
إيجاد العذر لخالد عن هزيمته النكراء التي فوتت على الإسلام والمسلمين
أعظم الإنجازات التي ربما لو تحققت لفتح الإسلام بلاد الروم بأسرها.
ولكن ذلك وإن كان في محله إلا أن للمبررات حدودها المعقولة، فلو لم يكن
العدد هائلاً بالفعل لم تصح ولم تقبل هذه المبالغة من أحد.

غير أن مما لا شك فيه أن النصر كان أكيداً مهما قلنا في عدد الجيوش،
وأن خالداً هو الذي ضيعه، ويدل على ذلك هذا الموقف الصارم من
المسلمين تجاه خالد وجميع من فر معه، ولم يتدخل النبي «صلى الله عليه
 وآله» للتخفيف عنهم، لأنه رآهم يستحقون أكثر من ذلك، ورأى أن
للمسلمين الحق بأن يعاملوه بما هو أشد.

فتجمعوا لهم:

ذكرت النصوص المتقدمة: أن المائة ألف الذين جمعهم شرحبيل قد تجمعوا لهم. أي استعداداً لمواجهة المسلمين.
غير أننا نقول:

إن المتوقع ممن يستعد لمواجهة عدو قادم هو أن يواجهه بكمائن ومفاجآت تربك أو تعيق حركته، وتنهك قوته، وربما تنجح في حسم الأمور معه بأدنى الخسائر.. غير أننا لم نجد شيئاً من ذلك سوى طليعة سدوس التي انتهت بقتله، وفرار من معه.

مع ملاحظة: أنه ليس فيها أي عمل ذكي من الناحية العسكرية، بل هي مجرد عمل روتيني فاشل وضعيف.

إما النصر وإما الشهادة:

وعن تشجيعات عبد الله بن رواحة للناس، وقوله: «هي إحدى الحسينين، إما ظهور، أو شهادة، وليست بشر المنزلتين»، نقول:
إن الحديث عن الظهور والغلبة في ظروف كهذه، وحيث يعدُّ عدوهم بمئات الألوف، وبأحسن عدة، وأتم تجهيز، هو أمر يبعث على الإعتزاز، والفخر من جهة، وهو يدل على وجود مبررات لهذا الحديث، تجعل من توقع حصول النصر أمراً مقبولاً ومعقولاً.. وعلى أن هذه الأعداد لم تفاجئهم، بل كانوا يتوقعون حشوداً كبيرة جداً، تقترب من الأرقام التي صادفوها.

لكن ما لم يكن ذلك الجيش الإسلامي يتوقعه هو زيادة رقم الحشود إلى حد جعله يفكر بمراجعة النبي «صلى الله عليه وآله» لمعرفة ما إذا كانت

.....
: هذه الزيادة تستدعي توجيهاً آخر منه «صلى الله عليه وآله»، أم أن الأمور لم تصل إلى حد يدعو إلى ذلك..

ولكن ما يبقى غامضاً بالنسبة إلينا هو حقيقة تلك المبررات التي تدعو جيش المسلمين إلى توقع النصر، أو احتمالها. فإن المادة التاريخية المتوفرة لدينا لا تخولنا معرفة شيء منها.

ولعل السبب في ضالة النصوص هنا هو الرغبة في الحفاظ على ماء الوجه لبعض من تسبب بحدوث الهزيمة، فعمد الرواة والمؤرخون إلى إهمال التصريح بأمور كثيرة وخطيرة، كان التصريح بها مفيداً جداً وضرورياً..

وينبغي أن لا نهمل الإشارة إلى أن مما يؤكد ذلك كله: هو التعبير عن الشهادة بأنها «ليست بشر المنزلتين»، حيث يستبطن هذا التعبير إلماحة إلى أن موضوع الشهادة، كان هو الأبعد احتمالاً عن ذهن جيش المسلمين، باستثناء استشهاد القادة الثلاثة..

وهناك ما هو أصرح وأوضح، وهو: قول ثابت بن أقرم لأبي هريرة، حين رأى جموع الروم، فبهرتهم كثرتهم وتجهيزاتهم:
«يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة!!»

قلت: نعم.

قال: إنك لم تشهد معنا بدرأ، إنّا لم ننصر بالكثرة»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٨ وعن مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٦٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٧ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٤ و ج ١١ =

فالنصر كان متوقعاً، وكانت الأمثلة لهم هي غزوة بدر، والنصر المؤزر الذي تحقق فيها..

فخرج على قومه في زينته:

وإن قصة أبي هريرة حين رأى كثرة القوم، والعدة والسلاح، والحرير، والديباج، والذهب، حيث برق بصره - لتذكرنا بقوله تعالى عن قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾^(١).

ويقول تعالى عن فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٢).

فقد أظهرت هذه الآيات الخلل العميق في النظرة وفي المعايير لدى قوم فرعون، وأمثالهم من طلاب الحياة الدنيا، وذلك لأن رؤيتهم للزينة الحاضرة، وللأنهار تجري من تحت فرعون، وكون أن ملك مصر بيده.. ثم

= ص ١٠٨ وعن الإصابة ج ١ ص ٥٠٠ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٩ وعن

البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٨ وعن

دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢٧٨.

(١) الآيتان ٧٩ و ٨٠ من سورة القصص.

(٢) الآيات ٥١ - ٥٤ من سورة الزخرف.

التفاتهم إلى أن موسى «عليه السلام» لا تلقى عليه أسورة الذهب، ولا تأتي معه الملائكة، قد جعلهم يتخيلون أن السعادة، واللذة والحياة ستكون في جانب فرعون، وأن البؤس والسغب والحرمان سيكون في الجانب الآخر، فيستثير ذلك غرائزهم، ويدفع أهواءهم، للاندماج والانغماس، في هذا الواقع الزاخر بالشهوات.. ويدفعهم ذلك إلى أن ينأوا بأنفسهم عن الاستجابة لدعوات الحق، ويزيد من نفورهم منه، وابتعادهم عنه.

وأما عقولهم، فلا يكون لها دور، ولا يسمع لها رأي، لأنهم يشعرون أن عقولهم تدعوهم للتخلي على اللذة الحاضرة منهم، من دون عوض حاضر تقدمه إليهم.

وهذا بالذات هو ما جرى لأبي هريرة، فإنه حين رأى الديباج والحرير، والذهب، والعدة والعدد، والعتاد والسلاح، استيقظت غرائزه، واشترأت أعناق الشهوات وحب الدنيا في نفسه، لتغرق في هذا الذهب، وذلك الحرير، وتعيش الركون إلى العدة والعدد، والسلاح.. وغاب العقل عن مسرح القرار، وخف ميزانه، وضعفت قدرته على التأثير في نفس هيمنت عليها الغرائز، وتملكها حب الدنيا، وركنت وانشدت إليها..

وربما يذكره ثابت بن أقرم بالمعادلة الصحيحة، وهي: أن النصر ليس للكثرة، وأن بدرأ هي خير شاهد ودليل على ذلك..

فسكت أبو هريرة، ولم يجرؤ على إظهار حقيقة ما يعتلج في نفسه، ولم يكن لديه حيلة، ولا وسيلة، إلا هذا السكوت الساتر لما في الضمائر..

إيذاء الحيوان لا يجوز:

وذكروا: أن جعفرًا رضوان الله تعالى عليه قد عقر فرسه.. وهذا ما رواه أبو داود، من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، قال: عن يحيى بن عباد، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي، فذكره، وقال: ليس هذا الحديث بالقوي.

قال الصالحى الشامى: وقد جاء نهى كثير من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» [عن تعذيب البهائم، وقتلها عبثاً] كذا قال أبو داود: إنه ليس بقوي وابن اسحاق حسن الحديث.

وقد صرح بالتحديث في رواية زياد البكائي، فقال: حدثني يحيى بن عباد، ويحيى وأبوه ثقتان، وجهالة اسم الصحابي لا تضر، ورواه أيضاً عن ابن اسحاق عن عبد الله بن إدريس الأودي كما في مستدرك الحاكم، فسند الحديث قوي^(١).

قال الخطابي عن عقر جعفر لفرسه: وهذا يفعله الناس في الحرب إذا أرهق وأيقن أنه مغلوب، لئلا يظفر به العدو، فيتقوى به على قتال المسلمين^(٢). قال الحلبي: ومن ثم لم ينكر عليه أحد من أصحابه. وبه استدل من جوز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به الكفار^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٧ وعون المعبود ج ٧ ص ١٧٢.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦١.

واختلف العلماء في الفرس يعقره صاحبه لئلا يظفر به العدو، فرخص فيه مالك، وكره ذلك الأوزاعي والشافعي.
واحتج الشافعي بحديث النبي «صلى الله عليه وآله»: «من قتل عصفوراً فما فوقه بغير حقه يسأله الله تعالى عن قتله».
واحتج بنهيه «صلى الله عليه وآله» عن قتل الحيوان إلا للمأكلة.
قال: وأما أن يعقر الفرس من المشركين، فله ذلك، لأن ذلك أمر يجد به السبيل إلى قتل من أمر بقتله^(١).
هذا ما قاله هؤلاء، أما نحن فنقول:

عقر الفرس أم عرقها:

١ - مما تجدر الإشارة إليه، هو: أن ما يذكرونه عن جعفر بالنسبة لفرسه، قد ورد بصيغتين:
إحداهما: أنه عرقب فرسه^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٧ وكتاب الأم ج ٧ ص ٣٧٥.
(٢) راجع: المحاسن للبرقي ص ٦٣٤ والكافي ج ٥ ص ٤٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٥٤٤ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ٢ ص ٩١٣ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٨٣ عن الوسائل، والتهذيب، والمحلى ج ٧ ص ٢٩٦ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٧٠ والبحار ج ٤ ص ١٤ وج ٥٨ ص ٢٢٣ وج ٩٤ ص ٢٥ وراجع: التنبيه والإشراف ص ١٣١ ومجمع البحرين ج ٣ ص ١٦٨ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٦٧ والإستيعاب ج ١ ص ٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٧ ص ٢٨١.

والأخرى: أنه عقر فرسه^(١).

ولعل الثانية هي الأولى والأقرب إلى الصحة، لأن عرقبة الفرس لا تتناسب مع ما ورد من النهي الشرعي عن إيذاء الحيوان، حسبما قدمناه في غزوة الحديبية، وذكرناه في كتابنا: «حقوق الحيوان في الإسلام»، ونحن نجل جعفرًا عن الإقدام على عمل نهى عنه الشارع، ويأباه الخلق الإنساني الرفيع.

بل هناك نص عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتعرض لنفس هذا المعنى، فقد روي عنه «صلى الله عليه وآله» قوله: «إذا حرنت على أحدكم

(١) راجع: الأمالي للطوسي (المجلس الخامس) ص ١٤١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٨ والمبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ٢٨ وعن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٧ والبحار ج ٢١ ص ٥٠ و ٦٢ والنص والاجتهاد ص ٢٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٩ والدرجات الرفيعة ص ٧٥ والسير الكبير ج ٢ ص ٧٩٦ وعن البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠ وبشارة المصطفى ص ٤٣٢ وقصص الأنبياء لابن كثير ج ٢ ص ٢٩٩ ومقاتل الطالبين ص ٧ وعن سنن أبي داود ج ١ ص ٥٨٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٨ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٩ وعن عون المعبود ج ٧ ص ١٧٢ والثقات ج ٣ ص ٤٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٦٨ ص ٨٨ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٢٨٨ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٨ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٠٩ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٨٤ وعن الإصابة ج ١ ص ٥٩٣ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٨ والمنتخب من ذيل المذيل ص ٢ و ٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٨٣٣ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧.

دابة في أرض العدو فليذبحها، ولا يعرقها»^(١).

أما عقر الفرس فلا يأبى عن إفادة معنى الذبح، فهو الأقرب والأنسب بسجايا جعفر، الذي أشبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خلقه وخلقه^(٢).

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٦ ص ٣٠٧ و ٣٠٨ و ج ٨ ص ٣٩٦ و ج ٥ ص ٥٢ والكافي ج ٥ ص ٤٩ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٧٣ و ج ٩ ص ٨٢، والبحار ج ٦١ ص ٢٢٢ و ٢٣ و ج ٩٤ ص ٢٥ عن الكافي، وعون المعبود ج ٢ ص ٣٣٣ وسنن أبي داود ج ٣ ص ٢٩ والمحاسن للبرقي ج ٢ ص ٦٣٤ ومستدرك الوسائل ج ٨ ص ٣٠١ و ج ١٦ ص ١٥٧.

(٢) البحار ج ٢٢ ص ٢٧٥ و ج ٣٨ ص ٣٠٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٦٧ و ج ٥ ص ٣٤٥ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٦٣٥ وشرح مسند أبي حنيفة ص ٥٣٩ والدرجات الرفيعة ص ٧١ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٦٩ وذخائر العقبى ص ٢١٥ والغدير ج ١٠ ص ١٣٠ وغنية النزوع ص ٧٦ وتحرير الأحكام (ط ج) ج ١ ص ١٣٦ وأنساب الأشراف ص ١٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٠٧ و ١٠٨ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ٢٠٤ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٢١٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٥ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٠ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٨٤ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٢٢٧ وكتر العمال ج ١١ ص ٦٣٩ و ٦٦٢ و ٧٥٥ و ج ١٢ ص ٢٥٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ص ٣٦ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٦٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٦٢ وتهذيب الكمال ج ٢٤ ص ٣٩٥ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٤ والمجدي في أنساب الطالبين ص ٣٢٠ والمناقب للخوارزمي ص ٦٦ وكشف الغمة ج ١ ص ٩٧ وينايع المودة للقندوزي الحنفي ج ٢ ص ٢١٩ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١ ص ٩٩ و ٤١٩ و ج ١٨ ص ٢٥٣ و ٤٤٤ و ج ٢ ص ١٤٠ وعن الفتح الكبير للسيوطي ج ١٤ ص ٢٥١ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٤.

والذبح لغرض عقلائي، لا يأباه الخلق الإنساني، ولا يمنع منه الشرع الشريف.

٢ - زعموا: أنه يمكن توجيه مبادرته إلى عرقبة الفرس بأنه أراد أن يحرم العدو من الاستفادة منه^(١).

ونقول:

إن ذلك غير دقيق، فيما لو كان بإمكانه إيكال أمره إلى غيره من مقاتلي المسلمين، ليستفيد منه في الحرب والنزال، أو في غرض مشروع آخر..

٣ - أما أسباب المبادرة إلى ذبح الفرس، فيمكن أن نتلمسها فيما يلي:
ألف: إفهام العدو سر البطولة، ورمزها، وحقيقتها. وأنها إرادة وتصميم، وإيمان وجهاد، وتضحيات، وأن يملك الإنسان نفسه، وقرارها، والقدرة على التصرف فيها..

وليست الشجاعة هي مجرد امتلاك القدرة على التصرف في قدرات الجسد، في دائرة هوى النفس، وعلى خط تلبية متطلباتها.
بل الشجاعة هي امتلاك القدرة على التصرف في الجسد نفسه، انسجاماً مع مقتضيات الإيمان، وتطبيقاً للمبادئ، وانسجاماً مع القيم، والمثل الإلهية العليا.

إنه يريد: أن يوجه للروم وللعرب الذين معهم إنذاراً، وأن يزرع الإعجاب والرعب في قلوبهم في آن واحد، ثم أن يعطي المسلمين الذين

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ وعن عون المعبود ج ٧ ص ١٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٧.

جاؤوا معه للجهاد درساً في الشمم والفداء، ومعنى الشجاعة، وسر الإباء، ولكنه درسٌ كلماته الأفعال، وحروفه التضحيات، واللسان الناطق به هو إيمان شامخ، ورأي باذخ، ويقين راسخ.

أما جيوش الروم فوجدت نفسها أمام التحدي الكبير، فواجهت اندفاع جعفر للتضحية والفداء، باندفاع غرائزي فيها، يهدف إلى التنفيس عن حقد دفين، وعن لؤم مشين وخزي وابتذال مهين، ولاذت بأسلحتها الفتاكة، وانهمرت على جعفر بطعناتها وضربات.. فقطعت يده اليمنى، ثم اليسرى.. وذلك حين وجدوا أنفسهم أمام حرب لا تحمد ناراها إلا بإسقاط راية القائد، الذي لن يدعها تسقط ما دام حياً..

لقد أثر جعفر التخلص من الفرس، لأنه يريد أن يفهم عدوه مدى تصميمه في حربهم، ومدى تفانيه في الأهداف التي يحارب من أجلها.. وأن قادة الجيوش الإسلامية لا يريدون الإحتماء بالأبطال، ولا يريدون أن يموت الناس في الدفاع عنهم، بل هم الذين يريدون أن يموتوا قبل الناس، من أجل حفظ دين الناس، وحفظ أرواحهم وراحتهم.. وليست القضية مجرد خطب حماسية، وشعارات رنانة، بل هي مبادرة، واستعداد، وبذل وتضحية وجهاد، يرويه رأي العين..

بل إن هذا القائد لا يريد أن يهرب من الموت، ولا أن يحمي نفسه منه، فإنه يراه خيراً وصلاً، وسعادة، ونجاحاً، وفوزاً وفلاحاً. إنه يريد أن لا تفصله عنه حتى عدوة فرس، فأثر التخلص منه، فعقره..

أول من عرقب فرسه:

وزعموا: أن جعفرًا كان أول من عرقب فرسه في الإسلام^(١).
ولكننا قلنا: إن ذلك لم يثبت، بل الراجح: أنه قد عقر فرسه^(٢)، لا أنه

(١) المحاسن للبرقي ص ٦٣٤ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٨٣ والكافي ج ٥ ص ٤٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٥٤٤ والبحار ج ٢١ ص ٥٤ وج ٥٨ ص ٢٢٣ وج ٩٤ ص ٢٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ١٩٧ وج ١٠ ص ٢٣١ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧ ومجمع البحرين ج ٣ ص ١٦٨ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٦٧ وعن الإستيعاب ج ١ ص ٧٧.

(٢) راجع: البحار ج ٢١ ص ٥٠ و ٦٢ والنص والاجتهاد ص ٢٨ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٩ والدرجات الرفيعة ص ٧٥ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٠٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢١ وعن المنتخب من ذيل المذيل ص ٢ و ٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٣ والأُمالي للطوسي ص ١٤١ (المجلس الخامس: حديث ٤٣) والمبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ٢٨ ومقاتل الطالبين ص ٧ وعن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٧ والسير الكبير ج ٢ ص ٧٩٦ وعن البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠ وقصص الأنبياء لابن كثير ج ٢ ص ٢٩٩ وعن سنن أبي داود ج ١ ص ٥٨٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٨ وعن عون المعبود ج ٧ ص ١٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٧ والثقات ج ٣ ص ٤٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٦٨ ص ٨٨ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٨ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٠٩ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٨٤ وعن الإصابة ج ١ ص ٥٩٣ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٣٢٧ وعن زاد المعاد ج ١ ص ١١٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤١.

عرقبه. فرواية الأمالي هي الأصح، وهي الأوفق بالتزام جعفر لحدود الشرع فيما يرتبط بالتعامل مع الحيوان.
وقد نقل «رحمه الله» عن الزهري قوله: وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فرسه^(١).

آخر محاولة للشيطان!!

ورروا: أنه لما أخذ جعفر بن أبي طالب الراية جاءه الشيطان فمناه الحياة الدنيا، وكره له الموت، فقال:
الآن!! حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا؟!
ثم مضى قدماً حتى استشهد. فصى عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودعا له، ثم قال: «استغفروا لأخيكم جعفر؛ فإنه شهيد، وقد دخل الجنة، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة»^(٢).
ونقول:

لا شك في أن الشيطان لا يدع فرصة إلا ويحاول اقتناصها، وهو يرى: أنه

(١) الأمالي للطوسي ص ١٤١ (المجلس الخامس: حديث ٤٣) والبحار ج ٢١ ص ٥٠ وبشارة المصطفى ص ٤٣٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٨ والثاقب في المناقب ص ١٠٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٨ والدرجات الرفيعة ص ٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٤ وج ١٩ ص ٣٦٨ وكنز العمال ج ١١ ص ٦٦١ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٧ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١ ص ٤٢٥ والفتح الكبير ج ١ ص ٨٠.

حين تنقطع السبل بالإنسان، ويواجه الخطر الأعظم في لحظة الموت الرهيب، تضعف عزيمته، وتتبلبل أفكاره، ويضطرب في قراراته، ويضيع في زحمة المشاعر والأفكار التي تظهر عليها عوارض التناقض والإختلاف.

ولكن هناك رجال مؤمنون، وأصفياء متقون، لا يفقدون السيطرة على أنفسهم، حتى في هذه اللحظات، بل إن منهم من يجد في هذه اللحظات ما يؤكد يقينه، ويزيد من وضوح الصورة لديه، فيزيده ذلك رضاءً، قد يصل به إلى حد البهجة والسرور، على قاعدة: «فزت ورب الكعبة»، حيث يأنس بالموت كما يأنس الطفل بثدي أمه، ويراه أحلى من العسل، لأنه يشاهد ما أعده الله تعالى له، انطلاقاً من حقيقة: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»، وعلى هذا الأساس جاء قول جعفر:

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها^(١)

فقد عبر «سلام الله عليه» في أبياته هذه عن تلهفه للجنة، واشتياقه البالغ لها..

(١) راجع: النص والإجتهد ص ٢٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٣
والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٣ ص ٥٢٠ وتهذيب
الكمال ج ٣ ص ١٢٤ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٥٠ والسيرة النبوية لابن كثير
ج ٢ ص ٤٦١ وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ١٥٠.

تسقط اليد ويرتفع اللواء:

و حين قطعت يد جعفر وسقطت، فإن ألم قطعها لم يشغل جعفرًا، ولم يمنعه من المبادرة إلى رفع اللواء باليد الأخرى، ولم ير «عليه السلام» في هذا الذي جرى له عذراً يبرر انكفاءه عن المواجهة.

بل وجد أن واجبه هو: أن يهزم العدو بالرعب من خلال ما يشاهده من إصراره الأكيد على رفع اللواء باليد الأخرى، وليكون ذلك سبباً في مضاعفة حدة اندفاع المسلمين في مواجهة عدوهم.

وحتى حين قطعت اليد الأخرى، فإنه يواصل جهاده ويبدل قصارى جهده في حفظ جذوة الحماس ملتعبة لدى كتائب الجيش الإسلامي، الذي لا بد أن يظهر - من أجل ذلك - من البسالة والإقدام والشجاعة، ما يحير العقول، ويذهل الألباب..

وتصعد روح جعفر إلى بارئها، ويرتفع جعفر، ويخلق إلى مقامات القرب والزلفى، ومواقع العز والكرامة بنفس هاتين اليدين المقطوعتين، اللتين ألبسته - بفقدتهما - حلتين من البهاء والجمال، والعظمة والجلال.

الطيّار بعد قطع يديه:

وقد صرحت بعض الروايات: بأن جعفرًا قطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره، فقطعت يساره، فاحتضن الراية، وقاتل حتى قتل^(١).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٦ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧ وعن زاد المعاد ج ١ ص ١١٣٤ والعبر =

ونقول:

إننا نتعقل أن يأخذ مقطوع اليدين اللواء ببقايا يديه، ويضمه إلى صدره، ولكن لا يمكن أن نتصوره قادراً على قتال العدو بسيف أو برمح، سوى مبادرته إلى ركل من يهاجمه بإحدى رجله، ليدفعه عن نفسه، ويلحق به أكبر قدر ممكن من الأذى.

بل إن أخذه الراية بشماله، بعد قطع يده اليمنى يجعله غير قادر على حمل السيف بها أيضاً، لأنها أصبحت مشغولة باللواء. وهذا معناه: أنه «عليه السلام» قد بذل محاولة لإبقاء الراية مرفوعة ليراها المسلمون، ويواصلوا القتال أطول وقت ممكن، لأنه يعلم: أن وقوع الراية على الأرض، يوجب تضعضع الجيش، وربما يؤدي ذلك إلى هزيمته، وهذا ما لا يريده ولا يرضاه..

الطيار أسوة وقدوة:

وغني عن البيان هنا: أن نفس هذا الذي جرى لجعفر بن أبي طالب «عليه السلام» قد جرى ما يشبهه للعباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» في كربلاء، فإن يمينه قطعت، فأخذ السيف بيساره، فقطعت، فقاتل حتى ضعف، فضربه ملعون بعمود من حديد على رأسه فقتله^(١).

= وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ١٤١ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٦.
(١) البحار ج ٤٥ ص ٤٠ و ٤١ وينايع المودة ج ٣ ص ٦٨ والعوالم ص ٢٨٣ وعن المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٥٦ ونور العين في مشهد الحسين ص ٤١ و ٤٢ وإبصار العين في أنصار الحسين ص ٦٢ والعوالم (الإمام الحسين «عليه

وقد روي: أن الله تعالى عوضه أيضاً بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، فقد روى الصدوق «رحمه الله» بسنده عن ثابت بن أبي صفية، قال: قال علي بن الحسين «عليه السلام»: رحم الله العباس - يعني ابن علي - فلقد أثر وأبلى، وفدى أخاه حتى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب^(١).

استشهاد جعفر وهو صائم:

وتقدم عن ابن عمر قال: أتيت (يعني جعفرًا) وهو مستلق آخر النهار، فعرضت عليه الماء، فقال: إني صائم، فضعه في ترسي عند رأسي، فإن عشت حتى تغرب الشمس أفطرت. قال: فمات صائمًا قبل غروب الشمس شهيدًا، وعمره إحدى وأربعون سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون..

ونقول:

ألف: بالنسبة لعمره «عليه السلام» فإن صح ما يقولونه من كونه أسن من علي «عليه السلام» بعشر سنين^(٢). فإن عمر علي «عليه السلام» كان

= السلام» ص ٢٨٣ و ٢٨٤ وعن ينابيع المودة ج ٣ ص ٦٧ و ٦٨.

(١) الخصال ج ١ ص ٦٨ (باب الإثنين حديث ١٠١) وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٤٦ والأُمالي للطوسي ص ٥٤٨ والبحار ج ٤٤ ص ٢٩٨ والعوالم (الإمام الحسين) ص ٣٤٩ ودرر الأخبار ص ١٩٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص ١٧٦.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٥٣٩ والبحار ج ٢٢ ص ٢٧٥ وج ٤٢ ص ١١٥ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٨٣ وعون المعبود =

آنذاك حوالي ثلاثين سنة، فلا بد أن يكون عمر جعفر أكثر من ذلك بعشر سنين. فكيف يكون عمره ثلاثاً وثلاثين سنة - كما يقولون -؟!
ب: إن المعركة إذا كانت قائمة، فلا يكون هناك مجال لأن يستلقي جعفر آخر النهار، ليعرض ابن عمر الماء عليه. ثم يستشهد قبل غروب الشمس!!
ج: قال الحلبي: «كونه رضي الله عنه مات صائماً لا يناسب كونه شق نصفين»^(١).

وهو كلام عجيب، فهل شقه نصفين يمنع من كونه مات صائماً؟! فإن شقه هذا لا يوجب إفطاره، ولا إفساد صومه..

ذو الجناحين:

وفي بعض المصادر: أنه «قد وردت أخبار في أنه لما رفعوه على الرماح، منّ الله عليه بجناحين، فطار من رأس الرماح إلى السماء، وهو يطير في الجنة

= ج ٦ ص ٢٦٧ وشرح النهج ج ١١ ص ١١٦ و ٢٥٠ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ٤٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ٩ و ٢٤ و ج ٤٢ ص ٥٧٤ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ و ج ٣ ص ٤٢٢ وتهذيب الكمال ج ٢ ص ٢٣٦ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٠٦ وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٢٦ وعن الإصابة ج ١ ص ٥٣٩ والأعلام ج ٢ ص ١٢٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٢ و ج ٨ ص ٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٨٤ وعن الاستيعاب ج ٣ ص ٧٣ والمدهش لابن قيم الجوزية ص ٦٤.

(١) السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٦٩.

مع الملائكة»^(١).

ولا ندرى مدى صحة هذا الحديث، ولو صح فربما يكون هذا قد جاء على سبيل المجاز، أو أنه قد طار فعلاً إلى السماء مقداراً ثم عادت جثته إلى الأرض، وبقيت روحه تطير مع الملائكة، وربما، وربما..

نظرة في الكرامات:

إنه تعالى حين يظهر الكرامة لولي من أوليائه، فإنه لا يريد بذلك أن يقهر الناس على الإيمان، ولا أن يتهدد بهم بهذا الأمر، ليفرض عليهم سلوك طريق الحق، تحت طائلة التدخل الغيبي في صورة مخالفتهم للأوامر والنواهي الإلهية..

بل يريد تبارك وتعالى.. أن يثير في نفس الإنسان المؤمن، الطموح، لنيل مقامات القرب والزلفى عنده، وذلك من خلال تقديم نموذج تطبيقي حي وملموس، يسهل على المؤمنين اليقين بوعده الله تعالى، والسكون والركون إلى تحقيقه حتى كأنهم يرونه ماثلاً أمامهم، من دون أي إخلال أو انتقاص. ويريد أن يقول لهم: إنه لا مجال لاحتمال المبالغة في البيانات الصادرة، فإنه إن كان هناك تجوُّز في التعبير عن حقيقة ذلك الوعد، والموعود به، فإنها هو محاولة لتقريب الصورة الحقيقية، التي تعجز التعبيرات المجازية أو الكنايات والاستعارات، عن الإحاطة بها، بل تبقى مجرد إشارات وإلمحات لما هو أعظم وأتم، وأخطر وأهم..

(١) تنقيح المقال ج ١ ص ٢١٢.

كما أن هذا الإنسان الذي هو مستغرق فيما هو مادي ومحسوس، إلى درجة أنه إنما يطل على الغيب من خلال ذلك.. يحتاج إلى اختصار المسافة بينه وبين الغيب.. فتأتي الكرامات والمعجزات، لتقوم بهذه المهمة، وليكون للغيب أيضاً حضوره وشهوده. ليعطي سلاماً للروح، وحياة في الوجدان، ويقظة في الضمير، وحركة في العقل بالاتجاه الصحيح، وعلى أساس من الوعي العميق، والرؤية الواضحة، والشمولية، والواقعية..

على أن هذه الكرامات تسهل على الإنسان المؤمن أن يعي كيف أن لمسألة الغيب حضورها في كل شيء، بل هي جزء من حياة هذا الكائن، وهي مستوعبة لكل المساحات التي ينطلق فيها في حركته نحو الله تعالى..

فالغيب ليس غائباً عن أي من مواقع حركة هذا الإنسان، حتى فيما يتخيل أنه مادي صرف، ولا موقع للغيب فيه، فإن الغيب كامن في عمق ذاته، وفي كنه وجوده.. فعليه أن يشعر به في كل المواقع والمواضع من دون استثناء.

ومن جهة أخرى: فقد تمس الحاجة إلى إقامة الحجة على الناس في أمر ظهر فيه تقصيرهم، أو ظهرت فيهم بوادر هذا التقصير، كما هو الحال في قضية جعفر «عليه السلام» في مؤتة، فإن ظهور هذه الكرامة له، بأن يطير جسده إلى السماء ولو مقداراً ما.. لا بد أن يقيم الحجة على الأعداء أولاً.. من حيث إنه يفتح أمامهم باب الهداية، ويسهل عليهم الحصول على القناعة من أقرب طريق.. ألا وهو طريق الوجدان، والإحساس القلبي، ويختصر المراحل أمامهم..

ثم هو تعميم للحجة على جيش المسلمين، الذين قد يخطر ببالهم: التماس

العدر لأنفسهم عن فرار وشيك ربما يراود أذهانهم، فيزعمون: أن مواجهة مئات الألو ف لا مبرر لها، لأن احتمالات النصر على تلك الأعداد الهائلة تكاد تكون معدومة، بل هي معدومة فعلاً..

وأما ما فعله جعفر «عليه السلام» فإنما هو مبادرة شخصية منه، وتضحية يحمد عليها، ولكنها هدر للطاقة، لا تجدي نفعاً، ولا تحقق نصراً.

فجاءت الكرامة الإلهية له لتقول لهم: إن الله تعالى إذا كان هو الراعي لهم، والمشفرف على حالهم، وهو الذي ينزل النصر عليهم، أو يحجبه عنهم. فعلى كل أنسان أن يقوم بواجبه، ويمثل أمر الله ورسوله، وليس له أن ينظر في نتائج ذلك، ولا أن يحدد طبيعة النصر، وحجمه، ومواصفاته.. ولا أن يدعي لنفسه المعرفة بالغيب الإلهي فيه.

فلعل المطلوب الإلهي أمر آخر غير النصر العسكري - كما كان الحال في كربلاء مثلاً - ولعل المطلوب هو النصر العسكري، ولكن بطريقة حجب الله تعالى عنهم بعض عناصرها. ولو بأن تحدث اختلافات ومنازعات بين كتائب جيوش الأعداء، لأجل ما يروونه من استبسال لدى جنود أهل الإسلام.. وقد ينشأ عن ذلك الاستبسال، والاستشهاد هداية لطائفة أو لطوائف من جيش الأعداء. وقد تحدث انقسامات بين العرب وبين غيرهم لأكثر من سبب فيما لو طالت الحرب.. إلى غير ذلك من أسباب.

استشهاد ابن رواحة:

روى ابن إسحاق، قال: قتل جعفر، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة، ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة
وقال أيضاً:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت^(١)
يريد صاحبيه زيدا وجعفرأ، ثم نزل.

فلما نزل أتاه ابن عمر بعرق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فإنك
لقيت في أيامك هذه ما لقيت.
فأخذه من يده، ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس،
فقال: وأنت في الدنيا؟

ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه، ثم تقدم فقاتل حتى قتل.
ووقع اللواء من يده، فاختلط المسلمون والمشركون، وانهمز بعض
الناس، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم يُقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن
يقتل مدبراً.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ و ٧٢ والنص
والإجتهد ص٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٣ وعن البداية والنهاية
ج٤ ص٢٧٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٥٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢
ص٣٢١ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص١٢١ وشرح النهج ج١٥ ص٦٩ و
٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٦١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٩.

قال سعيد بن أبي هلال: وبلغني أن زيداً، وجعفرأ، وعبد الله بن رواحة
دفنوا في حفرة واحدة^(١).

تردد ابن رواحة في النزول:

وفي بعض الروايات: «فأخذها (يعني: الراية) عبد الله رواحة، وتقدم
بها وهو على فرسه، وجعل يتردد في النزول عن فرسه، ثم نزل، وقاتل حتى
قتل»^(٢).

ونستطيع أن نفهم أن النزول عن الفرس إنما هو حين يراد إفهام العدو
أن الفارس قد استقتل، وأن أي توهّم في حبه للنجاة من خلال بقاءه على
ظهر فرسه، ما هو إلا توهّم باطل..

الحرب دامت أياماً:

من يلاحظ النصوص المتداولة لغزوة مؤتة يخرج بنتيجة مفادها: أن القادة
الثلاثة قد قتلوا في أول المعركة، ثم أخذ اللواء خالد، وولى هارباً، وتبعه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وعن فتح
الباري ج ٧ ص ٣٩٣.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٩ والعبر وديوان
المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٢٩٣ وحياة الصحابة
(باب الجهاد) تحريض النبي وترغيبه على القتال، وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢
ص ٣٢١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣
ص ٨٣٣ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٢
وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٩ وزاد المعاد ج ١ ص ١١٣٤.

المسلمون.. ولذلك اقتصر عدد قتلى المسلمين على ثمانية شهداء، وقيل: قتل اثنا عشر شهيداً، أو نحو ذلك. كما سيأتي إن شاء الله تعالى..

ولكننا نقول:

إن ذلك موضع شك كبير. ومن موجبات هذا الشك: أن هذا الرقم للقتلى لا يتناسب مع قولهم أيضاً: إن الحرب قد دامت سبعة أيام^(١).

ويؤيد ذلك قولهم المتقدم: إن ابن عمر جاء إلى ابن رواحة بعرق من لحم، وقال له: «شد بهذا صلبك، فإنك لقيت في أيامك هذه ما لقيت». حيث يشير إلى أن ابن رواحة قد لقي مصاعب كبيرة خلال أيام مرت عليه، ولعلها هي الأيام السبعة المشار إليها، وكان - فيما يبدو - يمارس القتال المجهد فيها.

وأما احتمال أن يكون المراد هو: مشقات قطع المسافات الطويلة من المدينة إلى مؤتة، فهو بعيد عن الذهن، وليس له ما يؤيده. ويؤيد ذلك: ما سيأتي من أن المسلمين اعتمدوا أسلوب مبارزة الفرسان، وهي طريقة ممتعة، يظهر فيها الفرسان شجاعتهم، ويقدمون فيها عروضاً شيقة لفنون الحرب والقتال وتوجب طول أمد الحرب.. ولعل المسلمين أظهروا فيها براعة نادرة، وشجاعة فريدة.. فقل شهداؤهم، وكثرت القتلى من أعدائهم، وربما كان لابن رواحة سهم وافر في هذا المجال..

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١.

ثم اختار الأعداء أسلوب الهجوم الشامل.. فقتل القادة آنئذٍ.. وربما تكون بوادر النصر قد بدأت بالظهور، فضيعها خالد.

هزيمة خالد:

وبعد أن استشهد عبد الله بن رواحة بادر خالد بن الوليد فأخذ الراية وانهزم بها وتبعه سائر الناس، ولكن هناك من سعى لتزوير الحقيقة وإيهام الناس بعكسها، ونحن نذكر ذلك، ونبين وجه الحق فيه في الفصل التالي.

الآن حمي الوطيس:

وحول القول المنسوب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يصف للمسلمين ما يجري في مؤتة: «الآن حمي الوطيس»، قال ابن أبي الزناد ما يلي: «بلغت الدماء بين الخيل موضع الأشاعر من الحافر. والوطيس أيضاً ذاك. وإذا حمي ذلك الموضع من الدابة كان أشد لعدوها»^(١).

ونحسب: أننا لسنا بحاجة إلى التعليق على هذه الروايات المغرقة في غرابتها، ولكن الأغرب منها: أن يبادر المؤرخون والمحدثون إلى إيرادها في كتبهم وفي مجاميعهم الحديثية والتاريخية، وغيرها، ويقدمونها للناس على أنها هي الحقائق الناصعة، وذلك من أجل أن تبقى حقيقة فرار خالد عن الناس ضائعة..

ولست أدري كيف يمكن أن يخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عن بلوغ الدماء موضع الأشاعر، وهو يرى ما يجري عياناً، بعد أن رفع الله تعالى له

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ وراجع: البحار ج ٢١ ص ٦٢.

كل خفيض، وخفض كل رفيع، ثم يرى الناس يظلمون هؤلاء المجاهدين
ويطردونهم.. ثم لا يدافع عنهم؟! بل إنهم حتى لو كانوا قد هربوا من
ساحة المعركة فإنهم لم يرتكبوا بذلك حراماً، بعد أن كان عدوهم يزيدهم
بعشرات الأضعاف. كما أشرنا إليه أكثر من مرة..

وذلك يدل على عدم صحة ما زعموه، وأن الصحيح هو أن خالداً قد
فرَّ بهم لحظة استشهاد القادة..

وتتأكد الشكوك في صحة هذه المزاعم حين نقارن بين عدد شهداء
المسلمين وبين ما يزعم من أن الدماء قد بلغت الأشاعر من حوافر الخيل!!

شهداء مؤتة:

أما بالنسبة للذين استشهدوا من المسلمين في سرية مؤتة فهم:
جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، ومسعود
بن الأسود بن حارثة (بن نضلة)، ووهب بن سعد بن أبي سرح، وعباد بن
قيس، والحارث بن النعمان (بن إساف بن نضلة)، وسراقة بن عمرو بن
عطية (بن خنساء)^(١).

وزاد ابن هشام نقلاً عن ابن شهاب الزهري:
أبا كليب، أو كلاب بن عمرو بن زيد، وأخاه جابر بن عمرو بن زيد،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٤٠ وعن
البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٣٣٠ وعن
عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٩٨.

وعمر، وعامر ابنا سعد بن الحارث^(١).

وزاد الكلبي والبلاذري: هوبجة بن بجير الضبي. ولما قتل فقد جسده، ولا ذكر لهوبجة فيما وقفت عليه من نسخ الإصابة للحافظ، ولا القاموس. مع ذكر الذهبي له في التجريد، وأن له وفادة وهجرة^(٢).
وزاد ابن سعد، والعدوي، وابن جرير الطبري: زيد بن عبيد بن المعلی الأنصاري^(٣).

وزاد ابن إسحاق، كما في الإصابة، وجزم به في الزهر: عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية.
قال ابن الأثير: قتل باليامة في الأكثر.
وقال الذهبي: الأصح بدور.
وقيل: باليامة.
وقيل: بمؤتة^(٤).

وزاد ابن الكلبي، وابن سعد، والزبير بن بكار: هبار بن سفيان بن عبد

-
- (١) عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٤٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٣٣٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٩٨.
(٢) عن أسد الغابة ج ٥ ص ٧٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٤.
(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٤٥٠ وعن الإصابة ج ٢ ص ٥٠٧.
(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٩ ص ٥٥ و ٧٥ وعن الإصابة ج ٢ ص ٨٩.

الأسد المخزومي، وقال عروة، وابن شهاب الزهري، وابن إسحاق، وابن سعد: استشهد بأجنادين^(١).

وقال سيف بن عمر: استشهد باليرموك^(٢).

وزاد ابن عقبة: عبد الله بن الربيع الأنصاري^(٣)، ومعاذ بن ماعص^(٤).
ووقع في نسخة من مغازي موسى بن عقبة: أن الذي استشهد بمؤتة أخوه عباد^(٥).

وقال في البداية، بعد أن ذكر جميع من قتل بمؤتة من المسلمين: (فالمجموع على القولين) اثنا عشر رجلاً^(٦).

وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله تعالى عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة عدتها

(١) الطبقات الكبرى ج ٤ ص ١٣٥ وعن البداية والنهاية ج ٧ ص ٤١ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٢٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٩ ص ٧٠ وج ٣٧ ص ٤٦٧ وتاج العروس ج ٣ ص ٦٠٩ وعن الإصابة ج ٦ ص ٤١٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ وعن الإصابة ج ٦ ص ٤١٤.

(٣) عن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٨ ص ٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ وعن الإصابة ج ٦ ص ٤١٤ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦ ص ٢٣٧ وج ٥٨ ص ٤٦٧ و ٤٧٠ وفي ج ٢ ص ١١ عباد بن ناعص.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ وعن الإصابة ج ٦ ص ١١٤.

(٦) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٨٩.

..... :

مائتا ألف مقاتل: من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف،
يتبارزون ويتصاولون، ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين سوى اثني عشر
رجلاً، وقتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد وحده يقول:
«لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا
صفحة يمانية».

فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟
دع غيره من الأبطال والشجعان^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٤ و ١٥٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٥
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٩.

الفصل الثالث:

خالد يضيع النصر الأعظم

الإنحياز، أم النصر والفتح؟!

لقد وضع محبو خالد خطة تهدف إلى حفظ ماء وجهه، حتى لو كان ثمن ذلك هو تضييع الحق وتزوير التاريخ، والخطة هي التالية:
 أن يدَّعوا: أن الذي حصل هو أحد أمرين: إما مجرد الانحياز والمحاشاة، ثم الانصراف. وإما النصر والفتح على يد خالد.
 ثم يتم تضعيف دعوى المحاشاة، وادعاء أن الصحيح هو الفتح، وتحقيق النصر على يد خالد بن الوليد..
 فنحن نبدأ بذكر ما قالوه وما استدلوا به، ثم نعقب ذلك بالنصوص المصرحة بالحقيقة، وبيان زيف دعواهم وبطلانها، وذلك على النحو التالي:
 قال ابن إسحاق: «فلما أخذ الراية خالد بن الوليد دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز، وانحيز عنه، وانصرف الناس»^(١).
 وعلى حد تعبير الزهري: «ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، فناوش

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٤٦٣ وج ٦ ص ١٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٧ وراجع: ما عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٤ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧.

القوم، وراوغهم حتى انحاز بالمسلمين منهزماً، ونجا بهم من الروم»^(١).
قالوا: هكذا ذكر ابن إسحاق: أنه لم يكن إلا المحاشاة والتخلص من
أيدي الروم الذين كانوا مع من انضم إليهم أكثر من مائتي ألف،
والمسلمون ثلاثة آلاف. ووافق ابن إسحاق على ذلك شزيمة.
وعلى هذا سمي هذا نصراً وفتحاً، باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو،
وتراكمهم، وتكاثرهم عليهم. وكان مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية^(٢).
وهو محتمل، لكنه خلاف الظاهر من قوله «صلى الله عليه وآله»: «حتى
فتح الله عليكم»^(٣).

وقد لوحظ: أنهم حين يريدون الحديث عن الهزيمة يقتصرون على
خصوص عبارة ابن إسحاق التي جاءت ملطفة ومخففة إلى حد كبير، ثم
يصفون سائر الذين صرحوا بالهزيمة بأنهم شزيمة. نعم مجرد شزيمة
بنظرهم.. ثم يواصلون توجيه الكلام بطريقة توشي بأن النصر أمر مسلّم،
لكن الاختلاف إنما هو في كيفيته ومداه.
فيزعمون: أن سبب تسمية ما جرى في مؤتة نصراً هو تمكن المسلمين
من الإفلات من يد تلك الكثرة الهائلة، وأن هذا هو ما يقصده ابن إسحاق،
وأنه محتمل، ولكنه خلاف الظاهر.

(١) البحار ج ٢١ ص ٥٠ و ٥١ وعن أمالي الطوسي ص ٨٧ و ٨٨ و (ط دار الثقافة)
ص ١٤١ وراجع: بشارة المصطفى ص ٤٣٢.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠ وفي هامشه عن البخاري ج ٧ ص ٥٨٥.
وراجع: البخاري ج ٥ ص ٨٧.

ومهما يكن من أمر، فإنهم استدلووا على النصر في مؤتة بما يلي:

دلائل انتصار خالد:

وقالوا أيضاً: والأكثر على أن خالداً ومن معه قاتلوا المشركين حتى هزموهم.

ففي حديث أبي عامر عند ابن سعد وغيره: أن عبد الله بن رواحة لما قتل «انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط. (في كل وجه)، حتى لم أرائين جميعاً. ثم أخذ اللواء رجل من الأنصار، (يقال له: ثابت بن أرقم، فجعل يصيح بالأنصار)، ثم سعى به حتى إذا كان أمام الناس، ركزه ثم قال: إليّ أيها الناس.

فاجتمع إليه الناس، حتى إذا كثروا مشى باللواء إلى خالد بن الوليد.

فقال له خالد: لا آخذه منك، أنت أحق به.

فقال الأنصاري: والله ما أخذته إلا لك.

فأخذ خالد اللواء من الأنصاري، و «حمل على القوم، فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيتها قط. حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا، (وأظهر الله المسلمين)»^(١).

فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبرته، فشق ذلك عليه،

(١) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ عن ابن سعد، وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ والبحار ج ٢١ ص ٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٨ وتاريخ المدينة ج ٢ ص ١٤ وج ١١ ص ١٠٧.

فصلى الظهر ثم دخل الخ..

وروى الطبراني برجال ثقات، عن موسى بن عقبة، قال: ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله «صلى الله عليه وآله» على خالد بن الوليد المخزومي، فهزم الله تعالى العدو، وأظهر المسلمين^(١).

وروى محمد بن عمر الأسلمي، عن عطف بن خالد: لما قتل ابن رواحة مساءً، بات خالد بن الوليد، فلما أصبح غداً، وقد جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرة، وميسرته ميمنة، فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهياتهم، وقالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا منهزمين.

قال: فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم.

وفي نص آخر: فتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاءوا، فغنم المسلمون من أموالهم، فرجعوا إلى المدينة^(٢).

وذكر ابن عائد في مغازيه نحوه^(٣).

وروى محمد بن عمر، عن الحارث بن الفضل: لما أخذ خالد بن الوليد

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٠ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٢.

(٣) راجع ما تقدم في: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢.

الراية قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الآن حمي الوطيس»^(١).
 وروى الحاكم في المستدرک، عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وهذا
 الذي ذكره أبو عامر والزهرى، وعروة، وابن عقبة، وعطاف بن خالد،
 وابن عائذ، وغيرهم، هو ظاهر قوله «صلى الله عليه وآله» في حديث أنس:
 «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله على يديه»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ وفي هامشه قال: أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٣٩٨
 كتاب الجهاد (٧٦ - ١٧٧٥) من حديث عباس، وأحمد في المسند ج ١ ص ٢٠٧
 وعبد الرزاق (٩٧٤١). وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ والسيرة الحلبية
 ج ٣ ص ٦٨ وكنز العمال ج ٤ ص ٢٥٣ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٢٩ وج ٤
 ص ٢٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٣٨ وعن البداية والنهاية ج ٤
 ص ٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ و ١٥٣ وفي هامشه قال: أخرجه البخاري
 (٤٢٦٢)، وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢
 والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٨ و ٤٨٢ و ٤٧٦ و ٤٦٩ وعن البداية
 والنهاية ج ٧ ص ١٢٩ وج ٤ ص ٢٨٣ و ٢٨٨ و ٢٩١ ومسند أحمد ج ١
 ص ٢٠٤ وعن صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٨ وج ٥ ص ٨٧ والمستدرک للحاكم
 ج ٣ ص ٢٩٨ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٩ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٤
 وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ١١٣ وج ١٠ ص ٢٣٣ والآحاد والمثاني ج ٢ ص ٢٥
 وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٨٠ والمعجم الكبير ج ٢ ص ١٠٦ وج ٤
 ص ١٠٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣٨٦ و ٥٥٩ وراجع الدر المنثور ج ٢ ص ٢٤٥
 والطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٧ والتاريخ الصغير ج ١ ص ٤٩ وتاريخ مدينة
 دمشق ج ٢٧ ص ٢٥٥ وعن أسد الغابة ج ٢ ص ٩٤.

وفي حديث أبي قتادة مرفوعاً كما سيأتي: ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء، ولم يكن من الأمراء، هو أمّر نفسه. ثم رفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إصبعه، ثم قال: «اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره»^(١). وعند الحلبي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، نعم عبد الله وأخو العشيرة، وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين، من غير إمرة حتى فتح الله عليهم»^(٢). فمن يومئذ سمي خالد بن الوليد «سيف الله»^(٣)، رواه الإمام أحمد برجال ثقات.

ويزيده قوة، ويشهد له بالصحة، ما رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والبرقاني، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: «خرجت [مع من خرج] مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، ورافقني مددي من المسلمين من اليمن، ليس معه غير سيفه. فنحر رجل من المسلمين جزوراً، فسأله المددي

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٣٦٨ وابن أبي شيبة في المصنف ج ١٤ ص ٥١٣ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وفضائل الصحابة ص ٤٤ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ٢٩٩ و ٣٠١ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٤٦ وسنن النسائي ج ٥ ص ٦٩ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٥٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ١٦ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٠٩ وج ٤ ص ٦٠ وعن تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٢٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٦.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢.

:

طائفة من جلد، فأعطاه إياه، فاتخذته كهيئة الدارقة، ومضينا، ولقينا جموع الروم، فيهم رجل على فرس له أشقر، عليه سرج مذهب، وسلاح مذهب، فجعل الرومي يسل على المسلمين، ويغري بهم، فقعد له المددي خلف صخرة، فمر به الرومي، فعرقب فرسه بسيفه، وخر الرومي، فعلاه بسيفه فقتله، وحاز سلاحه، وفرسه.

فلما فتح الله تعالى على المسلمين بعث إليه خالد بن الوليد، فأخذ منه بعض السلب.

قال عوف: فأتيت خالدًا، وقلت له: أما علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى، ولكنني استكثرتة. فقلت: لتردنه، أو لأعرفنكها عند رسول الله «صلى الله عليه وآله». فأبى أن يرد عليه.

قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما صنعت؟»

قال: استكثرتة.

قال: «رد عليه ما أخذت منه».

قال عوف: دونكها يا خالد، ألم أف لك؟

[فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وما ذاك؟»

فأخبرته].

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: «يا خالد، لا ترد عليه.

هل أنتم تاركون أمرائي؟ لكم صفوة أمرهم، وعليهم كدره»^(١).

الغنائم دليل النصر:

وقالوا أيضاً: روى محمد بن عمر، والحاكم في الإكليل، عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: أصيب بمؤتة ناس من المسلمين، وغنم المسلمون بعض أمتعة المشركين، وكان فيما غنموا خاتم جاء به رجل الى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: قتلت صاحبه يومئذ. فنقله رسول الله «صلى الله عليه وآله» إياه^(٢). وتقدم في حديث عوف بن مالك ما يشير إلى ذلك آنفاً.

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ و ١٥٢ وقال في هامشه: أخرجه مسلم ٣ ص ٤٧٣ كتاب الجهاد وذكر بعضه الواقدي في المغازي ج ٢ ص ٧٦٨.
- وراجع: نيل الأوطار ج ٨ ص ٩٦ و ٩٧ وعن صحيح مسلم ج ٥ ص ١٤٩ ومسند أبي داود ج ١ ص ٦١٨ وعون المعبود ج ٧ ص ٢٧٨ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣٨٥ و ٣٨٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٨ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٨٨ والمغني لابن قدامة ج ١٠ ص ٤٣٠ والمحلى لابن حزم ج ٧ ص ٣٣٨ وعن مسند أحمد ج ٦ ص ٢٨ وسنن أبي داود ج ١ ص ٦١٨ وعن المعبود ج ٧ ص ٢٧٨ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٢٣١ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ١٧٦ ومسند الشاميين ج ١ ص ٢٧٥ وعن نصب الراية ج ٤ ص ٣٠١ وراجع: كنز العمال ج ١٠ ص ٣٨٦ وعن أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٨ ص ٩٠ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧٢.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٨ والسنن الكبرى ج ٦ ص ٣٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ١٦.

وروى محمد بن عمر، عن خزيمة بن ثابت قال: «حضرت مؤتة، فبارزني رجل منهم يومئذ، فأصوبته وعليه بيضة له فيها ياقوتة، فلم تكن همتي إلا الياقوتة، فأخذتها. فلما رجعنا إلى المدينة أتيت بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» فنفلنيها، فبعثها زمن عثمان بمائة دينار، فاشتريت بها حديقة نخل»^(١).
قال في البداية: «وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم، وسلبوا من أشرفهم، وقتلوا من أمرائهم»^(٢).

وروى البخاري عن خالد، قال: «لقد اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وما ثبت في يدي إلا صفيحة بيانية»^(٣).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٩ والسنن الكبرى ج ٦ ص ٣٠٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٦ وراجع: كنز العمال ج ١٠ ص ٥٥٥ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٣٥٩ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٦٨ (لكن بدل زمن عثمان زمن عمر).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٢ وفي هامشه قال: أخرجه البخاري ج ٧ ص ٥٨٨، وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٣ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ١ ص ٤٠٨ والإصابة ج ١ ص ٤١٤ وج ٢ ص ٢١٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٤ ص ٥٨٢ وج ٧ ص ٥٧٩ وج ٨ ص ٥٤٨ والمعجم الكبير ج ٤ ص ١٠٤ ورياض الصالحين ليحيى بن شرف النوري ص ٧١٧ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ٢٥٣ وج ٧ ص ٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨١ و ٢٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٥ و ٤٧٢.

وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، إذ كان المسلمون ثلاثة آلاف، والمشركون أكثر من مائتي ألف، وهذا وحده دليل مستقل^(١).

وقال الحلبي: وفي رواية: أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة، وأصاب غنيمة.

وهذا لا يخالف ما يأتي أن طائفة منهم فروا إلى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم، فصار أهل المدينة يقولون لهم: أنتم الفرارون^(٢).

وقد ذكر ابن إسحاق: أن قطبة بن قتادة العذري، الذي كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن زافلة، ويقال: ابن رافلة، وهو أمير أعراب النصارى، فقتله، وقال قطبة يفتخر بذلك:

طعنت ابن رافلة ابن الإراش برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جيده ضربة فمال كما مال غصن السلم
وسقنا نساء بني عمه غداة رقوقين سوق النعم
وهذا يؤيد ما نحن فيه، لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل أن يفر أصحابه، ثم إنه صرح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم، وهذا واضح فيما

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٦ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٥.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٨ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٩ تاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٣٠ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٦ وعن السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٤.

ذكرناه^(١).

وعن أنس قال: نعى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو على المنبر زيداً، وجعفرأً، وابن رواحة للناس يوم أصيبوا قبل أن يأتيه خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعينه تذر فان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله عليهم»^(٢).

وروى النسائي، والبيهقي، عن أبي قتادة قال: «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» جيش الأمراء، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله، فصعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المنبر، فنودي: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧٢ و ٤٧٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ٤٩٣ و ٣٣٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٣ عن البخاري والبيهقي، وفي هامشه: عن البخاري ج ٧ ص ٩٢ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ ومسند أحمد ج ٣ ص ١١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٥٤ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢ وطبقات ابن سعد ج ٤ ق ١ ص ٢٥ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٩٦ وراجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٩٤ وأحكام الجنائز ص ١٦٦ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٧ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ١١٣ وج ١٠ ص ٢٣٣ والكامل لابن عدي ج ٢ ص ٢٧٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٣.

«أخبركم عن جيشكم هذا. إنهم انطلقوا فلقوا العدو وقتل زيد شهيداً، فاستغفر له. ثم أخذ اللواء جعفر فشدد على القوم حتى قتل شهيداً، فاستغفر له، ثم أخذه خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، هو أمر نفسه». ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره». فمن يومئذ سمي خالد: «سيف الله»^(١).

صمود ونصر، أو مجرد انحياز:

فاتضح مما تقدم: أن سياق حديث هؤلاء يسير باتجاه الإيحاء بأن الذي كان في مؤتة هو إما الانحياز والمحاشاة، أو النصر والفتح.. ثم يصرحون بعدم صحة الأول، ويؤكدون على صحة الثاني، كما رأينا.. غير أننا نقول:

إن هؤلاء الناس أنفسهم قد ساقوا لنا طائفة من الدلائل والشواهد على أن الأمر لم يكن كما زعموا، وإن كان ربما يلاحظ في بعضه سعي لحفظ

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢ وأحكام الجنائز ص ٣٣ وفضائل الصحابة ص ١٨ و ٥٣ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ٢٩٩ و ٣٠١ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٦ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٤ والمصنف ج ٨ ص ٥٤٦ والسنن الكبرى ج ٥ ص ٤٨ و ٦٩ و ٧٧ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٥٢٣ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣٨٧ و ٥٥٦ والطبقات الكبرى ج ٧ ص ٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٧ و ج ١٦ ص ٢٣٨ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٠٩ و ج ٤ ص ٦٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٦.

ماء الوجه بطريقة أو بأخرى..

كما أن نفس تلك النصوص التي أرادوا منها أن تدل على صحة ما قالوه وتؤيده قد جاء أكثرها عاجزاً عن ذلك، كما سيتضح إن شاء الله تعالى.

تهافت بلا مبرر:

إن هناك العديد من الموارد قد تخالف ما سبق وقد ظهر فيها أيضاً التهافت حتى في الرواية الواحدة، فلاحظ ما يلي:

١ - حدث رجل من بني مرة، كان في الجيش. قيل له: إن الناس يقولون: إن خالدًا انهزم من المشركين.

فقال: لا والله، ما كان ذلك. لما قتل ابن رواحة، نظرت إلى اللواء قد سقط، واختلط المسلمون والمشركون، فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً، واتبعناه فكانت الهزيمة^(١).

٢ - ويروي الواقدي عن محمد بن صالح، عن رجل من العرب عن أبيه: أنه لما قتل ابن رواحة انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط، في كل وجه، ثم تراجعوا، وكان ثابت بن أقرم قد أخذ اللواء.. ثم أعطاه لخالد «فأخذه خالد، فحملة ساعة، وجعل المشركون يحملون عليه، فثبت حتى تكركر المشركون، وحمل بأصحابه، ففض جمعاً من جمعهم، ثم دهمه منهم بشر كثير، فانحاش المسلمون، فانكشفوا راجعين»^(٢).

(١) المغازي ج ٢ ص ٧٦٢ و ٧٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٨ ص ٨٧.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠ وتاريخ الخميس ج ٢

ص ٧٢ والبحار ج ٢١ ص ٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٥ وج ١١ ص ١٠٨.

قال ابن إسحاق: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، فقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد^(١). وروى الطبراني عن أبي اليسر الأنصاري، قال: أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب عبد الله بن رواحة، فدفعت إلى خالد. وقال [له ثابت بن أقرم]: أنت أعلم بالقتال مني^(٢). وعند الواقدي: أنت رجل سن، وقد شهدت بدرًا. زاد الحلبي: «فقال له خالد: أنت أحق به مني، لأنك ممن شهد بدرًا، ثم أخذه خالد ومانع القوم، وثبت، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة على أحدهما»^(٣).

-
- (١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ والسيرة النبوية ج ٤ ص ٢٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٩ والثقات ج ٢ ص ٣٣ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٤ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٧ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٤ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ١٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ١٠٦ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٢٢٠.
- (٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧.

٣ - وعن ابن كعب بن مالك قال: حدثني نفر من قومي حضروا يومئذ، قالوا: لما أخذ خالد اللواء انكشف بالناس، فكانت الهزيمة، وقتل المسلمون، واتبعهم المشركون، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً، يصيح بأصحابه، فما يثوب إليه أحد، هي الهزيمة.

ويتبعون صاحب الراية منهزماً^(١).

٤ - وعن أبي هريرة: لما قتل ابن رواحة، انهزم المسلمون، فجعل خالد يدعوهم في أخرهم، ويمنعهم عن الفرار، وهم لا يسمعون، حتى نادى قطبة بن عامر: أيها الناس، لأن يقتل الرجل في حرب الكفار، خير من أن يقتل حال الفرار، فلما سمعوا كلام قطبة تراجعوا^(٢).

طريق جمع فاشل:

وقد حاول بعضهم: أن يجمع بين هذه الروايات المختلفة والمتخالفة، فقال: «هذا لا يخالف ما يأتي من أن طائفة منهم فروا إلى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم، فصار أهل المدينة يقولون لهم: أنتم الفرارون»^(٣). قال في البداية: لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع العدو، على ما ذكره مائتي ألف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف، ومثل هذا يسوغ الفرار. فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم، وفتح الله عليهم، وتخلصوا من أيدي

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٩ ص ٣٣٧.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٩.

أولئك، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، كما ذكره الزهري، وموسى بن عقبة،
والعطاف بن خالد، وابن عائد.

وحديث عوف بن مالك السابق يقتضي أنهم غنموا منهم، وسلبوا من
أشرافهم، وقتلوا من أمرائهم.

وقد تقدم فيما رواه البخاري: أن خالداً قال: «اندقت في يدي تسعة
أسياف الخ..»، يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا
على التخلص منهم، وهذا وحده دليل مستقل^(١).

وقال الصالحى الشامي: أكثر الآثار تدل: على أن المسلمين هزموا
المشركين، وفي بعضها أن خالداً انحاز بالمسلمين، وقد تقدم بيان ذلك.

قال الحافظ: ويمكن الجمع بأن يكون المسلمون هزموا جانباً من
المشركين، وخشي خالد أن يتكاثر الكفار عليهم. فقد مر أنهم كانوا أكثر
من مائتي ألف، فانحاز عنهم حتى رجع بالمسلمين إلى المدينة^(٢).

وقال الحافظ ابن كثير في البداية: يمكن الجمع بأن خالداً لما انحاز
بالمسلمين بات، ثم أصبح وقد غير بقية العسكر كما تقدم، وتوهم العدو
أنهم قد جاءهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبعهم، ورأى
الرجوع بالمسلمين مع الغنيمة الكبرى^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٦ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٩ وعن
فتح الباري ج ٧ ص ٢٩٥ (وفيه أنهم أكثر من مائة ألف بدل مائتي ألف).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٦ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٥ (وفيه أنهم
أكثر من مائة ألف بدل مائتي ألف).

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٨ و ١٥٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤.

وقال الواقدي: «فانكشفوا منهزمين، فقتلوا مقتلة عظيمة، لم يقتلها قوم»^(١).

غير أنه سيتضح: أن هذه التمحلات بعيدة جداً عن الواقع، وأن من نسب إليهم القول بحصول النصر والفتح على يد خالد ومن معه، لا تصح النسبة إلى معظمهم، أو لا يصح الاستدلال بقولهم.. فنسبة ذلك إليهم ما هو إلا تدليس ظاهر، من ماكر ماهر.

والذين نسب إليهم ذلك هم - كما زعموا - أبو عامر، وأبو هريرة، والزهرري، وعوف بن مالك، وأنس، وابن عائذ، وعروة، وأبو سعيد الخدري، وعطاف بن خالد، وابن عقبة..

وسيتضح فيما يلي مطالب عدم صحة ذلك، إلا بالنسبة لبضعة أفراد لا يصل عددهم إلى عدد أصابع اليد الواحدة. بل إن بعضهم قد روى العكس، كما سنوضحه فيما يلي:

حديث جابر وخزيمة:

ورد في حديث جابر كلام عن اغتنام بعض أمتعة المشركين، وأن أحدهم غنم خاتماً، فجاء به إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فنقله إياه^(٢). بالإضافة إلى حديث الياقوتة التي غنمها خزيمة بن ثابت، فنقله إياها

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٨.

رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١) أيضاً..

وكلا الحديثين غير مفيد، وذلك لما يلي:

١ - إنه لو كان هناك نصر وفتح، وغنائم في مؤتة، فلا بد أن يقسم في ساحة المعركة، بعد انتهاء الحرب، فما معنى أن يبقى ذلك الخاتم مع ذلك الرجل إلى المدينة، حتى يعرضه على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لينفله إياه؟!!

ولماذا لم يعترض رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ذلك الرجل، لأنه احتفظ بذلك الخاتم إلى هذا الوقت؟

ولماذا لم يسأله عن السبب في أنه لم يعلم به أمير الجيش حين اقتسام الغنائم؟!!

٢ - إن رواية خزيمة تصرح بأن خزيمة قد قتل صاحب الياقوتة، وسلبه إياها، فهو من السلب الذي حكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه للقاتل، وقد كان هذا الأمر معروفاً لدى الناس، كما ظهر من قصة عوف بن مالك مع خالد. فما معنى مراجعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الياقوتة، لينفله إياها.

٣ - إن الحرب في مؤتة لم تكن عابرة، وبلا جهد وجهاد، من قبل جيش المسلمين، حتى لو كان هذا الجيش قد انهزم في نهاية الأمر متابعه منه لخالد بن الوليد حامل لوائه.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٩ وكتر العمال ج ١٠ ص ٥٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٣٥٩ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٨٦.

وقد ذكروا: أن ذلك الجيش بقي سبعة أيام يقاتل أعداءه إلى أن استشهد قاداته الثلاثة. ومن الطبيعي أن يحصل بعضهم على بعض السلب ممن كانوا يقتلونهم من أفراد جيش العدو.. ثم كانت الهزيمة بعد ذلك على يد خالد، ولم يكن هناك اقتسام لغنائم، فجاء أولئك الأفراد ببعض ما حصلوا عليه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولعل قصة جابر، وخزيمة قد جاءت على هذا السياق.

٤ - إن رواية خزيمة نفسها تصرح بالهزيمة، فقد جاء فيها - حسب رواية البيهقي - قوله: «فأخذتها، فلما انكشفنا رجعنا إلى المدينة الخ...»^(١). فما معنى الاستدلال بهذه الرواية على صمودهم، وعلى حصول النصر والفتح لهم؟!

حديث عوف بن مالك:

وجاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي: أن أحدهم قد غنم فرس وسلاح أحد المشركين. ونقول:

١ - إن هذا أيضاً لا يدل على أنه قد غنم ذلك بعد استشهاد القادة، بل ظاهر الرواية: أن ذلك قد حصل بمجرد نشوب الحرب، وبمجرد التقاء المسلمين بجموع الروم.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٦ وراجع: شرح النهج ج ١٤ ص ٢٧٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٣٥٩ وج ٢٤ ص ٣٩٧ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٨٦.

٢ - إن هذا الحديث مرفوض جملة وتفصيلاً، فإنه يكاد يكون صريحاً في ادّعاء: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تناقض في تصرفاته، إذ إنه إذا كان - كما يزعمون - قد خطأ خالداً في رأيه الأول، فكيف صح أن يعود إلى تصويبه أخيراً. فهل يصح تصويب الخطأ؟!

قال الصالحى الشامى: إنما رد «صلى الله عليه وآله» السلب إلى خالد بعد الأمر الأول بإعطائه للقا تل نوعاً من النكير، ودعا له، لئلا يتجرأ الناس على الأئمة.

وكان خالد مجتهداً في صنيعة ذلك، فأمضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» اجتهاده لما رأى في ذلك من المصلحة العامة، بعد أن خطأه في رأيه الأول.

ويشبه أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» عوّض المددي من الخمس الذي هو له، وأرضى خالداً بالصفح عنه، وتسليم الحكم له في السلب^(١). ونقول:

ويلاحظ عليه: أنه يعترف بخطأ خالد في أخذه السلب من صاحبه، فردّه النبي «صلى الله عليه وآله» عليه، ثم رأى أن من المصلحة أن يتراجع عن حكمه هذا. ويسترجع السلب من صاحبه مرة أخرى.. ثم لما رأى شناعة هذا الفعل ادّعى من عند نفسه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عوّض ذلك المددي من الخمس!!

ولا ندري من أين جاء بهذا الادعاء التاريخي الخيالي والموهوم، الذي

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٩.

يلزم منه نسبة السفه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد عوضه من الخمس، فلماذا يأخذ منه مالا هو له، وحتى يجب عليه أن يعوض صاحبه عنه؟!

فإن قيل: إن السبب هو التأديب.

أجيب: بأن التأديب لا يحصل بهذا النحو من التصرف العبثي.

٣ - إنه إذا كان خالد بن الوليد هو الذي أمر نفسه، كما هو مجمع عليه عند المؤرخين؛ وكما صرحت به بعض الروايات.

فما معنى أن يغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويقول لعوف: «هل أنتم تاركون أمرائي لكم صفوة الخ..» فإن خالداً لم يكن أميراً من قبله «صلى الله عليه وآله»، وإذا كان الناس قد رضوا به أميراً، فعليه (أي على خالد) أن يلتزم بالحدود التي فوضوه التصرف فيها..

٤ - ما معنى أن ينسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال عن أمرائه «لكم صفوة أمرهم، وعليهم كدره»؟! فهل ذلك يعني أنه لا يحق لأحد أن يعترض على الأمير إذ حكم بغير ما أنزل الله؟! وتصرف على خلاف ما يريده الله؟ وما جاء في سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

كما هو الحال في هذا المورد بالذات؟!

٥ - وأي صفوة ظهر من خالد هنا، وهو يظلم شخصاً حقه الذي قرره له الشرع الشريف وسنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! بل هو يصير على سلبه حقه هذا حتى بعد أن أخبره بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي سن وقرر، وقضى بأن السلب للقاتل.. فهل هذا من صفوة الأمر الذي يعود نفعه للناس؟!

وهل يصح توجيه اللوم والتأنيب إليهم، إذا لم يرضوا بهذا التعدي؟!
٦ - هل يمكن أن يتخيل أحد أن السلب إذا كان كثيراً فليس للقاتل أن يأخذه، وأن السلب القليل فقط هو الذي يكون له؟!
٧ - هل وعد عوف لخالد: بأنه سيعرّفه الحكم الصحيح عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم تذكيره إياه بهذا الوعد، يستدعي هذا الغضب من النبي «صلى الله عليه وآله»؟! ويوجب إنزال هذه العقوبة به؟!
٨ - حتى لو كان عوف قد تجاوز الحد مع خالد، فهل هذا يبطل حقه بالسلب؟! وهل عقوبة من يتجاوز الحد بهذا النحو هي دفع هذه الغرامة المالية؟! أم أن العقوبة هي الحبس أو التعزير، أو ما إلى ذلك؟!
خالد يتحدث عن نفسه!!

وحديث خالد عن بطولاته أيضاً، حتى إن سبعة أسياف قد اندقت بيده، ولم تثبت بيده إلا صفيحة يمانية - إن ذلك - كله لا مجال لقبوله، وذلك لما يلي:

١ - جاءت الأخبار الكثيرة لتؤكد أن خالداً قد فر، بل كان أول الفارين.

٢ - إنه إنما يجرُّ بذلك النار إلى قرصه، ويسعى إلى تبرئة نفسه. ولا تقبل شهادة الإنسان لنفسه في القضاء، إلا إذا كان نبياً أو وصي نبي، أو ممن جاء الوحي الإلهي بقبول أقوالهم، وأخبر الله عن صدقهم..

وأما في غير القضاء، فلا بد أن تثبت وثاقة من يتحدث عن نفسه، وتقوم الشواهد على صدقه، وليس خالد من هؤلاء، فإنه قاتل مالك بن نويرة،

.....
:
والزاني بامرأته، والمتحامل على أهل البيت «عليهم السلام»، والمشارك في
مهاجمة بيت الزهراء «عليها السلام» إلى غير ذلك من موبقات..

٣ - إنه لم يصرح بالوقت الذي ظهرت فيه بطولاته هذه، فهل كانت
بعد استشهاد القادة الثلاثة؟! أو كانت قبل ذلك؟!

فإن كانت في الأيام السبعة التي سبقت استشهادهم، فلا تفيد في دفع
التهمة الواردة في النصوص، والدالة على أنه حين استشهاد القادة أثر الفرار
على الثبات..

٤ - لعل البطولات التي تحدث عنها خالد قد كانت في تلك القرية
التي هاجمها حين عودتهم من مؤتة، وكان بها حصن أيضاً، فافتتحوه،
وقتل خالد من كان فيه من المقاتلين، كما سنرى..

حديث قتل ابن رافلة:

والحديث القائل: إن قطبة بن قتادة العذري قد قتل مالك بن رافلة، لا
يدل أيضاً على مطلوبهم، وذلك لما يلي:

١ - من الذي قال: إن قتل ابن رافلة قد كان بعد استشهاد القادة
الثلاثة، فإن القتال قد دام سبعة أيام قبل استشهادهم حسبما استظهرناه.
فلعله قتله في تلك الأيام السابقة.

٢ - إنهم قد ذكروا: أن الجيش قد هاجم - وهو عائد - قرية لها: حصن،
فحاصروهم حتى فتحوا ذلك الحصن. وقتل خالد مقاتلتهم^(١).

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ و ١٥٥ وعن
فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٦.

فلعل ابن رافلة قد قتل في هذه المعركة.

٣ - أما حديث السبي الوارد في هذه الرواية، فأمره أكثر إشكالاً، وحديثه أكثر اعتلالاً، واختلالاً، فإنهم إذا كانوا قد سبوا أحداً فلماذا اختص ذلك بنات عم أمير أعراب النصارى؟! ولماذا لم تُسَبَّ آلاف النسوة اللواتي كن مع ذلك الجيش العظيم، الذي يدَّعون أنه قد هُزم على يد خالد وجيشه؟! حيث لا بد أن تغص المدينة بهذا السبي الهائل!!

على أن الأهم من ذلك هو كيف يترك ذلك الجيش بنات عم أعظم أمراء نصارى الأعراب تسبين، ثم لا يلحق بالمسلمين لتخليصهن؟

٤ - إن الشعر المذكور في الرواية يدَّعي: أن سبي بنات عم ابن رافلة إنما حصل في الغارة على موضع سماه بـ «رقوقين» وقد بحثت عن هذا الاسم، فلم أجد فيما توفر لدي من مصادر شيئاً يفيد في تحديد معناه سوى أنه اسم موضع.

وقال الصالحى الشامى: «لم أجد له ذكراً فيما وقفت عليه من أسماء الأماكن»^(١).

ومن الذي قال: إن هذا الموضع كان في مؤتة؟!

٥ - إن ما ذكره من أن ابن رافلة كان أمير أعراب النصارى، لا يتناسب مع ما يذكرونه من أن الحارث ابن أبي شمر الغساني كان هو الأمير الأكبر في تلك المنطقة، وكان عاملاً لقيصر ملك الروم..

إلا أن يقال: إنه كان أميرهم في القتال في تلك المعركة..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٥.

إخبار النبي ' عن الشهداء:

أما ما ذكروه: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصف المعركة للمسلمين، ونعى «صلى الله عليه وآله» زيدا، ثم جعفراً، ثم ابن رواحة، ثم أخبر عن أخذ خالد للراية، ووصفه بأنه: سيف من سيوف الله، ففتح الله عليهم. نقول فيه:

١- قد تقدم: أن جعفراً كان هو الأمير الأول في مؤتة، وهذه الروايات تذكر تقدم زيد عليه، وهذا يشير إلى وجود تلاعب وتصرف في هذا الأمر، فلا يؤمن أن يكون التلاعب قد نال مواضع أخرى في الرواية أيضاً.

٢ - إذا كان خالد سيفاً من سيوف الله، وله هذه الشجاعة الفريدة، والهمة العتيدة، وهذا الأثر العظيم، فلماذا لم يوله القيادة معهم «صلى الله عليه وآله» قيادة الجيش من أول الأمر؟! بل هو لم يوله أصلاً؟!..

فهل يعقل أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد فرط في أمر المسلمين، فولى من ليس أهلاً، وترك هذا الرجل العظيم؟! مع علمه بموقعه، وبأثره، كما ظهر من وصفه له بأنه سيف من سيوف الله؟!..

أم أنه - والعياذ بالله - قد أراد التخلص من القادة الثلاثة بصورة غادرة ومأكرة، لأسباب عجز التاريخ عن الإفصاح عنها؟! وهل يصح هذا المكر والغدر من أفضل الأنبياء وأشرف الخلق؟! وهل يكون مسلماً أو مؤمناً من يعتقد بالنبي أنه - والعياذ بالله - يغدر ويمكر؟!..

ومن الذي قال: إن هذا الموضع قد كان في مؤتة؟!..

٣ - وإذا كان «صلى الله عليه وآله» لا يميز بين من هو أهل للقيادة، وبين من ليس أهلاً لها، فالأمر يصبح أعظم وأدهى، لما يتضمنه من الطعن

.....
في عقل وإدراك النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»، نعوذ بالله من الخطأ
والزلل، في الفكر والقول، والعمل.

٤ - وأما الحديث عن أن خالداً هو سيف الله، فستأتي الإشارة إلى أنه
غير صحيح إن شاء الله تعالى.

٥ - وأي فتح كان على يد خالد سوى الفرار القبيح والمزري، الذي
استحق به هو ومن معه أن يحشو أهل المدينة التراب في وجوههم، وأن
يقاطعوهم، ولا يكلمهم منهم أحد؟!!

حديث عطف بن خالد:

وقد ذكر في حديث عطف بن خالد: أن ابن رواحة قتل مساءً، ثم لما
أصبحوا غير خالد الميمنة إلى الميسرة والعكس، وجعل الساقة مقدمة، فأوهم
ذلك جيش الأعداء بأن مدداً قد أتى للمسلمين، فهربوا رعباً من ذلك..
ونقول:

١ - هل طبعت صورة الأشخاص في الجيش الإسلامي في ذاكرة جيش
العدو حتى أصبح يتحرك ويتعامل مع خصوص تلك الصور؟!
وحتى لو كان الأمر كذلك، فهل كان من الواجب أن لا تتبدل مواقع
الأفراد في كل يوم عما كانت عليه في اليوم السابق؟!
ولماذا لا يفسرون هذا التبدل: بأن القائد الميداني قد وزع الأشخاص
بطريقة مخالفة للتوزيع الذي كان في اليوم السابق؟!
ولماذا يظنون بوصول مدد للجيش المقابل. ألا يرون حجمه، وعدده؟
وأنه لم يزد عما كان عليه في اليوم السابق؟!!

٢ - هل صحيح: أن الناس تمكنوا من المبيت في ساحة المعركة، حتى بعد استشهاد ابن رواحة؟! أم أن الهزيمة قد حلت بهم، وغادروا إلى جهة المدينة يتقدمهم خالد فور استشهاد ابن رواحة؟!

إن النصوص التي أوردناها تؤكد هذا الأمر الثاني!!

٣ - إذا كان المسلمون قد قتلوا المشركين كيف شاؤوا، أو قتلوهم مقتلة لم يقتلها قوم، فلماذا اختص نقل ذلك بعطاف بن خالد، وبابن عائد؟! ولماذا لم ينقله حتى ابن إسحاق، وهو المعتمد في المغازي، بل الناس عيال عليه فيها؟! بل لماذا جاءت الروايات الأخرى من الذين حضروا المعركة لتؤكد على حصول الهزيمة النكراء؟!

٤ - ولماذا لم يحتف أهل المدينة بهؤلاء الفاتحين حين عودتهم، ولم يكرمهم، ولم يقيموا لهم الإحتفالات، ولم يتغن أحد من الشعراء بهذا النصر العظيم؟!

بل هم قد واجهوهم بما يسؤهم، حتى اضطروهم بالاختباء في بيوتهم؟! بل لماذا لم يعتذروا هم للناس ولم يقولوا لهم: إن القضية كانت على عكس ما يظنون، فقد انتصروا على أعدائهم، وقتلوهم قتلة لم يقتلها قوم، وهزموهم أسوأ هزيمة؟!

ولماذا لم تشفع لهم الغنائم والسبايا التي جاؤا بها إلى المدينة؟ والتي لا بد أن تعد بعشرات الألوف، ولماذا لم يحمد غضب الناس الغاضبين ولم ينظر إليها أحد من أهلهم ومحبيهم الذين طردوهم وأهانوهم؟!

ولماذا لم يدافع عنهم الرسول الكريم «عليه السلام» إذا كانوا مظلومين فيما يجري لهم؟ ولماذا؟! ولماذا؟!

حديث برذع:

وقد لوحظ: أن ما روي عن برذع بن زيد، من أن المسلمين اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام^(١) قد أورد في سياق الإستدلال على عدم هزيمة خالد، مع أنه لا يدل على ذلك، لأن الظاهر: هو أنه يتحدث عن الفترة التي استمرت فيها المبارزات والمناوشات قبل استشهاد القادة. بل الأولى جعله من أدلة هزيمته، والشاهد على ما نقول: أن الظاهر: هو أن ابن رواحة قد حارب المشركين أياماً قبل استشهاد، حتى إن ابن عم له قد جاءه بعرق من لحم ليقيم به صلبه، بعد أن لقي ما لقيه في أيامه التي سبقت استشهاد^(٢).

حديث أبي عامر:

١ - وقد ظهر من رواية أبي عامر المتقدمة: أنهم يريدون أن يدعوا: أن الهزيمة التي حلت بالمسلمين قد حلت بهم قبل أن يأخذ خالد اللواء.. وقد فصلنا الكلام حول هذه المقولة، وأظهرنا أنها لا يمكن قبولها، لأن النصوص المختلفة تكذبها.. ويكفي دليلاً على ذلك ما جرى في المدينة من أن الناس قد حثوا التراب في وجه الجيش العائد بقيادة خالد، وعيروهم بهذا الأمر، حتى انزوا في بيوتهم.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ عن القراب في تاريخه، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣

ص ٤٦٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣

ص ٨٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٢.

٢ - إن رواية أبي عامر تذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد علم بما جرى في مؤتة من أبي عامر نفسه، مع أن النصوص الأخرى تؤكد على أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبر الناس وهو على المنبر بما جرى لحظة فلحظة، حيث خفض الله له كل رفيع، ورفع له كل خفيض، حتى رأى ما يجري هناك.

٣ - إن الحديث المتقدم عن الرجل المّري يصرح: بأن خالداً كان في طليعة المنهزمين، وتبعه الناس في الهزيمة، وحديث أبي عامر أيضاً ذكر أن الناس انهزموا أسوأ هزيمة رآها قط. حتى لم ير اثنين جميعاً.

ولكن أبا عامر يدّعي: أن الناس قد تجمعوا بعد تلك الهزيمة، وهاجموا جيش العدو، وهزموه.

وهو كلام غير مقبول، فإنه إذا وقعت الهزيمة، فسيتقى الجيش المتفوق يلاحق المنهزمين، ويمعن فيهم قتلاً، وأسراً، ويطلب الحصول على ما يتركونه من غنائم..

ولم نر جيشاً منتصراً يترك عدوه يفلت من يده، ويقف ليتفرج عليه وهو ينسحب من الساحة بأمان، ويمهله حتى تتجمع فلوله، ثم يعود لمهاجمته من جديد، خصوصاً مع علمه بأن ملاحقة فلول الجيش المنهزم لا تضره، ما دام أن مصدر الإمداد لهم بعيد عنهم مسيرة أيام كثيرة، بل لعل عبارات أبي عامر الذي لم ير اثنين جميعاً، تشير إلى حدوث هذا الإمعان في ملاحقتهم لتفريق جمعهم، وتشيت شملهم..

٤ - على أن حديث أبي عامر هذا لا يتلاءم مع ما زعموه من أن ابن رواحة قد قتل عند المساء، فباتوا. وفي اليوم التالي خالف خالد في ترتيب أجنحة الجيش فخاف جيش العدو، فانهزم.

٥ - إن الهزيمة معناها سعي المنهزمين للخروج من المعركة بأقصى سرعة
يقدرّون عليها. ولذلك يسعى الفرسان إلى اقتناء السابق من الخيل، ليتمكن
صاحبها من الحركة السريعة في ميدان الحرب، ومن اللحاق بالمطلوب إذا كان
طالباً ومن النجاة عليه إن حز به أمر، يخاف فيه الهلاك، فأصبح هارباً..

فما معنى أن يتمكن أبو عامر من أخذ اللواء في لحظات الهزيمة، ثم أن
يسعى حتى يسبق المقاتلين، ويصير أمامهم؟! إلا أن يكون أسرع من الطير
في الهواء، ومن السهم في حنايا البيداء؟!

٦ - إن حديث أبي عامر يصرح: بأن ثابت بن أقرم الأنصاري أعطى
اللواء إلى خالد، فرفض خالد قبوله: فقال الأنصاري: والله ما أخذته إلا لك..
مع أن ابن اسحاق يقول: إن ثابتاً أخذ اللواء وقال: يا معشر المسلمين،
اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا: أنت.
فقال: ما أنا بفاعل.

فاصطلح الناس على خالد..

وفي نص ثالث عن أبي اليسر: أنه هو الذي دفع الراية إلى ثابت بن
أقرم، فدفعت (بالبناء للمجهول) إلى خالد، فهل ذلك يدل على أن الذي
دفع الراية إلى خالد هو غير ثابت هذا؟!

وفي جميع الأحوال نقول: أي ذلك هو الصحيح؟!

٧ - ما معنى أن يقول ثابت بن أقرم لخالد: ما أخذته إلا لك؟!

فلماذا أخذه لخصوص خالد؟! ألم يكن في ذلك الجيش من يليق بمقام
القيادة غير خالد؟! أم أن لخالد خصوصية لدى ثابت بن أقرم.. أو أنه هو
وحده المقبول من قبل المقاتلين؟!

.....
:
والإحتمال الأخير بعيد، فإن رواية ابن اسحاق قد صرحت: بأنه حين قال ثابت بن أقرم للناس: إصطلحوا على رجل منكم.

قالوا: أنت. ولم يذكروا خالداً ولا غيره.
وهذا معناه: أنه لم تكن لخالد عندهم خصوصية تميزه عن غيره وترجحه على من عداه لقيادة الجيش.

٨ - على أن رواية ثابت بن أقرم تصرح: بأن خالداً هو الذي بادر إلى أخذ اللواء بنفسه، ولم يأخذه له ابن أقرم، وتصرح أيضاً: بأنه أخذه وانهم به، فتبعه الناس..

٩ - ثم إن رواية أبي عامر تدّعي: أن ثابتاً هو الذي دعا الناس إليه، فاستجابوا له، واجتمعوا عنده، فأعطى اللواء لخالد..

مع أن أبا هريرة يقول: إن الناس إنما تراجعوا عن الهزيمة استجابة لكلام قطبة بن عامر. وإن كانت رواية ابن كعب بن مالك تذكر: أنهم لم يستجيبوا لقطبة أيضاً بل اتبعوا صاحب الراية في هزيمته. وصاحب الراية هو خالد نفسه.. وقديماً قيل: لا حافظة لكذوب.

وأغرب من ذلك، ما زعمه أبو هريرة أيضاً: من أن خالداً جعل يصيح بالناس حين انهزموا، ويدعوهم في أخرهم، فلم يستجيبوا له، فلما دعاهم قطبة استجابوا، مع أن رواية الرجل المرّي تقول: إن خالداً كان أول من انهزم، ثم تبعه الناس. ومع أن السؤال المحير يبقى ماثلاً أمامنا عن السبب في استجابة الناس لقطبة بن عامر، وعدم استجابتهم لخالد!!

ألا يجعلنا هذا التهافت نظن: أن المهم عند أبي هريرة هو حفظ ماء وجه خالد، والتصريح بأنه لم ينهزم، بل المنهزم هم الآخرون؟!.

إيهام أم إيهام؟!

وذكرت بعض الروايات المتقدمة: أن ثابت بن أقرم الأنصاري أخذ اللواء، وجعل يصيح بالأنصار، ثم سعى به إلى خالد. ونقول:

لماذا خص صياح ثابت بن أقرم بالأنصار؟ هل يريد الإيحاء بأن الهزيمة إنما وقعت على الأنصار دون المهاجرين؟! وربما لأجل ذلك أعطى اللواء لخالد، الذي يعد في جملة المهاجرين دون الأنصار؟!

أم أنه يريد أن يفهمنا: أن المهاجرين لم يحضروا غزوة مؤتة لتقع الهزيمة عليهم. (رغم أن الروايات قد صرحت بأسماء عدد منهم كان قد حضر مؤتة) أم أن ثابت بن أقرم لم يكن يرى أن من حقه أن ينادي المهاجرين، لأنه كان أنصاريًا، ولم يكن مهاجريًا؟!

مع أن هذا باطل أيضاً، ولوصح، فقد كان بإمكانه أن يقول كما ذكرته رواية أبي عامر وغيرها: إني أيها الناس.. ولكنها قد غيرت، لأن هؤلاء الناس يريدون حياكة الأمور بطريقة ذكية، تجعلها تصب في الاتجاه الذي رسموه، وتخدم الأهداف التي حددوها.. حتى إذا ما رأوا: أن في تلك الصياغة ما يضر أيضاً بمصالحهم، عادوا إلى التقليم والتطعيم، والتغيير والتبديل، وفق ما يحبون، وعلى حسب ما يشتهون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

هل اصطلح المسلمون على خالد؟!

وقد تقدم: أن الروايات قد اختلفت في كيفية وصول اللواء إلى خالد،

.....
:
فهل خصه به ثابت بن أقرم، وهو إنما اخذ اللواء له؟! أم أن المسلمين اصطلحوا على خالد؟!

ونضيف هنا التساؤلات التالية:

هل كانت هناك فرصة للحوار حول موضوع اللواء، بعد قتل القادة، مع أن المسلمين قد اختلطوا بالمشركون؟!
أم ان المقصود هو تشريف خالد، وإظهار عظمته، وبخوع الناس لشجاعته، وتنزهه عن السعي لأخذ اللواء، وإظهار أنه أعلم بالقتال من غيره، وأن المسلمين هم الذين حملوه هذه المسؤولية؟! وأنه.. وأنه؟!
أم أن المطلوب هو التعتيم على الحقيقة والتشكيك بالنصوص التي صرحت: بأن خالدًا بمجرد أن أخذ اللواء، الذي كان قد سقط على الأرض انهزم به، فلما رآه المسلمون منهزماً تبعوه ووقع المحذور - كما صرحت به روايات عديدة، ومنها رواية ذلك الرجل المربي، وغيرها؟!

ثبت خالد مقداراً ما:

ويريدون إيهام الناس أيضاً برواية مصطنعة تقول: إن خالدًا نفسه لم ينهزم، بل انهزم الناس، فلما أخذ اللواء حمله ساعة.. فثبت للحملات عليه حتى تكرر المشركون، ثم حمل بأصحابه ففض جمعاً من جمعهم. «ثم دهمه منهم بشر كثير، فانحاش المسلمون، فانكشفوا راجعين»^(١).

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ والبحار ج ٢١ ص ٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٢٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ١٠٧ و ١٠٨ وج ٢ ص ١٥.

ونقول:

إن هذه الرواية تريد ان تقول: إن خالداً لم يهزم، لا في البداية ولا في النهاية، بل ثبت، والذين انهزموا قبل أخذه للواء هم المسلمون، فلما أخذه ثبت بهم أولاً، ثم ألحق هزيمة بجمع من جمع العدو.. ثم إن المسلمين انحاشوا، ثم انكشفوا راجعين، فهم أيضاً لم يهزموا، بل ما حصل هو مجرد الانحياش، ثم الانكشاف.. وترك الحرب والرجوع، مع أننا قد ذكرنا:

١ - أن الرواية المتقدمة عن الرجل المّري الذي كان حاضراً تقول: إن أول منهزم كان في المرة الأولى هو خالد بن الوليد، ثم تبعه في الهزيمة سائر الناس.. وصرحت روايات عديدة أخرى بهزيمة خالد أيضاً.

وفي رواية ابن كعب بن مالك عن رجال من قومه: أن قطبة بن عامر جعل يصيح: يا قوم.. فما يثوب إليه أحد، هي الهزيمة. ويتبعون صاحب الراية منهزماً.

وقد ذكر المّري: أن صاحب الراية هو خالد..

٢ - وسيأتي: أن أهل المدينة قد واجهوا ذلك الجيش العائد بالطرد، والإدانة، والإهانة حتى حثوا في وجوههم التراب، وعيروهم بالفرار.. وعاشوا حالة من الإحساس بالذلة والذنب، بلغت بهم حد الاختفاء عن أعين الناس في بيوتهم، وانقطعوا عن المسجد، وعن الصلاة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

٣ - إنه إذا انحاش المسلمون وانحازوا إلى جهة بعينها، وتجمعوا فيها حين دهمهم الكفار، فلماذا انكشفوا راجعين في هذه اللحظة بالذات.. مع أنهم كانوا - حسب زعم هؤلاء - قادرين على مواصلة الحرب والقتال..

..... :

خصوصاً إذا أخذنا بقول الحلبي: «ثم أخذه خالد، ومانع القوم وثبت، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر، من غير هزيمة على أحدهما»^(١). فإن ذلك يتطلب منهم معاودة الهجوم، لا ترك ساحة الحرب والانكشاف والعودة!!

٤ - والغريب في الأمر: أن رواية كعب بن مالك عن نفر من قومه تقول: «فكانت الهزيمة، وقتل المسلمون، واتبعهم المشركون».

وهذا معناه: أن الهزيمة كانت هي السبب في استشهاد هذا العدد من المسلمين.. ثمانية أو اثنا عشر أو نحو ذلك..

وهو يعني أيضاً: أن المشركين لم يتركوا المسلمين حين انهزم بهم خالد، بل لاحقوهم، وقتلوا عدداً منهم.

وهو يدل أيضاً: أن أحداً لم يستشهد قبل استشهاد القادة، رغم استمرار الحرب سبعة أيام، كما تقدم.

النصر الموهوم:

وعن زعمهم: أن خالداً قد سجل نصراً مؤزراً وعظيماً على جيوش الروم.. بل في بعضها: أن الروم قتلوا قتلة لم يقتلها قوم، وأن المسلمين قد وضعوا أسيافهم حيث شأؤوا، نقول:

قد نسي الأفاكون: أن أهل المدينة قد طرد ذلك الجيش العائد، بقيادة خالد. وحثوا التراب في وجوههم، وهجروهم، وعاقبوا أسوأ عقوبة كما سيأتي.. فلو صح انهم قد انتصروا لكان ينبغي أن يلاقوهم بالورود

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧.

والأناشيد، وبالأفراح والزغاريد، وأن يرفعوهم على الراحات، ويدوروا بهم في النوادي والساحات.

ولكان يجب على خالد وجيشه أن يعترضوا على استقبال أهل المدينة بالتعنيف والطرد، وأن يشتكواهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويجهروا بمظلوميتهم وبأنهم معتدى عليهم. فلماذا اختبأوا في بيوتهم، حتى إن منهم من ترك الحضور للصلاة من شدة الخجل مما حدث وحصل؟! بل إن المتوقع في مثل هذه الحالة هو أن يبادر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمنع هذا التجني، ولجم الظلم الذي حاق بهؤلاء الأبرياء المجاهدين!! ولو بأن يخطب الناس في المدينة، ويؤنبهم على ظلمهم هذا، إن لم يتمكن من أن يعاقبهم عليه.

على أن هذا الذي ذكرناه لا يعني أننا نريد أن ننفي أن يكون المسلمون قد أظهروا درجة من الجدية في قتال أعدائهم، وأنهم قد سجلوا عليهم انتصارات قوية..

ولكننا نقول: إن ذلك إن كان قد حصل، فإنما حصل في الأيام أو في الساعات التي سبقت استشهاد القادة، ولعل جذوته قد اتقدت بعد استشهادهم بصورة أكبر. ولكن خالداً ضيع ذلك..

على أن من الواضح: أن صياغة الأحداث بهذه الطريقة التي نشاهدها في كتب التاريخ تعطي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ألقى بالمسلمين إلى تهلكة عظيمة، وأن خالد بن الوليد هو الذي نجاهم منها.

وهذه جراءة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخروج عن حدود الاعتقاد الصحيح، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

المضحك المبكي:

ومن المضحك المبكي حديث الرجل من بني مرة، الذي أنكر فيه أن يكون خالد قد انهزم.. ثم شرح ذلك، بأن اللواء سقط بعد قتل ابن رواحة.. واستمرت الحرب قال: «فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً، واتبعناه، فكانت الهزيمة»^(١).

فما معنى نفيه هزيمة خالد أولاً، ثم إثباته لها أخيراً. حتى لقد جعل خالداً أول منهزم باللواء فيهم، ثم تبعه الناس.

وهذه القضية التي جاءت بعفوية تامة، تظهر إلى أي حد كان هذا الرجل سليم الذات، فهو ينقاد لمشاعره تجاه خالد أولاً، فلا يرضى بنسبة الهزيمة إليه، ثم لما أراد بيان ما جرى ساقته عفويته، وسلامة ذاته، وصدق لهجته إلى بيان حقيقة ما جرى بدقة، فظهر التناقض بين ما تدعوه إليه مشاعره من جهة، وبين ما أظهرته عفويته، وسلامة نفسه، وصدق لهجته من جهة أخرى..

دلالات في تشويش النصوص وتناقضها:

إن من يقرأ تلك النصوص، وسواها مما سيأتي يخرج مندهشاً من شدة اضطرابها، واختلافها، حيث إن بعضها حريص على الإيحاء بأن قيادة خالد قد جلبت النصر للمسلمين. مع ظهور أو صراحة قسم وافر منها، ومؤيد بالشواهد والأدلة على أن هذه القيادة قد جلبت على ذلك الجيش الهزيمة

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٢٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٩ ص ٣٧ وج ٦٨ ص ٨٧.

والعار، حتى من أهلهم وذويهم..

ولا شك في أن هذا السعي الحثيث، وهذا الإصرار العجيب على تصوير الهزيمة بأنها فتح ونصر، بل هي أعظم من النصر في خير، والخندق، وبدر - يدل على أن ثمة استهتاراً بالحق والحقيقة، وقلة حياء، وانعدام ضمير لدى من يتصدى لهذا الأمر، ويحرص عليه..

ولئن ظهر هذا الأمر في هذا المورد بصورة جلية، فمن السذاجة أن نعتبره المورد الوحيد الذي تعرض لمثل هذا التزوير الفاضح، بل إن هذه الخيانة قد مورست في سائر مفاصل السيرة وغيرها، بل هي قد نالت سائر الموارد التي تشبه في دلالاتها وفي إيجاءاتها ما يحرصون على التخلص منه وطمسه في سرية مؤتة..

وهذه خيانة عظيمة، بل جنائية كبرى على أمة الإسلام، وعلى البشرية كلها، حين تصور الأكاذيب والأباطيل على أنها هي الحقائق. وتصبح الحقائق في عداد الأباطيل والترهات، فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خالد سيف الله:

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصف خالدًا في سرية مؤتة بأنه سيف من سيوف الله^(١)..

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨ و ٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ و ١٥٣ ونقله في هوامشه عن المصادر التالية: صحيح البخاري (٤٢٦٢) وعن ج ٧ ص ٦٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٦٨ وعن المصنف لابن أبي شيبه ج ١٤ =

فسمي بسيف الله منذئذ^(١).

فهو غير صحيح، وذلك لأن خالداً كان حديث عهد بالإسلام، فإنه أسلم في شهر صفر سنة ثمان، وذكره بعضهم^(٢)، كما تقدم بيانه في موضعه من هذا الكتاب. وسرية مؤتة كانت بعد ذلك بحوالي ثلاثة أشهر. أي في جمادى الأولى في سنة ثمان^(٣).

وقيل: أنه أسلم قبل غزوة مؤتة بشهرين^(٤).

وقيل: أنه أسلم سنة سبع^(٥).

وقد أفنى عمره في محاربة هذا الدين وأهله، كما أنه لم يكن مهتماً بالالتزام بأحكامه، والتقيد بشرائعه.. كما ظهر من سيرته في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعده.

وقد شكى خالد عماراً إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لكلام جرى

- = ص ٥١٣ وعن مسند أحمد ج ٣ ص ١١٣ والسنن الكبرى ج ٨ ص ١٥٤
ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٤ ق ١
ص ٢٥ وعن الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤١.
(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ والجامع
لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٨٢.
(٢) راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٠ وراجع مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٦٢٧
وفيض القدير ج ١ ص ١٩١.
(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٤ ومسند أبي داود ص ١٥٨.
(٤) فيض القدير ج ١ ص ١٩١.
(٥) الإصابة ج ٦ ص ٤١٩.

بينهما، فقال «صلى الله عليه وآله»: إنه من يعادي عماراً يعاديه الله، ومن يبغض عماراً يبغضه الله، ومن سبه سبه الله^(١).

ثم إن من يكون سيفاً لله، فلا يبطش بالناس بغير حق كما صنع خالد بنى جذيمة، حيث قتلهم صبراً، بعد أن أمنهم، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله إليهم داعياً لا مقاتلاً.

ولما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» ما فعل بهم، رفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»..

ثم أرسل «صلى الله عليه وآله» الإمام علياً «عليه السلام»، فودى لهم الدماء، وما أصيب من الأموال، حتى إنه ليدي ميلغة الكلب، وبقيت بقية من المال، أعطاهم إياها احتياطاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

(١) رجال الكشي ص ٣٥ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٢٠ ص ٢٧٧ وعوالي اللآلي ج ١ ص ١١٣ وأجوبة مسائل ج ١ ص ٣٣١ و ٣٣٢ وج ٩ ص ٢٧ وفضائل الصحابة ص ٥٠ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٩٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٧٤ والمعجم الكبير ج ٤ ص ١١٢ وكنز العمال ج ١١ ص ٧٢٦ وج ١٣ ص ٥٣٤ وعلوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم ص ٣٠٥ وأسباب نزول الآيات ص ١٠٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٥٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ وتهذيب الكمال ج ٢٥ ص ٣٦٦ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤١٥ وج ٩ ص ٣٦٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٣ وإختيار معرفة الرجال ج ١ ص ١٥٠ وجامع الرواة ج ١ ص ٢٩٣ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٤١ وج ١٣ ص ٢٨٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٦٦-٦٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٥٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ =

وقال النبي «صلى الله عليه وآله» في فتح مكة لخالد وللزبير: لا تقتاتلا إلا من قاتلكما^(١)، ولكن خالدًا بسط يده، وقتل نيفاً وعشرين رجلاً من قريش، وأربعة نفر من هذيل، فأرسل إليه من يردعه عن ذلك^(٢).
وقد تابع خالد مسيرته الدموية هذه إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله».

فأغار على قوم الصحابي المعروف مالك بن نويرة، فأمنهم أيضاً، وصلوا وإياهم، ثم أخذهم فقتلهم، وقتل مالك بن نويرة، ونزا على امرأته في نفس تلك الليلة، وجعل رأسه أثفية تحت القدر التي كان يطبخ فيها الطعام.
وتكلم عمر بن الخطاب في ذلك عند أبي بكر، فلم يسمع منه، وعذر أبو بكر خالدًا^(٣).

= ص ١٤٧ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٤٥ وأسد الغابة ج ٣ ص ١٠٢ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ٤٨ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ١ ص ٤٠٧ وضوء النبي «صلى الله عليه وآله» ج ٢ ص ١٧ والمحلى ج ٨ ص ١٦٦ والخصال ص ٥٦٣ والمسترشد ص ٤٩٢ والغدير ج ٧ ص ١٦٩ والإمام علي «عليه السلام» للرحماني ص ٦٨٨ وكتاب المنق ص ٢١٧ و(ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٣٤٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٠١.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٣٣ والنص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين ص ٤٩٥ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ١٤ ص ١٠٠.

(٢) راجع عبقرية عمر للعقاد ص ٢٦٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ وفي (ط ليدن) ج ٤ ص ١٤١، وراجع: وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٥ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٥٨ وروضة =

وقال: تأول فأخطأ.. أو اجتهد فأخطأ..

وأما بالنسبة لسبب تسمية خالد بسيف الله:

فالظاهر: أن منشأها أبو بكر بن أبي قحافة. فإنه حين ألح عليه عمر بن الخطاب بعزل خالد بن الوليد، بسبب قتله مالك بن نويرة، محتجاً بأن في سيفه رهقاً..

قال أبو بكر: لا يا عمر، ما كنت لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين^(١). وعن سبب هذه التسمية ذكر صاحب البحار: أنه بعد أن قلد أبو بكر الصدقات بقرى المدينة وضياح فدك رجلاً من ثقيف يقال له: الأشجع بن مزاحم الثقفي، وكان له أخ قتله علي بن أبي طالب في وقعة هوازن وثقيف..

= المناظر (بهامش الكامل في التاريخ) ج ٧ ص ١٦٧ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٣ ص ٤٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٧٩ والخصال ص ٥٦٣ الإمام علي «عليه السلام» لأحمد الرحماني الهمداني ص ٦٨٨ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٥٨ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٢٠.

وراجع: المبسوط للسرخسي ص ٩٢ وج ٢٠ ص ٢١٤٥ والمحلى لابن حزم ج ٨ ص ١٦٦ والخصال ص ٥٦٣ والمسترشد ص ٤٩٢ و ٤٩٣ وشرح الأخبار ج ١ ص ٣١٠ والإحتجاج ج ١ ص ١٢٤ والبحار ج ٢١ ص ١٤٢ وج ٣١ ص ٣٣٠ والنص والإجتهد ص ٤٦١ والفايق في غريب الحديث ج ٣ ص ٣٧٩ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٥٤٨ وأسد الغابة ج ٢ ص ٩٤ وكتاب المحبر ص ١٢٤ والسيرة النبوية لابن هشام الحميري ج ٤ ص ٨٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٠١ وغريب الحديث لابن قتيبة ج ١ ص ٣٧٢ و ٣٧٣ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٢ ص ٢٧٧ وج ٥ ص ٢٢٦.

(١) راجع نفس المصادر السابقة.

فباغت ضيعة من ضياع أهل البيت «عليهم السلام» يقال لها «بانقيا»، واحتواها، واحتوى صدقات لعلي «عليه السلام»، وتغطرس على أهلها، يريد الثأر لأخيه يوم هوازن، فشكوه لعلي «عليه السلام».. ثم ذكر: أن الفضل بن العباس قتله بعد أن قال لعلي «عليه السلام»: قبحك الله وبتر عمرك..

ولما أراد أصحابه قتل الفضل سل علي «عليه السلام» سيفه، فرمى القوم أسلحتهم.

ثم أتوا أبا بكر برأس صاحبهم، فجمع المهاجرين والأنصار وحرصهم للخروج على علي «عليه السلام»، فدارت أعينهم في وجوههم وأخذتهم سكرة الموت حسب تعبيره..

قال: فالتفت إليه عمر بن الخطاب، فقال: ليس له إلا خالد بن الوليد. فالتفت إليه أبو بكر، فقال: يا أبا سليمان، أنت اليوم سيف من سيوف الله، وركن من أركانه، وحتف الله على أعدائه، وقد شق علي بن أبي طالب عصا هذه الأمة، وخرج في نفر من أصحابه إلى ضياع الحجاز، وقد قتل من شيعةنا ليثا صؤولاً وكهفاً منيعاً، فصر إليه في كثيف من قومك وسله أن يخلد الحضرة، فقد عفونا عنه، فإن نابذك الحرب فجئنا به أسيراً^(١).

وأما الرواية التي تقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أطلق هذه التسمية عليه، وفي مناسبة حرب مؤتة فهي غير صحيحة، لأن

(١) راجع: البحار ج ٢٩ ص ٤٦ - ٥٢ عن إرشاد القلوب للديلمى، والأنوار العلوية ٣١٤-٣١٦.

خالدًا انهزم بالناس في مؤتة.. فكيف يعطي النبي «صلى الله عليه وآله» الأوسمة للمهزوم؟!^(١)

وحينما عاد الجيش إلى المدينة جعل الناس يثنون التراب في وجه ذلك الجيش، ويقولون: يا فرار في سبيل الله.. ودخل أفراد ذلك الجيش إلى بيوتهم، ولم يعد يمكنهم الخروج منها، لأنهم كلما خرجوا صاح بهم الناس: أفررتم في سبيل الله؟!.. كما تقدم.

علي × سيف الله المسلول:

غير أن الحقيقة هي: أن هذا اللقب: «سيف الله المسلول» هو من مختصات علي عليه السلام، ولكنه سرق في جملة كثيرة من فضائله، ومناقبه عليه السلام، في غارات شعواء من الشانئين، والحاquدين، والمبطلين، والمزورين للحقائق.. وقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله»، أنه قال: «علي سيف الله يسله على الكفار والمنافقين»^(٢).

وفي الحديث القدسي، المروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وأيدتك بعلي، وهو سيف الله على أعدائي»^(٣). وحول تسمية التمر بالصيحاني روي عن جابر: أن سببها هو أنه صاح:

(١) البحار ج ٢٢ ص ١٩٧ وج ٤٠ ص ٣٣ عن أمالي الشيخ الطوسي ص ٣٢٢ و (ط) دار الثقافة ص ٥٠٦ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٣٣٤.

(٢) البحار ج ٤٠ ص ٤٣ والكافي ج ٨ ص ١١ وإحقاق الحق ج ٦ ص ١٥٣ عن در بحر المناقب (مخطوط) ص ٤٣، وراجع ذخائر العقبى ص ٩٢ والمناقب المرتضوية ص ٩٣ والروضة في المعجزات والفضائل ص ١٢٨.

«هذا محمد رسول الله، وهذا علي سيف الله»^(١).
 وقال خالد بن سعيد بن العاص لعمر، في أحداث غصب الخلافة:
 «وفينا ذو الفقار، وسيف الله وسيف رسوله»^(٢).
 وفي زيارة أمير المؤمنين، المروية عن الصادق «عليه السلام»: «وسيف
 الله المسلول»^(٣).
 وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: «هذا علي بن أبي طالب، هذا سيف

-
- (١) فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، لسلمان العجيلي المعروف
 بالجميل (ط القاهرة) ص ٦٢ وفرائد السمطين (ط دار النعمان، النجف)
 ص ١٢٠ ونظم درر السمطين ص ١٢٤ وعن المناوي في شرح الجامع الصغير،
 وإحقاق الحق (الملحقات) ج ١٥ ص ٤٢ و ٥٩ وج ٢٠ ص ٥١٨ و ٢٨٣ عن آل
 محمد للمردي الحنفي، وعن غيره ممن تقدم. وعن فيض القدير ج ٥ ص ٢٩٣
 والأنوار العلوبة ص ١٥٣ والبحار ج ٦٠ ص ١٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج ٦
 ص ٣٤ وج ١٠ ص ١٤.
- (٢) راجع المصادر التالية: الإحتجاج (ط سنة ١٣١٣ هـ. ق) ج ١ ص ١٩٠ و ١٩١ و
 ٣٠٠ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٨٠ و ٨٢ وقاموس الرجال ج ٣ ص ٤٧٦ و
 ٤٧٨ و ٤٧٩ والخصال ج ٢ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ واليقين في إمرة أمير المؤمنين
 ص ١٠٨ - ١١٠ عن أحمد بن محمد الطبري، المعروف بالخليلي، وعن محمد بن
 جرير الطبري، صاحب التاريخ في كتابه: مناقب أهل البيت «عليهم السلام»
 والبحار ج ٢٨ ص ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٤ و ٢١٩ و رجال البرقي ص ٦٣ و ٦٤.
- (٣) مستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٣٢١ و راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ٣
 ص ٧٤ والفضائل لابن شاذان ص ٧٧.

الله المسلول على أعدائه»^(١).

وعن جابر: «علي سيف الله»^(٢).

وعن سلمان عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «فأنا رسول الله، وعلي سيف الله»^(٣).

وعنه «صلى الله عليه وآله» في حديث له في حق علي: «وسيف الله وسيفي»^(٤).

وعن أنس عن النبي «صلى الله عليه وآله»: يا معاشر المسلمين، هذا أسد الله، وسيفه في أرضه على أعدائه»^(٥).

ونجد في فصل: الحصار والقتال في غزوة بني قريظة المزيد من المصادر.

من الذي سمى خالدًا بسيف الله؟!

فتبين مما تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى

(١) أرجح المطالب (ط لاهور) ص ٣٨ ومناقب علي «عليه السلام» للعيني الحيدر آبادي (ط أعلم بریش، جهاز منار) ص ٥٧ و ٣٧.

(٢) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ١٢٤ وفيض القدير في شرح الجامع الصغير ج ٥ ص ٢٩٣ وينايع المودة للقندوزي ج ١ ص ٤٠٩.

(٣) فرائد السمطين (مطبعة النعمان، النجف) ص ٢٩.

(٤) إحقاق الحق ج ٤ ص ٢٩٧ عن مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي.

(٥) وينايع المودة (ط إسلامبول) ص ٢١٣ وراجع: أرجح المطالب (ط لاهور) ص ١٤ و ٢٩ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٠ ص ٢٥٠ عن: آل محمد للمردي الحنفي وج ٤ ص ٢٢٥ عن عدد من المصادر.

:
لا يسمي خالداً بسيف الله، ما دام أن سيرته ستكون حافلة بمعاصي الله،
والتعدي على عباده..

وإن أبا بكر - فيما يبدو لنا - هو الذي منح خالداً هذا اللقب، وذلك
حين طلب منه عمر أن يجازي خالداً على ما فعله بهالك بن نيرة، فقال له
أبو بكر: ما كنت لأشيم سيفاً سله الله على أعدائه^(١).

ثم جاء عمر بعد ذلك، وأكد على هذا اللقب لخالد، مدّعياً: أن رسول الله
«صلى الله عليه وآله» هو الذي منحه إياه، حيث يقول:

«ولو أدركت خالداً ثم وليته، ثم قدمت على ربي، فقال لي: من
استخلفت على أمة محمد لقلت: سمعت عبدك وخيلك يقول لخالد: سيف
من سيوف الله، سله الله على المشركين»^(٢).

ثم عملوا على نسبة هذا الكلام إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما
قلنا^(٣)، مع أن الصحيح هو: أن علياً «عليه السلام» هو صاحب هذا
اللقب.

(١) راجع: الغدير ج ٧ ص ١٥٨ - ١٦٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٠٣ والكامل
في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٩ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٥
ص ١٠٥ والإصابة ج ٣ ص ٣٥٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٠٩ و ٢٣٣ وتاريخ
أبي الفداء ج ١ ص ١٥٨.

(٢) الغدير ج ١٠ ص ١٠ وج ٥ ص ٣٦٢ و ٣٦٣ وعن تاريخ ابن عساكر ج ٥
ص ١٠٢ والإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٢ وأعلام النساء ج ٢ ص ٨٧٦.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ١٠٢ والإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٤ والإصابة ج ١
ص ٤١٤ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ١ ص ٤٠٨ و ٤٠٩.

حديث الهزيمة:

- وقد صرحت الروايات: بهزيمة جيش مؤتة، وصرح عدد منها بأن خالداً كان هو المنهزم الأول، فلاحظ ما يلي:
- ١ - قال ابن إسحاق عن خالد: إنه لما أخذ الراية: «دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز، وانحيز عنه، وانصرف الناس»^(١). وهو تعبير خجول عن هزيمة الجيش بقيادة خالد، كما لا يخفى.
- ٢ - وقال الزهري: «فناوش القوم، وراوغهم، حتى انحاز بالمسلمين منهزماً، ونجا بهم من الروم»^(٢).
- ٣ - ويقول الواقدي في بعض كلامه: «ثم دهمه بشر كثير، فانحاش المسلمون، فانكشفوا راجعين»^(٣).
- ٤ - وروى ابن كعب بن مالك، عن نفر من قومه: أنه «لما أخذ خالد اللواء انكشف بالناس، فكانت الهزيمة، وقتل المسلمون، واتبعهم

(١) السيرة النبوية ج ٤ ص ٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١ وراجع ص ١٥٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وراجع ص ٦٧ وراجع: ما عن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٤ وج ٢ ص ١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٢.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٥٠ و ٥١ عن الأملاني للطوسي ص ٨٧ و ٨٨ وبشارة المصطفى ص ٤٣٢.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ والبحار ج ٢١ ص ٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٢٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٥.

المشركون»^(١).

ثم تذكر الرواية صياح قطبة بن عامر: «فما يثوب إليه أحد، هي الهزيمة، ويتبعون صاحب الراية»^(٢).

٥ - وقال الحلبي: «ثم أخذه خالد، ومانع القوم، وثبت، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر، من غير هزيمة على أحدهما»^(٣).

٦ - وفي حديث رجل من بني مرة قال: إنه لما قتل ابن رواحة.. «فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً، واتبعناه، فكانت الهزيمة»^(٤).

٧ - وعن عروة بن الزبير: «لما أقبل أهل مؤتة إلى المدينة تلقاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمون، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله الخ..»^(٥).

٨ - وروي نحوه عن أبي سعيد الخدري^(٦).

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ٣٣٧ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٢٩.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ٣٣٧.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧.

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٢ و ٧٦٣.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ و ١٥٦ وراجع: الطبقات لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٩٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ و ٧٦٥ والبحار ج ٢١ ص ٥٧ عن إعلام الوری ص ١١١ و ١١٢ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٢.

(٦) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ و ٧٦٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧٠.

٩ - وهذا هو الذي أشار إليه ابن عمر في حديثه عن فرار الناس في سرية لم يصرح باسمها، قال: «فخاص الناس فكنت في من خاص». ثم ذكر عودتهم إلى المدينة، وقولهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: نحن الفرارون^(١). وقد ذكر الصالحى الشامى والحلبى والشافعى هذا الحديث في سياق سرية مؤتة، فراجع.

١٠ - وقال الواقدي: قال أبو عبد الله: «والأول أثبت عندنا: أن خالداً انهزم بالناس»^(٢).

١١ - وعن داود بن سنان قال: «سمعت ثعلبة بن أبي مالك يقول:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ١٥١ وج ٦ ص ١٥٦ وفي هامشه: عن أبي داود ج ٢ ص ٥٢ وعن الترمذي ج ٤ ص ١٨٦ وعن مسند أحمد ج ٢ ص ١١١ وحلية الأولياء ج ٩ ص ٥٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٢ و ٧٦٥ والبحار ج ٢١ ص ٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٨ وراجع: الأحكام ليحيى بن الحسين ج ٢ ص ٥٠٢ وكتاب الأم ج ٤ ص ١٨٠ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٢٩١ ونيل الأوطار ج ٨ ص ٧٩ والمسند للشافعى ج ١ ص ٢٠٧ وعن مسند أحمد ج ٢ ص ٧٠ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٩٦ وسنن الترمذي ج ٣ ص ١٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٧ و ٢٧٦ ومسند أبي يعلى ج ٩ ص ٤٤٧ والمتقى في السنن المسندة ص ٢٦٣ والفايق في غريب الحديث ج ١ ص ٢١٧ وتفسير مجمع البيان ج ٤ ص ٤٤٥ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٥٥٨ والجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٨٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٠٦ وعن الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥١ ص ٢٦٦.

انكشف خالد بن الوليد يومئذٍ حتى عيروا بالفرار، وتشاءم الناس به»^(١).

١٢ - وعن خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن عتبة، قال: «ما لقي جيش بعثوا معنا ما لقي أصحاب مؤتة من أهل المدينة، لقيهم أهل المدينة بالشر، حتى إن الرجل لينصرف إلى بيته وأهله، فيدق عليهم الباب فيأبون أن يفتحوا له، يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟! فأما من كان كبيراً من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجلس في بيته استحياءً، حتى جعل النبي «صلى الله عليه وآله» يرسل إليهم رجلاً رجلاً، يقول: أنتم الكُرَّارُ في سبيل الله، فخرجوا»^(٢).

١٣ - وعن إسماعيل بن مصعب، عن إبراهيم بن يحيى بن يزيد، قال: لما أخذ اللواء ثابت بن أرقم، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد. قال ثابت: اصطلحتم على خالد؟! قالوا: نعم.

فأخذ خالد فانكشف بالناس»^(٣).

١٤ - زاد في نص آخر قوله: وكانت الهزيمة»^(٤).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ والبحار ج ٢١ ص ٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧٠.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ و ٧٦٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٣ وراجع: البحار ج ٢١ ص ٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧٠.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ١٠٧ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ٢٥٣.

(٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢.

١٥ - يضاف إلى ذلك: ما روي عن أبي هريرة عما لقوه من أهل المدينة، قال: كنا نخرج ونسمع ما نكره من الناس. لقد كان بيني وبين ابن عم لي كلام، فقال: إلا فرارك يوم مؤتة!! فما دريت أي شيء أقوله له^(١).

١٦ - وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: كان في ذلك البعث سلمة بن هشام بن المغيرة، فدخلت امرأته على أم سلمة، فسألته عن سلمة، فأخبرتها: أنه لا يستطيع الخروج، إذا خرج صاحبوا به وبأصحابه: يا فرار، أفررت في سبيل الله؟ حتى قعد في البيت. فذكرت أم سلمة ذلك لرسوله الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: بل هم الكرار، فليخرج، فخرج^(٢).

١٧ - عن خزيمة بن ثابت: حضرت مؤتة، وبرز لي رجل منهم.. (ثم ذكر أنه قتله وسلب منه ياقوته) إلى أن قال: «فلما انكشفنا رجعنا إلى المدينة، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ..»^(٣).

١٨ - ورويت هذه الرواية عن عمارة بن غزية، عن أبيه، فراجع^(٤).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ والمستدرك للحاكم (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٢ وراجع: شيخ المضيرة لأبي رية ص ٧٤ عن المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٢ ص ١٢.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٣ وعن السيرة النبوية ج ٤ ص ٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٦.

(٣) راجع: كنز العمال ج ١٠ ص ٥٥٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٦.

(٤) راجع: مغازي الواقدي، وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٣٥٩ وقال في هامشه: كذا =

رواة حديث الهزيمة:

وقد أظهرت الروايات المتقدمة - رغم أننا لم نستقص النصوص -: أن رواة هزيمة الجيش في مؤتة كثيرون. وأن طائفة منها قد صرحت: بأن خالداً كان هو المبادر للهزيمة، فتبعه الآخرون.. والروايات المتقدمة كلها - باستثناء روايتين أو ثلاث - تدل على هذه الهزيمة الشاملة..

والذين ذكرنا رواياتهم آنفاً هم: أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن إسحاق، وابن كعب بن مالك عن نفر من قومه، والواقدي، والزهري، وثعلبة بن أبي مالك، ورجل من بني مرة، وأبو عامر، وأبو بكر بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم بن يحيى بن زيد، وخزيمة بن ثابت، وغزية بن الحارث الأنصاري، وعروة.. ولا مجال لتأويل هذه النصوص، أو النقاش فيها إلا على سبيل التعسف، والتحكم غير المقبول، ولا المعقول..

شرذمة لماذا؟!

وقد اتضح مما ذكرناه: أن وصف من روى حديث فرار الجيش بقيادة خالد: بأنهم «شرذمة»، وبأن ذلك مجرد احتمال^(١) ما هو إلا تجن على الحقيقة،

= بالأصل وابن العديم ومختصر ابن منظور ٤٥ / ٨ وقد صححها محقق مغازي الواقدي «عمارة بن غزية» وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٨٦ وقال: هو في مغازي الواقدي ٧٦٩ / ٢، وقد أخطأ محقق الكتاب مارسدن جونس، فأبدل لفظ «خزيمة» بـ «غزية» مع أنه في الأصل الذي اعتمده «خزيمة على الصواب» على الصواب.
(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٠ وعن السيرة النبوية ج ٣ ص ٦٨.

.....
ومجانبة للإنصاف..

كما أن ما ذكروه من روايات زعموا أنها تدل على النصر والفتح، لا تصمد أمام النقد الموضوعي والتزيه، فإن معظمها لا يدل على مطلوبهم، كما اتضح مما سجلناه على رواية جابر وخزيمة، وبرذع، وعوف بن مالك، وابن إسحاق.. وحديث خالد عن نفسه، وحديث قتل ابن رافلة، وحديث أن خالداً سيف الله - الذي جاء في ذيل أخبار النبي «صلى الله عليه وآله» عن أمر الشهداء، وحديث عطف بن خالد، وأبي عامر، وغير ذلك..

الفصل الرابع:

نهایات ونتائج

عدد الشهداء دليل هزيمة خالد:

قد تقدم: أن البعض قد زعم: أن قلة عدد الشهداء دليل على انتصار خالد، غير أننا نقول:

إن عكس ذلك هو الصحيح، فإن عدد الشهداء الذين سقطوا في غزوة مؤتة يدل على أن خالد لم يحارب، بل أخذ الراية وانهزم بها..
فإن المفروض: أن القادة الثلاثة، قد سقطوا قبل أخذ خالد للراية، وهم من الفرسان المشهود لهم بالشجاعة، والفروسية، ولا شك في أن الأمر لم يقتصر عليهم، بل قتل معهم اناس آخرون.

وبعد أن أخذ الراية خالد، فإذا صح أنه قد حارب، حتى اندقت في يده تسعة أسياف، وأن عدوهم كان مئتي ألف، بل مئات الألوف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف فقط، فلا بد أن نتوقع أن يقتل من المسلمين المئات، والألوف أيضاً، فإن المشركين قتلوا في أحد عشرات المسلمين، واستشهد في بدر مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عدد من المسلمين، يضاهي عدد شهداء مؤتة مع أن المشركين كانوا لا يصلون إلى ألف رجل، وكان جيش المسلمين يقارب ثلث عدد المشركين، فكيف حقق خالد ما لم يحققه أبطال الإسلام في ظل قيادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

وإذا كان خالد قد حقق هذا الإنجاز، فلماذا يطردهم المسلمون، ويعادونهم، ويظلمونهم هذا الظلم الفاحش العجيب؟! ثم يسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك..

هذا كله، بالإضافة إلى ما قدمناه من أدلة وشواهد تؤيد هزيمة خالد، بل هي تؤيد أن الذين قتلوا من المسلمين إنما قتلوا في المبارزات التي جرت قبل استشهاد القادة.

أليس بعد كل هذا الذي ذكرناه هنا وفيما سبق يصبح قول ابن كثير في البداية والنهاية: من أن قلة عدد الشهداء تشهد لانتصار خالد بمن معه وحصول الفتح على أيديهم مما يضحك الشكلى؟!.

المبارزات قللت عدد الشهداء:

وقد جرت مبارزات بين فرسان الجيشين، كما رواه عمارة بن غزية عن أبيه.. ومبارزة الفرسان أمر يتشوق له الناس في ساحات القتال، ويعطى للحرب رونقاً، ويثير حماس الشجعان، ويدعوهم إلى إظهار فنونهم، وشدتهم، وبطولاتهم.

ولعل هذا يفسر امتداد الحرب في مؤتة إلى سبعة أيام كما ذكره^(١)، وربما يساعد هذا على تفسير قلة الشهداء في صفوف المسلمين. فقد ذكروا: أن عددهم هو ثمانية شهداء^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥١.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام (ط محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٨٤٠ البداية والنهاية ج ٤ =

:
أو اثنا عشر شهيداً^(١).

أو خمسة عشر شهيداً^(٢) على أبعد تقدير.

وهذا يدل: على أن جيش الروم كان يعاني من هزيمة حقيقية في معنوياته، وأن زمام المبادرة لم يكن في يد ذلك الجيش في ساحة المعركة طيلة عدة أيام وإلى آخر ساعاتها أي لحظة قتل القادة الثلاثة، فليس صحيحاً: أن القادة قد استشهدوا في الساعات الأولى من المعركة.

ومما يدل على أن زمام المبادرة في ساحة القتال كان بيد المسلمين.. ما روي عن ابن عمر: أنه قال أتيت (يعني جعفرًا) بعرق من لحم وهو مستلق آخر النهار، فعرضت عليه فقال: إني صائم، فضعه عند رأسي، فإن عشت حتى تغرب الشمس أفطرت.

قال: فمات صائماً قبل غروب الشمس^(٣).

لو كان النصر للروم!؟

ومن الأمور الجديرة بالتأمل: أن هذا الجيش الهائل الذي جمعه الروم، لم

= ص ٢٩٥ عن ابن إسحاق، وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٩ عن ابن إسحاق،
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٨٩.

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام (ط محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٨٤٠ والبداية
والنهاية ج ٤ ص ٢٩٥ عن ابن هشام، وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٩ عن ابن
هشام أيضاً.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٣٦ و ٣٧.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٦٨.

يجرؤ على ملاحقة جيش المسلمين حتى حين انسحب من المعركة، مهزوماً بفعل خالد بن الوليد..

ولو كان ذلك الجيش الهائل يرى نفسه منتصراً لحظة استشهاد القادة، أو يحتمل أن بإمكانه أن يكسب لنفسه نصراً لم يتوان عن ملاحقتهم حتى المدينة، لكي يتخلص من هؤلاء الناس الذين تجرؤوا على غزو أمبرطوريته في عقر دارهم وبلادهم، وشاهدوا منهم ما أذهلهم، وطاشت له ألبابهم، طيلة أيام عديدة، وكان ما جرى للقادة الثلاثة هو التتويج لتلك البطولات، الذي وضعهم على عتبة الإنبياء والاستسلام لو لم يبادر خالد إلى الفرار، وتبعه المسلمون في ذلك.

نعم، إن الله تعالى ألبسهم لباس الذل والخزي، وملأ الرعب قلوبهم وهذا هو الذي يصنع النصر كما قال «صلى الله عليه وآله»: «نصرت بالرعب». ولم يكن أمامهم أي خيار سوى للممة جراحهم، والإنكفاء الذليل، الذي جعلهم يعيشون الحيرة، وربما الدهشة، والرضا بالنكسة التي نالتهم.

لقد استبدل خالد النصر الذي كان في متناول أيدي المسلمين بهزيمة شنعاء، نكراء نشأت عنها متاعب جمّة، وتسببت بأن يعود لكيان الأمبرطورية الرومية لاستجماع قواه، وليلحق الأذى بأهل الإسلام بعد ذلك مرة بعد أخرى.

أثر مؤتة في فتح مكة:

ولا نستطيع أن نستبعد تأثير ما جرى في مؤتة التي تمثل هزيمة حقيقية لجيش ملك يهيمن على إحدى الدولتين الأعظم في العالم.. رغم أن ذلك

..... :

الملك وتلك الدولة تعيش عنفواناً قوياً بلغ أقصى مداه بانتصاره على مملكة فارس، ولا بد أن تكون آثار هذا النصر بالغة العمق على الدولة الرومية وعلى ملكها، الذي نذر المشي على لزيارة بيت المقدس، وقد قطع مئات الأميال من أجل الوفاء بنذره هذا.

فما معنى أن تنتصر على هذا الملك وعلى جيشه العظيم الخارج من نصر غالٍ جداً مجموعة صغيرة من الناس كانت تعيش في جاهليتها حالة الإنكفاء، والإنطواء والإنزواء في صحراء الجزيرة العربية؟!

ولا بد أن يزيد هذا من ثورة الألم لدى قيصر وجيشه، وهو يرى أن هذه المجموعة الصغيرة الصغيرة تحتاح البلاد التي سيطر عليها عن عمد وقصد، وتصميم، ومبادرة متعمدة، رغم قلة عددها، ثلاث آلاف لتواجه مئات الألوف.. علماً بأن مئة ألف من ذلك الجيش الهائل كان من سنخ أولئك المهاجمين، ولا يختلف عنهم كثيراً في اللغة، وفي الذهنية، وفي التركيبة الاجتماعية، وفي المفاهيم، وفي العادات، والتقاليد، وما إلى ذلك.

فماذا يمكن لمشركي مكة أن يفعلوا بعد هذا كله.. وبعد أن سحق بغبي اليهود، وسقطت جيوش الشرك طعمة لسيوف أهل الإيمان في المعارك المختلفة، طيلة تلك السنوات التي خلت.

الإخلاص في العمل أشد من العمل:

وروى عبد الرزاق عن ابن المسيب مرسلاً قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «مثل جعفر، وزيد، وابن رواحة في خيمة من در، فرأيت زيداً، وابن رواحة في أعناقهما صدوداً، ورأيت جعفرًا مستقيماً ليس فيه

صدود، فسألت، أو قيل لي: إنها حين غشيها الموت اعترضها، أو كأنها صدا
بوجهيهما، وأما جعفر فإنه لم يفعل، وإن الله تعالى أبدله جناحين يطير بهما في
الجنة حيث شاء»^(١).

وروى البخاري والنسائي، عن عامر الشعبي، قال: «كان ابن عمر إذا
حيّا عبد الله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين»^(٢).
قال ابن إسحاق: «ولما أصيب القوم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»
- فيما بلغني -: «أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً».
قال: ثم صمت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى تغيرت وجوه
الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم
قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً».

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨ و ٦٩ ورسائل
المرتضى ج ١ ص ٤٠٦ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٢٦٦ وشرح النهج للمعتزلي
ج ١٥ ص ٧٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٤ عن البخاري ج ٧ ص ٩٤ وذخائر العقبى
ص ٢١٦ وفضائل الصحابة ص ١٨ وعن صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤
ص ٢٠٩ وج ٥ ص ٨٧ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٤١ وتحفة الأحوذى ج ١٠
ص ١٨٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٨ والمعجم الكبير ج ٢ ص ١٠٩
وج ١٢ ص ٢٠٤ وكنز العمال ج ١٣ ص ٤٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٧
ص ٢٦٢ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٩ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٥ وسير أعلام
النبلاء ج ١ ص ٢١٢ و ٢١٥ وج ٣ ص ٤٥٩ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٨٤
والإصابة ج ١ ص ٥٩٤ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٠ و ٢٩٢.

ثم قال: «لقد رفعوا إليَّ في اللجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب».
فذكر مثل ما سبق^(١).
وفي نص آخر: لما أصابت الجراحة ابن رواحة نكل، فعاتب نفسه،
فشجع، فاستشهد^(٢).

التأكيد على عظمة جعفر:

١ - لقد صرحت النصوص المتقدمة بما دل على أن جعفرًا كان هو
الأفضل والأكمل، والأصفى، والأتم والأعظم إخلاصاً لله تبارك وتعالى..
وقد جاهد في الله حق جهاده بخصائصه هذه، التي ميزته حتى عن رفيقيه
في الجهاد، وفي الاستشهاد..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٤ عن ابن إسحاق، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٣
وراجع: البحار ج ٢١ ص ٥٣ و ٥٤ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٠ وشرح النهج
للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣٨٦ وعن أسد الغابة ج ١
ص ٢٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٨ ص ١٢٠ وعن البداية والنهاية ج ٤
ص ٢٨٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٤ وعن عيون الأثر ج ٢
ص ١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٣.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٨ والدرجات
الرفيعة ص ٧٦ والطبقات الكبرى ج ٣ ص ٥٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢
ص ١٤ وج ١٩ ص ٣٦٩ وج ٢٨ ص ١٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٢
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٧ والدرجات الرفيعة ص ٧٦ والطبقات
الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٤ وج ١٩
ص ٣٦٩ وج ٢٨ ص ١٢٧.

٢- إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، والشهادة هي ما بعد ذلك الباب، ولا ينال درجتها إلا من أقدم عليها طائعاً مختاراً، قاصداً القربة إلى الله تعالى.. فمن أجبر عليها حتى قتل كارهاً لموقفه فهو قتيل، وليس شهيداً.

٣- إن الإنسان حين يشارك في أي حرب حقيقية، فإنه يعرض نفسه لخطر محتمل، مع تفاوت درجات قوة هذا الاحتمال لديه، كما أن احتمال السلامة في أكثر مواقف الجهاد قائم أيضاً.. ولكن احتمال الخطر حتى لو كان قوياً فهو لا يجوز التخلي عن ساحة القتال بحال من الأحوال. وأما حين يكون القتل يقينياً، فقد يجب الإصرار على مواجهة الموت، وقد يجرم ذلك فيما لو أوجب ذلك انكسار جيش الإسلام، وظهور جيش الكفر. وقد يجب الخروج من ساحة المعركة، إذا كان في قتل هؤلاء هدر للطاقة، وتجربة للعدو، وإضعاف لقوة الدين وأهله.

وقد يكون التعرض للقتل راجحاً، من دون أن يصل إلى حد الإلزام، كما جرى لرسولي النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مسيلمة، حيث خيرهما مسيلمة لعنه الله بين القتل، وبين الإقرار بنبوته، فرفض أحدهما فقتل، وقال له الآخر: أنت ومحمد رسول الله، فقال «صلى الله عليه وآله»: أما أحدهما فمضى على يقينه، وأما الآخر فأخذ بالرخصة^(١).

(١) راجع: البحار ج ٢٩ ص ٤٠٥ والتبيان ج ٢ ص ٤٥٣ ومجمع البيان ج ٢ ص ٢٧٤ والنصائح الكافية لابن عقيل ص ٢٢٦ وتفسير القرآن للصنعاني ج ٢ ص ٣٦٢ و ٣٦٣ والنصائح الكافية ص ٢٢٦.

..... :

والظاهر من موقف النبي «صلى الله عليه وآله» من الفارين في مؤتة هو وجوب التصدي حتى لو تيقن بعض المقاتلين بالشهادة، لأن هذا هو الذي كان يستحق النصر على جيش الروم، وسيكون نصراً هائلاً وعظيماً في آثاره وفي بركاته..

وربما يكون من تلك البركات هو انتشار الإسلام في جميع أنحاء الدولة الرومية، وفي مناطق نفوذها.

٤ - إن هذه النصوص وما يجري مجراها قد بينت أن على أهل الإيمان أن يحتفظوا بصفاء إيمانهم، وأن يبلغوا في إيمانهم حداً لا يشعرون معه بأن ثمة بوناً أو فجوة فيما بين الأمر الاعتقادي، وبين ما يجري في هذه الحياة الدنيا من أحداث.. فلا يظنون أن الاستشهاد في ساحات الجهاد، معناه: أن الشهيد قد أودع حفرة، تأكله فيها هوام الأرض، وبقي غيره من بعده يتمتع بالنعم، ويحصل على الأموال والإمتيازات، ويتقلب في أحضان الملذات والشهوات.

وقد أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يبين هذه الحقيقة للناس من خلال تقديم صورة حية وواقعية لما جرى للشهداء القادة في مؤتة.. فإن تقديم المفهوم الإيماني، وغيره، متجسداً في واقع ينبض بالحياة، يجعله قادراً على اقتحام القلوب والعقول، واحتلال موقعه اللائق به فيها.

وكان المثال الأكثر تأثيراً هو ذلك الذي يأتي في اللحظة التي يعيش الناس فيها أجواء إثارة وانفعال، توهج عاطفي مرتبط بشهيد اختار طريق الشهادة بوعي، وصلابة، وباندفاع، وإخلاص، وإباء في أجواء زاخرة بالتحدي الذي يتجاوز التصورات، ليلامس الخيال المغرق في البعد، حين يواجه ذلك الشهيد مئات الألوف، ويبذل كل ما يملكه غير آسف على

شيء في هذه الدنيا، ولا يجد في نفسه عن الموت صدوداً، مع أنه يراه بأم عينيه، ولا يرى عنه محيداً.

٥ - وأظهرت الملاحظة التي بينها الرسول «صلى الله عليه وآله» حول التردد الخفي الذي راود ابن رواحة، وحتى زيداً لتؤكد للناس: أن النية جزء من العمل، وإن تأثير العمل في تحقيق غايته مرهون بدرجة الخلوص والإخلاص فيه، كما هو ظاهر.

إمّياز جعفر لقرايته!!

وقد ذكرت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: رأيت جعفرأ ملكأ يطير في الجنة، تدمى قادمته، ورأيت زيدأ دون ذلك. فقلت: ما كنت أظن أن زيدأ دون جعفر.

فأتى جبرئيل «عليه السلام» وقال: إن زيدأ ليس بدون جعفر، ولكننا فضلنا جعفرأ لقرايته منك^(١).

ونقول:

أولأ: إن ما حصل عليه جعفر «عليه السلام» من امتيازات لم يكن لأجل قرايته من رسول الله «صلى الله عليه وآله» - وإن كان للقراية قيمة من بعض الجهات ولأجل بعض الآثار - وإنما لأنه لم يجد صدودأ، ولا إعراضأ، ولا تردأ. حين واجه الموت في سبيل الله سبحانه، كما صرحت به الروايات. ثانياً: قد تقدم في فصول سابقة من هذا الكتاب ولاسيما في غزوة خيبر:

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٢ وكنز العمال ج ١١ ص ٦٦٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٦٩.

.....
: أن لجعفر «عليه السلام» من الفضل ما لا يدانيه فيه زيد ولا ابن رواحة..
ومن ذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: خير الناس حمزة، وجعفر وعلي^(١).
فلماذا نجعل القرابة هي السبب؟!

حرب أخرى في مؤتة:

قال ابن عائد: «وقفل المسلمون، فمروا في طريقهم بقرية لها حصن،
كان أهلها قتلوا في ذهاب المسلمين رجلاً من المسلمين، فحاصروهم حتى
فتحه الله عليهم عنوة، وقتل خالد مقاتلتهم»^(٢).
ونقول:

إننا نحب أن نسأل:

١ - هل استأذن خالد ومن معه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قتال
هذه القرية، وحصارها؟! ثم في قتل مقاتليها؟!
٢ - إن كان أهل تلك القرية قد اعتدوا عليهم، وقتلوا منهم رجلاً،
فلماذا لم يقاتلوهم في ذلك الوقت وبمجرد اعتداءهم عليهم، وقتلهم لذلك
الرجل المسلم؟! ولماذا انصرف جعفر وزيد وابن رواحة عن مطالبتهم
بأسباب عدوانهم ولماذا لم يطلب منهم تسليم قاتلي ذلك الرجل؟!

(١) قاموس الرجال ج ٢ ص ٦٠٢ عن مقاتل الطالبيين ص ٣ - ١٠ والبحار ج ٢١
ص ٦٠ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧٢
والدرجات الرفيعة ص ٧ وشرح إحقاق الحق ج ١٥ ص ٢٦١.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٥ وراجع:
تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٦.

أم يعقل أن تكون مهمتهم حين الذهاب كانت مستعجلة، ولا يجوز فيها التواني والتأخير، ولو للمطالبة بدم شهيد منهم؟!

٣ - كيف تجرأ أهل تلك القرية على النيل من جيش المسلمين الذي سار ذكر انجازاته وبطولاته في الآفاق، وبعد أن فتح حصون خيبر، وبعد حرب أحد، وبدر، والخندق، وسواهما؟!

٤ - لماذا قتل خالد مقاتلتهم ولم يبقهم أسرى، ليعرض أمرهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليبت هو في شأنهم؟! .

النبى ' يرى ما جرى فى مؤتة:

وقد صرحت الروايات بأنه «صلى الله عليه وآله» قد وصف لأصحابه فى المدينة ما كان يجرى فى مؤتة لحظة وقوعه.. ثم وصف ذلك ليعلى بن أمية، ثم لعبد الرحمن بن سمرة، حتى إنه «صلى الله عليه وآله» ما ترك من أمرهم حرفاً واحداً لم يذكره.

فقد ذكر الزهرى: أنهم لما عادوا أنفذ خالد رجلاً يقال له عبد الرحمن بن سمرة إلى النبى «صلى الله عليه وآله» بالخبر، قال عبد الرحمن: فسرت إلى النبى «صلى الله عليه وآله»، فلما وصلت إلى المسجد قال لى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: على رسلك يا عبد الرحمن، ثم قال: أخذ اللواء زيد فقاتل به فقتل الخ..^(١).

(١) البحار ج ٢١ ص ٥٠ و ٥١ عن أمالى الطوسى ص ٨٧ و ٨٨ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٥٤ عن الحكيم الترمذى فى الثالث والعشرين بعد المئة من فوائده، ومقاتل الطالبين ص ٧ والأمالى للطوسى ص ١٤١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣٨٧ وعن الدر المنثور ج ٢ ص ٢٤٥ وبشارة المصطفى ص ٤٣٢ .

وروى البيهقي عن ابن عقبة، قال: «قدم يعلى بن أمية على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخبر أهل مؤتة، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن شئت أخبرني، وإن شئت أخبرك بخبرهم. قال: بل أخبرني يا رسول الله، فأخبره رسول الله «صلى الله عليه وآله» خبرهم كله.

فقال: والذي بعثك بالحق، ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الله عز وجل رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم، ورأيتهم في المنام على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه، فقلت: عم هذا؟. فقل لي: مضياً، وتردد بعض التردد، ثم مضى»^(١). ونقول:

- ١- قد يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر كلا الرجلين يعلى بن أمية، وعبد الرحمن بن سمرة، بما جرى في مؤتة..
- ٢- إن ما ورد في رواية الزهري من أن زيدا كان أول من أخذ اللواء لا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ص ٢٨٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨ و ٦٩ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٨ ص ١٢١ وأسد الغابة ج ٣ ص ١٥٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٤ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٦٨ والسيرة النبوية ج ٣ ص ٤٦٣.

يصح.. بل كان جعفر بن أبي طالب هو الأول كما تقدم.

٣ - قد تضافرت الروايات: في أنه «صلى الله عليه وآله» قد نعى لأهل المدينة القادة الثلاثة ووصف لهم ما جرى قبل وصول الخبر إليهم^(١)، لأن الله تعالى قد رفع له الأرض حتى رأى معتركهم كما في حديث يعلى بن أمية.. وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: بينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسجد إذ خفض له كل رفيع، ورفع له كل خفيض حتى نظر إلى جعفر «عليه السلام» وهو يقاتل الكفار، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» قتله جعفر. وأخذه المغص^(٢).

(١) إعلام الوري ص ١١١ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢١٣ عن صحيح البخاري، والبحار ج ٢١ ص ٥٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٧٠ وج ٨ ص ١٥٤ وعن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٧ وعن ذخائر العقبى ص ٢١٨ وعن صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٨٤ والسنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٦١٦ وج ٤ ص ٢٦ والمعجم الكبير ج ٢ ص ٢٠٥ ودلائل النبوة للأصبهاني ص ٩٠ وراجع: شرح الأخبار ج ٣ ص ٢٠٦ والغدير ج ٦ ص ١٦٢ ومسند أبي يعلى ج ٧ ص ٢٠٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٩ والكامل لابن عدي ج ٢ ص ٢٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٨ وج ١٦ ص ٢٣٧ وج ٢٨ ص ١٢٧ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٨ وعن البداية والنهاية (وط دار إحياء التراث) ج ٤ ص ٢٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٣.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٠٨ الحديث رقم ٥٦٥ و (ط دار الكتب الإسلامية) ص ٣٧٦ والبحار ج ٢١ ص ٥٨ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٥٣٨ والأنوار العلوية ص ١٩.

والذي نريد أن نقرره هنا: هو أن رؤية النبي «صلى الله عليه وآله» لأهل مؤتة، ورفع كل خفيض، وخفض كل رفيع من الأرض له ليس بالأمر الخارج عن سياق الحركة الطبيعية بالنسبة إليه «صلى الله عليه وآله».. بل هو جارٍ وفق ما رسمه الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله» من وظائف، وقرره من مهمات، وهياً له كافة القدرات والوسائل التي تمنحه القدره على إنجازها.. فإن مقام الشاهدية على الأمة وعلى الأنبياء السابقين «عليهم السلام» الذي نطق به القرآن وهو من شؤون النبوة الخاتمة يقضي بتحقيق هذا الشهود النبوي المباشر لما جرى في مؤتة..

فأما شاهديته على هذه الأمة فقد أشير إليه في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً} ^(١). وقال سبحانه: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} ^(٢).

وعن شاهديته «صلى الله عليه وآله» على الأنبياء «عليهم السلام» قال تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً} ^(٣). وقال سبحانه: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ} ^(٤).

وهذه الشاهدية تعني رؤية «صلى الله عليه وآله» بأعمال العباد، وبكل ما يقع في دائرة مسؤولياته، على مستوى الحضور والشهود وقد يسرها الله

(١) الآية ٤٥ و ٤٦ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٨ من سورة الفتح.

(٣) الآية ٤١ من سورة النساء.

(٤) الآية ٨٩ من سورة النحل.

له حين جعله يرى من خلفه، وتنام عيناه ولا ينام قلبه، إذ لولا ذلك لم يتمكن من الشهادة على الناس في حال نومه، أو حين يكونون خلف ظهره. ولا بد أن يكون من وسائل ذلك أيضاً: أن يرفع له الخفيض من الأرض، ويخفض الرفيع، بمعنى أن لا تمنعه الحواجز من مشاهدة أعمالهم، وأن يتمكن من رؤية نواياهم، ويطلع على حالاتهم النفسية، فيرى الحب والبغض، والغبطة والحسد، والفرح والحزن، وما إلى ذلك، وأن يكون مجهزاً بما يمكنه من الإحاطة بذلك كله بالنسبة إلى الأمة بأسرها، حتى بعد استشهاده «صلى الله عليه وآله».

بل لا بد أن يكون له درجة أو نوع من الحضور والشهود بالنسبة للأنبياء السابقين «عليهم السلام»، ل يتمكن من أن يشهد على أعمالهم في يوم القيامة، وفق ما دلت عليه الآيات المشار إليها..

وهذا معناه: أن له حياة من نوع ما، حتى في تلك الأحقاب والأزمان، يمكن أن يصدق معها قوله «صلى الله عليه وآله»: «أو «كنت نبياً» (أو نبئت) وأدم بين الروح والجسد»^(١).

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٤٨ والفضائل لابن شاذان ص ٣٤ والبحار ج ١٥ ص ٣٥٣ وج ٥٠ ص ٨٢ والغدير ج ٧ ص ٣٨ وج ٩ ص ٢٨٧ ومسند أحمد ج ٤ ص ٦٦ وج ٥ ص ٥٩ و ٣٧٩ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٢٤٥ ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ٦٠٩ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٢٣ وتحفة الأحوذى ج ٧ ص ١١١ وج ١٠ ص ٥٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٤٣٨ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٤٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ١٧٩ والمعجم الأوسط ج ٤ ص ٢٧٢ والمعجم الكبير ج ١٢ ص ٧٣ وج ٢٠ ص ٣٥٣ والجامع الصغير ج ٢ ص ٢٩٦ وكنز =

٤ - وآخر ما نحب الإشارة إليه هنا: هو أن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يحفظ إيمان الناس، وأن يربط على قلوبهم، ويقوي من عزيمتهم من خلال ربطهم بالغيب، وإفهامهم أنهم في موضع رعاية الله، وفي محل عنايته.. وأن تضييع النصر الأكبر على يد خالد لا يعني أن يهيم عليهم الشعور بالخيبة، وأن يستسلموا لمشاعر الفشل. فإن الله الذي يرفع كل وضع، ويخفض كل رفيع من الأرض لنيه «صلى الله عليه وآله»

= العمال ج ١١ ص ٤٠٩ و ٤٥٠ وتذكرة الموضوعات للفتني ص ٨٦ وكشف الخفاء ج ٢ ص ١٢٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٢٦٤ عن ابن سعد، ومستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ٣٩٢ و ٥٢٢ عن كتاب النكاح، وعن فيض القدير ج ٥ ص ٦٩ وعن الدر المنثور ج ٥ ص ١٨٤ وفتح القدير ج ٤ ص ٢٦٧ والطبقات الكبرى ج ١ ص ١٤٨ وج ٧ ص ٥٩ والتاريخ الكبير للبخاري ج ٧ ص ٢٧٤ وضعفاء العقيلي ج ٤ ص ٣٠٠ والكامل لابن عدي ج ٤ ص ١٦٩ وج ٧ ص ٣٧ وعن أسد الغابة ج ٣ ص ١٣٢ وج ٤ ص ٤٢٦ وج ٥ ص ٣٧٧ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٣٦٠ وسير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٣٨٤ وج ١١ ص ١١٠ وج ١٣ ص ٤٥١ ومن له رواية في مسند أحمد ص ٤٢٨ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٤٨ وعن الإصابة ج ٦ ص ١٨١ والمتخب من ذيل المذيل ص ٦٦ وتاريخ جرجان ص ٣٩٢ وذكر أخبار إصبهان ج ٢ ص ٢٢٦ وعن البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٩٢ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ١٦٦ وعن عيون الأثر ج ١ ص ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٣١٧ و ٣١٨ ودفع الشبه عن الرسول ص ١٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٧٩ و ٨١ و ٨٣ وج ٢ ص ٢٣٩ وعن ينابيع المودة ج ١ ص ٤٥ وج ٢ ص ٩٩ و ٢٦١.

قادر على إسقاط جبروت الملوك، وتحطيم كبريائهم الظالم..

يا فَرَّارًا!!:

وعلى كل حال، فإن الهاربين بقيادة خالد حين اقتربوا من المدينة لقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم، واعطوني ابن جعفر، فإتي بعبد الله بن جعفر، فأخذه فحمله بين يديه^(١).

وروى إسحاق، عن عروة، قال: لما أقبل أصحاب مؤتة، تلقاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمون معه^(٢).

قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون: يا فرار، فررتم في سبيل الله!!

قال: فيقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ليسوا بالفَرَّار ولكنهم

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٣ و ٢٨٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٩ و ٤٧٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ و ١٥٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ والبحار ج ٢١ ص ٥٤ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٣ و ٢٨٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٩ و ٤٧٨ وإعلام الوری ص ١١١ و ١١٢ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ١ ص ٢١٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٦.

الكرار إن شاء الله تعالى»^(١).

وروي نحو ذلك: عن أبي سعيد الخدري^(٢).

وروى أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن عبد الله بن عمر قال: «كنت في سرية من سرايا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فحاص الناس وكنت فيمن حاص»^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ و ١٥٦ والطبقات لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٩٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٢ والبحار ج ٢١ ص ٥٧ عن إعلام الوري ص ١١١ و ١١٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢١٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ و ٧٦٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٣ و ٢٨٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٦٩ و ٤٧٩ وعن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٧ والبحار ج ٢١ ص ٥٧ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٦.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ و ٧٦٥.

(٣) كتاب الأم للشافعي ج ٤ ص ١٨٠ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٢٩١ ونيل الأوطار ج ٨ ص ٧٩ والمسند للشافعي ص ٢٠٧ وعن مسند احمد ج ٢ ص ٧٠ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٩٦ وسنن الترمذي ج ٣ ص ١٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٦ وتحفة الأحوذى ج ٥ ص ٣٠٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٧٣٣ والأدب المفرد ص ٢٠٩ ومسند أبي يعلى ج ١٠ ص ١٢٨ والمتقى من السنن المسندة ص ٢٦٣ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٥٨ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٠٦ وعن الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٤ وفتح القدير ج ٢ ص ٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥١ ص ٢٦٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٤٩٦ وج ٦ ص ١٥٦ وج ٧ ص ١٥١.

وفي رواية: فلما لقينا العدو في أول غادية، فأردنا أن نركب البحر، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف؟
ثم قلنا: لو دخلنا المدينة (قُتِلنا)، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً، فاختفينَا.
ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاعتذرنا إليه، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا.
فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: «من القوم»؟
قلنا: نحن الفرارون.
قال: «بل أنتم الكرارون، وأنا فتتكم...».
أو قال: «وأنا فئة كل مسلم».
قال: فقبلنا يده^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ١٥١ وج ٦ ص ١٥٦ وقال في هامشه: أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٢ ح ٢٦٤٧ والترمذي ج ٤ ص ١٨٦ ح ١٧١٦ وأحمد في المسند ج ٢ ص ١١١ والبيهقي في السنن ج ٩ ص ٧٨ وأبو نعيم في الحلية ج ٩ ص ٥٧ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وراجع: الأحكام ليحيى بن الحسين ج ٢ ص ٥٠٢ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٢٩١ ونيل الأوطار ج ٨ ص ٧٩ و ٨٠ وفقه السنة ج ٢ ص ٦٥٣ وعن مسند أحمد ج ٢ ص ٧٠ و ١١١ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٩٦ وسنن الترمذي ج ٣ ص ١٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٦ و ٧٧ وتفقه الأحمدي ج ٧ ص ٤٣٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٧٣٣ والأدب المفرد للبخاري ج ٢ ص ٢٠٩ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٥٨ والجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٨٣ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٠٦ وعن الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٤ وفتح القدير ج ٢ ص ٢٩٦ وتاريخ مدينة مشق ج ٥١ ص ٢٦٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧٠.

حدثني داود بن سنان قال: سمعت ثعلبة بن أبي مالك يقول: انكشف خالد بن الوليد يومئذ، حتى عيروا بالفرار، وتشاءم الناس به^(١).

قال الواقدي أيضاً: حدثني خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن عتبة، يقول: ما لقي جيش بعثوا معنا ما لقي أصحاب مؤتة من أهل المدينة، لقيهم أهل المدينة بالشر، حتى إن الرجل لينصرف إلى بيته وأهله، فيدق عليهم الباب، فيأبون أن يفتحوا له، يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟ فأما من كان كبيراً من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجلس في بيته استحياء، حتى جعل النبي «صلى الله عليه وآله» يرسل إليهم رجلاً رجلاً، يقول: أنتم الكرار في سبيل الله! فخرجوا^(٢).

حدثني مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال:

كان في ذلك البعث سلمة بن هشام بن المغيرة، فدخلت امرأته على أم سلمة زوج النبي «صلى الله عليه وآله» فقالت أم سلمة: ما لي لا أرى سلمة بن هشام؟ أشتكى شيئاً؟

قالت امرأته: لا والله، ولكنه لا يستطيع الخروج. إذا خرج صاحوا به وبأصحابه: «يا فرار، أفررت في سبيل الله؟» حتى قعد في البيت.

فذكرت ذلك أم سلمة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ والبحار ج ٢١ ص ٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧٠.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ و٧٦٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٣ والبحار ج ٢١ ص ٥٩ وشرح النهج ج ١٥ ص ٧٠.

الله «صلى الله عليه وآله»، بل هم الكرار في سبيل الله، فليخرج! فخرج^(١).
حدثني خالد بن إلياس، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: كنا نخرج
ونسلم ما نكره من الناس، لقد كان بيني وبين ابن عم لي كلام، فقال: إلا
فرارك يوم مؤتة! فما دريت أي شيء أقوله له.

الرسول : رؤوف رحيم:

ونقول تعليقاً على ما تقدم:

لقد عرف الناس كلهم هذا النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» بالرحمة
والرأفة بالمؤمنين، وبمناهضة التعدي والظلم، من أي إنسان على أي كان
من الناس..

وقد نوه القرآن الكريم بهذه الخصال فيه، ومدحه عليها، بل أظهر بما
لا يقبل الشك أنها متجذرة في أعماق أعماقه، حتى ليكاد يظن بعض الناس
من ذوي الأفهام القاصرة: أنها قد تجاوزت حدود ما هو مطلوب..
قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} ^(٢).

(١) عن السيرة النبوية ج ٤ ص ٣٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٣ والمغازي
للواقدي ج ٢ ص ٧٦٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٦ وتاريخ
الخميس ج ٢ ص ٧٢ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٦٢٥ وعن الإصابة ج ٣ ص ١٣١
وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٤ وعن
السيرة النبوية لابن هشام ص ٨٣٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧١.
(٢) الآية ٥٩ من سورة آل عمران.

وقال سبحانه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} ^(١).

غير أننا نلاحظ: أن أهل المدينة يخرجون لاستقبال الجيش العائد، بقيادة خالد، ثم يثثون التراب في وجه العائدين، ويصيحون في وجوههم: يا فرار، فررتم في سبيل الله.. ورسول الله «صلى الله عليه وآله» حاضر وناظر، لا يلوم أحداً على فعله، ولا يظهر تغيضاً، ولا يعاقب، ولا يطالب.. مع أنه نصير كل مظلوم، وإنما يكتفي بالتفوه بكلمات يسيرة على سبيل تطيب خاطر، والسعي لإعادة المعنويات المنهارة..

بل إن هؤلاء العائدين بالفشل لا يجرؤون على شكوى أحد من الناس الذين يواجهونهم بالتأنيب واللوم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل يكتفون بالاختباء في بيوتهم، رغم أنهم لم يقتربوا ذنباً، ولا ارتكبوا خطيئة، لا عند الشرع، ولا بنظر العرف.

كما أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه لا يسأل عن أحد منهم، ولا يتساءل عن سبب غيبتهم عن جماعته، وعن مجلسه، وعن جميع المتدييات والمجالس. ويتأكد مضمون هذا السؤال إذا لاحظنا أن المختبئين في البيوت هم أصحاب الشأن، والأعيان منهم، حسبما صرحت به الروايات..

هل ظلم الفارون؟!

وإنما قلنا: أنهم لم يرتكبوا ذنباً بنظر الشرع، لأن الفقهاء قد ذكروا: أنه

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

يجوز الهرب في الجهاد في أحوال ثلاثة:

الأولى: أن يزيد عدد الكفار على ضِعْفِ عدد المسلمين، والدليل على

الجواز:

١ - قوله تعالى: {الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} ^(١).

٢ - ما رواه العامة عن ابن عباس، قال: «من فر من اثنين فقد فر، ومن فر من ثلاثة فما فر» ^(٢).

٣ - ما روي من طريق الخاصة: عن الصادق «عليه السلام»: «من فر من رجلين في القتال من الزحف فقد فر، ومن فر من ثلاثة في القتال من الزحف فلم يفر» ^(٣).

(١) الآية ٦٦ من سورة الأنفال.

(٢) سنن البيهقي ج ٩ ص ٧٦ والحاوي الكبير ج ١٤ ص ١٨٢ والمغني ج ١٠ ص ٥٤٣ والعزیز شرح الوجيز ج ١١ ص ٤٠٥ ومنهى المطلب (ط ق) ج ٢ ص ٩٠٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج ٢ ص ٤١١ و (ط ج) ج ٩ ص ٥٨ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٢٩١ والمغني لابن قدامة ج ١٠ ص ٥٥١ والشرح الكبير ج ١٠ ص ٣٨٦ وكشف القناع ج ٣ ص ٥٠ ونيل الأوطار ج ٨ ص ٨٠ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٧٧ وكنز العمال ج ٤ ص ٤٣٣ وعن أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٦١٢ وعن الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٤.

(٣) الكافي ج ٥ ص ٣٤ ح ١ والتهذيب ج ٦ ص ١٧٤ ومنهى المطلب (ط ق) ج ٢ ص ٩٠٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج ١ ص ٤١١ و (ط ج) ج ٩ ص ٥٨ ودعائم =

الحالة الثانية: أن يترك القتال، ولكن لا بنية الهرب، بل لأجل أن ينصرف ليكمن في موضع، ثم يهجم.

الحالة الثالثة: أن يتحيز إلى فئة، وهو: أن ينصرف على قصد أن يذهب إلى طائفة ليستنجد بها في القتال^(١).

وعلى هذا فإنه إذا كان عدد الفارين ثلاثة آلاف، والجيش الذي يواجههم يعد بمئات الألوف، فلماذا يلامون على الفرار؟ ولماذا يطردون؟ ولماذا يعيرون؟ ولماذا؟! ولماذا؟!

التخفيف والتلطيف:

وأما قوله «صلى الله عليه وآله» للذين اعترفوا أمامه بالفرار من الزحف: «بل أنتم الكرارون، وأنا فتتكم، أو قال: وأنا فئة كل مسلم» فأراد «صلى الله عليه وآله» به أن يؤيد اعترافهم بالفرار، ثم يخفف من وطأة ذلك على نفوسهم حين يقرر أن فرارهم يدخل في سياق التحيز إلى فئة، وبذلك

= الإسلام ج ١ ص ٣٧٠ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ٦٩ ومختلف الشيعة ج ٤ ص ٣٨٩ وإيضاح الفوائد ج ١ ص ٣٥٦ ومسالك الأفهام ج ٣ ص ٢٥ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٥٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٨٤ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٦٣ والبحار ج ٩٤ ص ٣٤ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٣١٣ والتفسير الأصفى ج ١ ص ٤٤٧ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٣٩ و ١٦٦.

(١) راجع ما تقدم في تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي (ط ق) ج ١ ص ٤١١ و (ط ج) ج ٩ ص ٦١ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٥٨ والمهذب لابن البراج ج ١ ص ٣٠٤ وجامع المقاصد ج ٣ ص ٣٨٢ والتحفة السنية (مخطوط) للجزائري ص ١٩٩.

يكون قد خفف عنهم بعض الألم الذي كان يعتصر قلوبهم..

وبتعبير آخر أوضح وأصرح:

إنه «صلى الله عليه وآله» إنما قال ذلك لهم على سبيل التشبيه والتنزيل والمجاز، لا على سبيل الحقيقة، إذ ليس في ظاهر حالهم حين فرارهم ما يدل على أنهم كانوا يقصدون بهذا الفرار التحيز إلى فئة. بل كان همهم النجاة بأنفسهم وحسب.

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» - كما قلنا - قد أراد معالجة سلبيات الهزيمة بهذا النحو من التخفيف والتلطيف، واعتبارهم كأنهم قد تحيزوا إلى فئة، حتى قال لهم: وأنا فتتكم.

ولو كان كلامه «صلى الله عليه وآله» جار على سبيل الحقيقة، لم يحتاج إلى بيان من هو الفئة لهم..

لو دخلنا المدينة قتلنا!!

والأمر الأكثر إثارة، والأشد غرابة والأوضح دلالة، أن يبلغ الخوف بالفارين من الزحف حداً يجعلهم يصرحون بأنهم لو دخلوا المدينة قتلوا.. فإن هذا الخوف لا يكون لمجرد تحيزهم إلى فئة، بل هو فرارهم من الزحف..

إن لم نقل: إن ذلك قد يثير احتمال ظهور تواطؤ أو خيانة منهم اكتشفها المسلمون، فأثارت لدى مرتكبيها احتمالات القتل..

ويتأكد هذا الذي ذكرناه مع علم الجميع: بأن الفرار من وجه جيش يزيدهم عشرات الأضعاف، لا يوجب للفارين أية مجازاة أو عقوبة. أو لوم.

الحر تكفيه الإشارة:

عن الزهري: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما أخبر الناس بقتل القادة الثلاثة «بكى أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم حوله، فقال لهم النبي «صلى الله عليه وآله»: «وما يبكيكم؟» فقالوا: وما لنا لا نبكي، وقد ذهب خيارنا وأشرافنا، وأهل الفضل منا؟! فقال لهم «صلى الله عليه وآله»: لا تبكوا، فإنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها، فأصلح رواكبها، وبنى مساكنها، وحلق سعفها، فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً. فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأقومها شمراخاً!! والذي بعثني بالحق نبياً، ليجدن عيسى بن مريم في أمتي خلفاً من حواريه»^(١).

ونقول:

إن كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» هنا يكاد يكون صريحاً في أنه يدين ما صدر من الفارين في مؤتة، فإنه أشار إلى أن قتل الخيار لابد أن يعقبه أن تنجب الأمة فوجاً آخر من هؤلاء الخيار. ولعل الفوج الأخير - الذي هو من أنصار المهدي «عليه السلام» - سوف يكون خيراً من حوارى عيسى «عليه السلام» أنفسهم.. وسيلمس عيسى «عليه السلام» ذلك حينما يظهر مع الإمام «عليه السلام»، ليقم

(١) البحار ج ٢١ ص ٥١ والأمل للطوسي ص ٨٨ ومقاتل الطالبين ص ٧ و ٨ وبشارة المصطفى ص ٤٣٢ وكنز العمال ج ١٢ ص ١٨١.

الحجة على النصارى في أمر بشريته، وتابعيته لوصي محمد «صلى الله عليه وآله»، حيث يصلي خلفه، ويكون من أعوانه..

فيلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يشر بشيء إلى أي نصر أنجزه خالد ومن معه، فضلاً عن تحقيق ما يستحق أن يسمى فتحاً.. بل هو «صلى الله عليه وآله» قد قبل بأن المقتولين هم خيار أصحابه، وأشرافهم، وأهل الفضل فيهم.. ولا يرى في الذين سلموا في مؤتة خلفاً من الذين قتلوا، بل لابد من انتظار ظهور فوج جديد من الأخيار، والأشراف، وأهل الفضل.

النصر الضائع:

ونستطيع بعد كل هذا الذي ذكرناه وقررناه، أن نؤكد على أن كل الدلائل تشير إلى أن الفارين كانوا عارفين بعظيم جرمهم، وقبح جنائتهم، كما أن أهل المدينة كانوا عارفين بذلك، وكذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وقد كان واضحاً للجميع: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسلهم لإنجاز مهمة كبرى كان يعرف حجمها، ولا بد أن يكون قد رسم لهم معالم حركتهم فيها، وحدد كل تفاصيلها، ولا بد أن يكون عارفاً بجموع قيصر ونواياه وخططه، وكيف لا يكون كذلك، وهو قد أثبت أن لديه قدرة فائقة على رصد حركة أعدائه في مختلف البقاع والأصقاع مهما اختلفت الفئات والأنواع.

وكانت هذه المهمة من الخطورة بحيث تستحق أن يضحي من أجلها بمثل جعفر، وزيد، وابن رواحة، ولعلها كانت ستنتهي بالانتصار على

جيوش قيصر، وربما بأسره، وإسلام البلاد التي يحكمها أو كان له نفوذ فيها.. ولعل هذا النصر كان سيتحقق بعد استشهاد القادة بيسر، ولكن الفرار قلب الأمور، فوقع المحذور.

ولذلك لم يتمكن الفارون من تقديم أي عذر أو تأويل، بل ربما كانوا خائفين من وصول الأمور إلى حد اتخاذ القرار بقتلهم.

ولذلك لم يتساهل أهل المدينة معهم، بل حثوا التراب في وجوههم وطردوهم، ولم يفتحوا لهم أبواب بيوتهم، كما أن النبي الكريم، والرؤوف الرحيم بالمؤمنين لم يعترض على أحد من أهل المدينة فيما يفعل، ولم يردعهم عن شيء من تصرفاتهم التي تدخل في سياق الإهانة والتحقير لهذا الجيش.. وقد قلنا آنفاً: أن الفرار من جيش يفوق عدده عدد جيش المسلمين بعشرات الأضعاف ليس جرماً ولا حراماً..

وهذا يدلنا: على أن القضية لم تكن قضية فرار وحسب، وإنما هي أدهى وأكبر، وأعظم، وأمر وأخطر، لأنها قضية تضييع أعظم نصر عرفه تاريخ البشرية.

واقتصر الأمر على مجرد تراجع جيش الروم عن تصميمه بمهاجمة المسلمين في عمق بلادهم، وفي عقر دارهم، في المدينة نفسها.. إذ إننا نرى: أن هرقل بعد أن انتصر على كسرى، طمع بالإستيلاء على الحجاز ليؤكد شوكته، وليعزز سلطانه..

فجاء بالجيوش بحجة المشي إلى بيت المقدس وفاءً بنذره، فبادر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمباغتته بخطة تبطل كيده، وتمزق جنده، فضيع ذلك خالد هزيمته النكراء تلك. وإلا فكيف نفسر وجود هذه الجيوش

الهائلة التي تعد بمئات الألوف في منطقة الأردن القريبة من الحجاز، بل هي على مشارفه، وقد ظهر مصداق هذا النصر في الحرب التي لم تسفر رغم امتدادها أياماً سوى عن ثمانية، وقيل: اثني عشر قتيلًا على أبعد التقادير. مع أن العادة تقضي بأن جيشاً، قد يصل عدده إلى نصف مليون مقاتل لا يحتاج إلى استئصال ثلاثة آلاف مقاتل إلى أكثر من نهار.

النبي .. وعائلة جعفر:

عن أسماء بنت عميس رحمها الله قالت: دخل علي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم أصيب جعفر وأصحابه، فقال: «إيتيني ببني جعفر». فأتيته بهم فضمهم، وشمهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم أصيبوا هذا اليوم». قالت: فقممت أصيح. واجتمع إلي النساء^(١). زاد الواقدي وابن سعد: فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يا أسماء، لا تقولي هجراً، ولا تضربي صدرًا. قالت: فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى دخل على ابنته فاطمة «عليها السلام» وهي تقول: واهي. واهي.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٣ والبحار ج ٧٩ ص ٩٢ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٦٠ و ٦١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧٤ ومسند ابن راهويه ج ٥ ص ٤١ والمعجم الكبير ج ٢٤ ص ٤٤ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٢٨٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٥.

فقال «صلى الله عليه وآله»: على مثل جعفر فلتبكي الباكية، ثم قال: اصنعوا لآل جعفر طعاماً، قد شغلوا عن أنفسهم اليوم^(١).
وقال الواقدي: حدثني محمد بن مسلم، عن يحيى بن أبي يعلى، قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أمي، فنعى لها أبي، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي، وعيناه تهرقان الدموع حتى تقطر لحيته. ثم قال: اللهم إن جعفرًا قد قدم إلى أحسن الثواب، فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته.

ثم قال: يا أسماء، ألا أبشرك؟

قالت: بلى، بأبي وأمي.

قال: فإن الله عز وجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة.

قالت: بأبي وأمي يا رسول الله، فأعلم الناس ذلك!

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخذ بيدي، يمسح بيده رأسي

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٣ وعن أحمد، وابن ماجه، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨ والبحار ج ٢١ ص ٦٣ عن المعتزلي والطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٨٢ وشرح أصول الكافي ج ٧ ص ١٩٠ والإحتجاج ج ١ ص ١٧٣ وعن ذخائر العقبى ص ٢١٨ والنص والإجتهد ص ٢٩٦ والمصنف للصنعاني ج ٣ ص ٥٥٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧١ والدرجات الرفيعة ص ٧٦ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٢٨٩ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٦١ وج ٣٥ ص ٣٧٤ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١١ وأنساب الاشراف ص ٤٣.

حتى رقي على المنبر، وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى، والحزن، يعرف عليه، فتكلم فقال: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه. ألا إن جعفرًا قد استشهد، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة.

ثم نزل «صلى الله عليه وآله»، فدخل بيته، وأدخلني، وأمر بطعام فصنع لأهلي، وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده - والله - غداء طيباً مباركاً، عمدت سلمى خادمتها إلى شعير فطحنته، ثم نسفتها، ثم أنضجته، وأدمته بزيت، وجعلت عليه فلفلاً. فتغديت أنا وأخي معه،

فأقمنا عنده ثلاثة أيام في بيته، ندور معه كلما صار في إحدى بيوت نسائه، ثم رجعنا إلى بيتنا، فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك وأنا أساوم بشاة أخ لي، فقال: اللهم بارك في صفقته.

فقال عبد الله: فما بعت شيئاً ولا اشتريت إلا بورك فيه^(١).

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين جاءت وفاته جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة كان إذا دخل بيته كثر بكأؤه عليهما جداً، ويقول: كانا يحدثاني ويؤنساني، فذهبا جميعاً^(٢).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٦ و ٧٦٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨ والبحار ج ٧٩ ص ٩٢ وج ٢١ ص ٥٦ و ٥٧ عن إعلام الوری ص ١١١ و ١١٢ ومسکن الفؤاد ص ٦٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧١ والدرجات الرفیعة ص ٧٦ وتاریخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٢٥٧ وكنز العمال ج ١٣ ص ٤٧٧ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٥٥ وج ٧٩ ص ١٠٤ عن من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٢٧ ومنهى المطلب (ط ق) ج ١ ص ٤٦٦ وتذكرة الفقهاء (ط ج) ص ٢ ص ١١٨ =

عن خالد بن الوليد قال: لما أصيب زيد بن حارثة أتاه النبي «صلى الله عليه وآله»، فجهشت بنت زيد في وجه رسول الله، فبكى «صلى الله عليه وآله» حتى انتحب (أي رفع صوته في البكاء). فقال له سعد بن عباد: يا رسول الله، ما هذا؟! قال «صلى الله عليه وآله»: هذا شوق الحبيب إلى حبيبه^(١). وعن الإمام السجاد «عليه السلام»: ما من يوم أشد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله. وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب. ثم قال «عليه السلام»: لا يوم كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل الخ..^(٢).

= و (ط ق) ج ١ ص ٥٦ والحدائق الناضرة ج ٤ ص ١٦٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٢٨٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٩٢٢ ومسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص ٦٩ ونهاية الأحكام ج ٢ ص ٢٨٩ والذكرى للشهيد الأول ص ٧٠.

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٤ مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٤٦٥ ومكارم الأخلاق ص ٢٢ ومسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص ٩٦ والبحار ج ١٦ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ والإخوان لابن أبي الدنيا ص ١٥٢ وفيض القدير ج ٣ ص ٦٩٥ والدرجات الرفيعة ص ٤٣٩ والطبقات الكبرى ج ٣ ص ٤٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٧١ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣٠.

(٢) أمالي الصدوق ص ٣٧٤ المجلس السبعون و(ط مؤسسة البعثة) ص ٥٤٧=

وعن العباس بن موسى بن جعفر قال: سألت أبي «عليه السلام» عن المأتم، فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما انتهى إليه قتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر، فقال: أين بني؟! فدعت بهم، وهم ثلاثة: عبد الله، وعون، ومحمد. فمسح رسول الله «صلى الله عليه وآله» رؤوسهم، فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام! فعجب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من عقلها، فقال: يا أسماء، ألم تعلمي أن جعفرًا رضوان الله عليه استشهد؟! فبكت، فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تبكي، فإن الله أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر. فقالت: يا رسول الله، لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر، لا ينسى فضله.

فعجب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من عقلها. ثم قال: ابعثوا إلى أهل جعفر طعاماً فجرت السنة^(١). وقالوا أيضاً: لما قتل جعفر بمؤتة، أمهل النبي «صلى الله عليه وآله» آل جعفر أن يأتهم ثلاثة أيام، فندبوا. ثم قال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم، وقال: إن له جناحين يطير بهما

= والبحار ج ٢٢ ص ٢٧٤ و ج ٤٤ ص ٢٩٨ والعوالم (الإمام الحسين «عليه السلام») للبحراني ص ٣٤٨ و ٣٤٩ ومقتل الحسين «عليه السلام» لأبي مخنف ص ١٧٦ والأنوار العلوية للنقدي ص ٤٤٢.
(١) البحار ج ٢١ ص ٥٥ و ج ٧٦ ص ٨٣ والمحاسن للبرقي ج ٢ ص ٤٢٠ الحديث رقم ١٩٤ وراجع: مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤٧٣.

حيث شاء من الجنة^(١).

لا تقولي هجراً، ولا تضربي صدراً:

١ - إن المصائب التي تحل بالناس، ولا سيما فقد الأحبة، قد تخرجهم عن حالة التوازن، فتصدر منهم بعض التصرفات غير المقبولة ولا المعقولة.. فإذا تركوا، فقد يتفاقم الأمر، ليصل إلى حد الخروج عن دائرة الشرع وأحكام الدين..

ولذلك، كان من المستحسن إذا ظهرت بوادر هذا الاختلال، المبادرة إلى وضع حد يمنع من الانسياق مع أجواء الانفعال هذه لتبقى الأمور تحت السيطرة، وفي دائرة الانضباط..

والظاهر: أن ما ظهر من أسماء بنت عميس في حضرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين أخبرها باستشهاد زوجها جعفر بن أبي طالب يدخل في هذا السياق، فإن صياحها بحضرة الرسول «صلى الله عليه وآله»، واجتماع النساء إليها قد أظهر أنها قد تخرج تحت تأثير الفاجعة عن حدود

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ والمجموع للنووي ج ١ ص ٢٩٦ والشرح الكبير لابن قدامة ج ١ ص ١٠٦ ونيل الأوطار ج ١ ص ١٥٥ وذخائر العقبى ص ٢١٩ وعن مسند أحمد ج ١ ص ٢٠٤ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٨ وسنن النسائي ج ٨ ص ١٨٢ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٧ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٩٤ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٨٠ و ٤٠٧ ورياض الصالحين للنووي ص ٦٤٥ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٢٥٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧٦.

الاتزان المعقول والمقبول في كلامها، وفي حركتها الإنفعالية التصعيدية..
فبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى وضع حد لهذا التصعيد حين جعل
يقول لها: لا تقولي هجراً، ولا تضربي صدراً.. مع ملاحظة: أن سياق هذا
التعبير يعطي أنه «صلى الله عليه وآله» قد كرر قوله هذا لها.

٢ - يضاف إلى ما تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعلم: أن
الناس يتعاملون مع أقواله، وأفعاله، وكل ما يفعل بحضرته مع سكوته
عنه، وقدرته على القبول والرد.. على أنه مسنون ومشروع..

فإذا لطمت أسماء صدرها بحضرته، وسكت عنها رسول الله «صلى
الله عليه وآله».. فسيفهم الناس أن ذلك مما يشرع أو يسنّ في الشريعة
بالنسبة إلى كل بيت، وقد يدخل ذلك في صميم عادات الناس وممارستهم
حين يفقدون أحداً من أعزائهم.

مع أن الشهيد الذي يحسن إظهار الجزع في مأتمه، ويكون لطم الصدور
فيه راجحاً هو الإمام الحسين «عليه السلام»، لأن في ذلك قوة للدين،
وترسيخاً للإيمان واليقين.. فلا بد من حفظ الخصوصية له صلوات الله
وسلامه عليه من أجل ذلك..

فالنهي عن لطم الصدر هنا لا يعني أنه حرام، بل هو هنا لأجل أن لا
يستفاد من ذلك مطلوبة هذا الأمر، بالنسبة لكل من مات أو استشهد..

على مثل جعفر فلتبك البواكي:

١ - ثم إن هناك نوعاً من الناس يحمل مزايا فريدة، ويتميز بإنسانية
عالية وكاملة ورائدة، وأمثولة للفضيلة حية، فإذا مات أو استشهد فلا بد أن

بيكيه الناس كلهم، لأن فقدته يعنيهم كلهم. وخسارة لهم جميعاً..
وقد بين النبي «صلى الله عليه وآله» مواصفات هؤلاء الناس من خلال
النموذج الذي قدمه لهم على أنه يحمل هذه المزايا والمواصفات، وذلك حين
قال: على مثل جعفر فلتبك البواكي^(١).
فالبكاء على جعفر إنما هو لأجل ما ذكرناه، لا لأنه في نسبه قريب أو
صاحب أو حبيب.
وقد أوضح نص آخر: أن هذه المزايا لا حد لها ولا حصر لها في
شخصية جعفر «عليه السلام».
فقد روي أنه «صلى الله عليه وآله» قال لفاطمة «عليها السلام»، حين
قتل جعفر بن أبي طالب: لا تدعي بذل، ولا ثكل، ولا حَرْبٍ. وما قلت فيه
فقد صدقت^(٢).

(١) قاموس الرجال ج ٢ ص ٦٠٣ وشرح أصول الكافي للمازندراني ج ٧ ص ١٩٠
وعن ذخائر العقبى ص ٢١٨ والبحار ج ٢٢ ص ٢٧٦ وج ٢٣ ص ٥٥٦ والنص
والإجتهاد ص ٢٩٦ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٢٨٩ وأنساب الأشراف ص ٤٣
وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٥ و ٦٦ والمصنف للصنعاني ج ٣ ص ٥٥٠ وشرح
النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧١ والجامع الصغير ج ٢ ص ١٥٩ وكنز العمال ج ١١
ص ٦٦٠ وعن فيض القدير ج ٤ ص ٤٢٧ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٨٢
وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٦١ وينايع المودة ج ٢ ص ٩٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٢٦ الحديث رقم ٥٢١ والبحار ج ٢١ ص ٥٧ عن
إعلام الوري ص ١١١ و ١١٢ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٧٦ والوسائل
(ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٢٧٢ و (ط الإسلامية) ج ٢ ص ٩١٥ ومجمع =

فهذه العبارة الأخيرة قد أفسحت المجال لكل قول يبين سجايا جعفر ومزاياه الفاضلة، مهما كان نوع ومستوى ما يقال من تلك السجايا والمزايا. لأن كل ما يقال فيه من فضل، فهو صدق وحق وعدل.. وهذه المزايا إذا اجتمعت وتكاملت في أي كان من الناس، فإنه يصبح مثلاً أعلى، وأسوة وقدوة، يحس الناس كلهم بالحاجة إليه، ويكون إلحاق الأذى به بمثابة التعدي عليهم، وإلحاق الأذى بهم كلهم. فلماذا إذن لا يكون إذا فقد، ولا يحنون إليه إذا غاب.

٢ - ومن جهة ثانية إن هذه الكلمة وكذا النصوص المصرحة ببكاء النبي «صلى الله عليه وآله» على جعفر «عليه السلام»، وزيد بن حارثة «رحمه الله»، قد جاءت لتؤكد على مشروعية البكاء على الميت، بل على مطلوبيته بالنسبة لبعض من يموت أو يستشهد، من الأتقياء الأبرار، والعلماء الأخيار.. فلا يصح ما يزعمونه من المنع عن ذلك، وقد أشرنا إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع من هذا الكتاب.

مدى حزن النبي ' على جعفر:

وإذا أردنا أن نتصور مدى حزن النبي «صلى الله عليه وآله» على جعفر، فعلينا أن نتذكر عودة جعفر من الحبشة، فقد كان سرور النبي «صلى الله عليه وآله» بقدومه منها يوازي سروره بفتح الله خيراً على يد أخيه علي «عليه السلام»، أو يزيد عليه..

= البحرين ج ١ ص ٣١٧ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ١ ص ٤٦٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج ١ ص ٥٥ و (ط ج) ج ٢ ص ١١٧.

.....
: فإن ذلك يعطي انطباعاً عن مستوى، ومقدار حزنه على هذا الرجل الذي أشبه خُلُقَه وخُلُقَه «صلى الله عليه وآله»، فإن مقدار الحزن لا بد أن يوازي مقدار السرور هناك..

وخصوصاً إذا كان شرار الخلق قد هتكوا حرمة، حتى قضى شهيداً، وبالأخص بعد قطع يديه، وما جرى عليه، حتى إن الطعنات التي وجدت في مقدم جسده باتت تعد بالعشرات حسبما تقدم..

النبى 'بدون جعفر وعلي':

قال المسعودي: «وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار، بمؤتة من أرض الشام، لا يبعث بعلي في وجه من الوجوه، إلا ويقول: {وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ}»^(١)».

ونقول:

أما بالنسبة لجعفر فقد ذكرنا في حديثنا عن غزوة خيبر شبهه برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما كان له من قيمة عند الله، أما علي فقد صرح القرآن الكريم: بأنه «عليه السلام» هو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث قال في آية المباهلة:

{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ

(١) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٤٣٤.

عَلَى الْكَاذِبِينَ»^(١).

وقد أكد ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» في عشرات النصوص، في العديد من المناسبات، وذلك كله يبين: أن فقد النبي «صلى الله عليه وآله» لجعفر ولعلي «عليهما السلام» معناه: أن لا يبقى له «صلى الله عليه وآله» نظير على وجه الأرض، ولذلك، كان يظهر شعوره بقيمة علي «عليه السلام»، ويعتبر أن فقدته لعلي «عليه السلام» سيجعله فرداً وحيداً في هذه الحياة، ولا يعود له وارث في الأرض..

فكان لا يبعث علياً «عليه السلام» في وجه من الوجوه إلا ويقول: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} ^(٢).

حديث عائشة في بكاء النساء:

وربما يقال: قد روي في هذه المناسبة ما يدل على عدم صحة البكاء على الأموات، كما ذكرته عائشة فيما رواه الواقدي عنها، فقد قالت: لما قدم نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحزن. قالت: قديماً ما ضرّ الناس التكلف؛ فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، إن النساء عنيّننا مما يبكين.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ارجع إليهن فأسكتهن، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب».

فقلت في نفسي: أبعدك الله! فوالله ما تركت نفسك، وما أنت بمطيع

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٧٨ من سورة الأنبياء.

رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وروى الواقدي أيضاً عن عائشة: «أنا أطلع من صير الباب فأسمع هذا»^(١).

ونقول:

إنه يمكن قبول هذه الرواية، إذا كان ذلك الرجل يريد أن يشتكي من أن بكاء النساء قد تجاوز الحدود المعقولة وصار يوجب إلحاق العناء بالناس، كما صرحت به الرواية.

أو أنه صار كأنه يمثل نوعاً من الاعتراض على الله سبحانه.. أو أنه بلغ حداً من شأنه أن يضر بمعنويات المجتمع الإسلامي، ويوهن من عزيمته، ويحد من الإقبال على الجهاد في سبيل الله.. فلا بد من التصدي لهذه المبالغات لتعود الأمور إلى مجراها الطبيعي.

وهذه الاحتمالات معقولة، ومقبولة، وتنسجم مع سائر ما دل على جواز البكاء على الأموات.

غير أن في النص أمراً آخر، لا بد من الوقوف عنده، وهو أن عائشة تقول: إنها كانت تسمع هذا وهي تطلع من صير الباب. حيث إننا لا نظن أن يرضى النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا العمل منها.. ولو أنه رآها تفعل ذلك، أو أن أحداً ذكر له ذلك عنها لزرعها وأنبها، وأعلن عن عدم رضاه

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٦٧ و ٧٦٨ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢٨٧ ومسند ابن راهويه ج ٢ ص ٤١٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٣٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٧٥.

بهذه الجراءة، وبهذا التجسس عليه، الهادف إلى الإطلاع على ما يريد ستره عنها، وهو أمر قد نهى عنه القرآن، وأكدت على رفضه وأدانتته كلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المناسبات المختلفة.

أسماء وتعريف الناس بفضل جعفر:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأن أسماء قد طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله»: أن يعلم الناس بما حبا الله تعالى به جعفرًا «عليه السلام»، فأجاب طلبها رضوان الله تعالى عليها، وأخبر الناس من على منبره بذلك. ونقول:

لقد أظهرت أسماء عقلاً راجحاً، واتزاناً واضحاً، حين طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يذكر للناس فضل جعفر، كما صرحت به الرواية المتقدمة عن الإمام الكاظم «عليه السلام»، لأن هدف أسماء رحمها الله تعالى لم يكن هو الفخر، والتباهي أمام الناس بهذا العطاء الإلهي لجعفر «عليه السلام»، لتكون قد استغلت دمه الشريف لأهداف دنيوية، وإثارات فارغة..

بل كان هدفها:

أولاً: أن يستفيد الناس من هذه الأمثلة الرائدة المزيد من الاندفاع للتضحية، والبذل والعطاء في سبيل الله تعالى. وأن يتضاعف حرصهم على نيل المقامات السامية، والحصول على المزيد من التطهير والتزكية لنفوسهم وقلوبهم.

ثانياً: إنها أرادت أن تبين للناس: أن ما يثيره الحاقدون من أجواء

تشكيكية بفضل جعفر «عليه السلام»، وبهجرتة وجهاده، ما هو إلا سموم تنضح من أنياب أفاعٍ يلذ لها أن تنهش بأجساد الأخيار والأبرار، وإن ما تظهره تلك الأرقام من لين الجانب ونعومة الملمس إنما يخفي وراءه السم الناقع، والغدر الذميم والبغيض.

ولأجل ذلك استجاب لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم نلاحظ أن لديه أي تحفظ على ما طلبته، ولو أنه شعر بأنها تسعى لنيل شيء من حطام الدنيا، حتى لو كان ذرة من حب التفاخر والتباهي لأظهر لها ذلك، ولكان وعظها وحذرهما، ولرفض طلبها، إذ لا يمكن أن يرضى لنفسه أن يكون له أي أثر في تمكينها من تحقيق أهداف من هذا القبيل.

ويعزز هذا الذي نقوله: أن أسماء كانت معروفة بالعقل والإتزان، وبالالتزام والتقوى. ولم يلاحظ أحد على سلوكها وتصرفاتها أنها ممن كان يسعى لاستجلاب المنافع الدنيوية لنفسها.

بل الظاهر من حالها وحياتها هو: مراعاة أحكام الشرع، والاهتمام بما يرضي الله سبحانه..

ويدل على ذلك: ما روي من شهادة النبي «صلى الله عليه وآله» لها بأنها من أهل الجنة، أو من المؤمنات^(١). وأن نجابة ولدها محمد بن أبي بكر أتت

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٦٩ والخصال ص ٣٦٣ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ص ٥٧ والبحار ج ٢٢ ص ١٩٥ و ٢٩١ وفضائل الصحابة ص ٨٦ والسنن الكبرى ج ٥ ص ١٠٣ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٣٢٨ وج ٢٤ ص ١٣٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٦٠ والمستدرک للحاكم ج ٤ ص ٣٢ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٤٥٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٣٤٦ وكنز العمال ج ١٢ ص ١٣٨ =

من قبلها^(١).

على أن الوقت الذي طلبت فيه أسماء رحمها الله من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعرف الناس بفضل جعفر، كان وقت وقوع الصدمة عليها، وهو الوقت الذي تلتهب فيه المشاعر إلى أقصى مدى، فلا يبقى مجال للتفكير في أمثال هذه القضايا، أو الانسياق وراء هذه الأوهام.

إتخاذ الطعام في أيام العزاء سنة:

قال السهيلي معلقاً على حديث الطعام لأبناء جعفر «عليه السلام»: هو أصل في طعام التعزية، ويسميه العرب «الوضيمة». كما تسمي طعام العرس: «الوليمة».

= وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٣٤ وأنساب الأشراف ص ٤٤ وعن الإصابة ج ٨ ص ٤٥٠ والطرائف ص ٢٤٩ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٧٤ وج ٥ ص ١٧٧ ومعجم رجال الحديث ج ٢٤ ص ١٩٥ واللمعة البيضاء للأنصاري ص ٨٣٩ ومواقف الشيعة ج ٢ ص ٤٠٦ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٩٨ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٣٩٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٣٤٦ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ٣ ص ٤٤٣ والفتح الكبير ج ١ ص ٥٠٥ وعن الإستيعاب ج ٤ ص ٢٠١.

(١) تنقيح المقال ج ٣ ص ٦٩ والإختصاص (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٧٠ وإختيار معرفة الرجال (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢٨١ والبحار ج ٣٣ ص ٥٨٤ و ٥٨٥ ومجمع البحرين ج ١ ص ٥٧١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٢٠ ص ٢٠٩ والإختصاص ص ٧٠ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ١٧٧ ومعجم رجال الحديث ج ١٥ ص ٢٤٢.

.....
: **وطعام القادم من السفر: «النقيعة».**

وطعام البناء: «الوكيرة»^(١).

والدليل الصحيح والأدق في موضوع طعام التعزية هو ما روي عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» قال: «لما مات جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاطمة «عليها السلام» أن تتخذ طعاماً لأسماء بنت عميس، وتأتيها ونساؤها ثلاثة أيام، فجرت بذلك السنة: أن يصنع لأهل الميت ثلاثة أيام طعام»^(٢).

زيارة عوائل الشهداء:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن سيد الرسل وأفضل الخلق «صلى

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٨.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٥٤ و ٥٥ وج ٧٦ ص ٧٢ و ٨٢ و ٨٣ عن أمالي الطوسي ص ٥٧ و ٥٨ وعن المحاسن ص ٤١٩ وعن الكافي (الفروع) ج ١ ص ٥٩ والحدائق ج ٤ ص ١٥٨ و ١٦٠ وغنائم الأيام ج ٣ ص ٥٦٠ عن: (الكافي ج ٣ ص ٢١٧ ح ٢١ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١١٦ ح ٥٤٩ والمحاسن ص ٤١٩ ح ١٩١ والوسائل ج ٢ ص ٨٨٨ أبواب الدفن ب ٦٧).

وراجع: تذكرة الفقهاء (ط ق) ج ١ ص ٥٧ ونهاية الحكام ج ٢ ص ٢١٢ والذكرى ص ٧٠ والحبل المتين ص ٧٤ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١١٢ و ١٨٢ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٢٣٦ وج ٢٤ ص ٣٦٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٨٨٨ وج ١٦ ص ٤١٢ وأمالي الطوسي (ط دار الثقافة - قم) ص ٦٥٩ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٣٠٠ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص ٢٥٤ ومنتهى الجمان ج ١ ص ٣٠٤.

الله عليه وآله»، الذي كان لا يتعامل مع الأمور بمنطق العشائرية والقبلية، بل بروح رسالية، وتوجيه إلهي كان يزور بيوت الشهداء، ويواسي عوائلهم، ويجيش بالبكاء، ويشاركهم فيما يظهرونه من أسى وألم.. الأمر الذي يجسد رفته «صلى الله عليه وآله» وحنانه، ورأفته، كما أنه يؤكد رعايته، وأبوته لتلك العوائل بصورة عملية وواقعية.

ثم هو يدل على درجة عالية من الإخاء والمصافاة والوفاء.. بين الناس وبين موقع القيادة، حتى على مستوى النبوة الخاتمة، حيث إن هذا النبي الكريم والعظيم يعامل من يقر بنبوته، ويتبع رسالته بهذه الروح، بعيداً عن أي حالة تشي بتميز نفسه عنهم، أو حتى بأية خصوصية له دونهم، فهو فيهم كأحدهم، يفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، وتندمج روحه بأرواحهم حباً، ويذيبها الحنين إليهم شوقاً.

شهداء في قبر واحد، وإخفاء القبر:

قال ابن عنبه: «دفن جعفر، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة في قبر واحد، وعمي القبر»^(١).

ولم تبذل محاولة حقيقية لتحديد موضع دفنهم رضوان الله تعالى عليهم إلا في العصور المتأخرة..

وقد كان من الطبيعي: أن يُعمَى موضع قبور الشهداء، فإن المنطقة قد بقيت في يد الأعداء، إلى أن ظهر الإسلام فيها، ولكن لم يكن هؤلاء

(١) عمدة الطالب ص ٣٦.

المسلمون ممن يهتمون بإظهار أمر آل أبي طالب، بل كان اهتمامهم منصباً على ما يناقض ذلك..

وقد أخفي قبر علي بن أبي طالب «عليه السلام» حوالي مئة سنة إلى أن أظهره الإمام الصادق «عليه السلام» في عهد المنصور العباسي. كيف وقد نبش الحجاج ثلاثة آلاف قبر من أجل أن يعثر على جسد علي «لكي يحرقه»، ولا يبقى له أثراً، فلم يمكنه الله من ذلك^(١). وقد أخفي قبر زيد بن علي، ثم لما عرف صلبوه سنوات، ثم أحرقوه^(٢). وعلينا أن لا ننسى قبر الزهراء «عليها السلام» الذي لا يزال مجهولاً إلى يومنا هذا.

ولعلها حين ارادت إعلان الاحتجاج على الذين آذوها وضربوها، وأسقطوا جنينها، واغتصبوا منها فداً وسواها.. أرادت أيضاً: أن تحفظ جثمانها الطاهر من أن يتعرض للنش والتهتك من قبل من حاول نبش قبر ولدها الإمام الحسين «عليه السلام»، وزوجها علي، ونبش قبر حفيدها زيد، كما هو ظاهر.

(١) روضات الجنات ج ٢ ص ٥٤ وراجع: تفسير القرآن الكريم (تفسير أبي حمزة الثمالي) ص ٧٥.

(٢) شجرة طوبى ج ١ ص ١٤٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٠٠ والإيضاح لابن شاذان هامش ص ٣٩٩ وعن الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٩٠ والكافي ج ٨ ص ٢٥١.

..... :

الفصل الخامس:

صورة موهومة لسرية ذات السلاسل

غزوة ذات السلاسل:

قال ابن عقبة، وابن إسحاق، وابن سعد، ومحمد بن عمر، واللفظ له: «بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن جمعاً من قضاة يريدون أن يدنوا إلى أطراف مدينة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة».

وعند ابن إسحاق: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث عمرواً يستنفر العرب إلى الشام، فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين، (منهم: عامر بن ربيعة، وصهيب، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص) والأنصار، (منهم: أسيد بن حضير، وعباد بن بشر، وسلمة بن سلامة، وسعد بن عباد) وأمره أن يستعين بمن مرَّ به من العرب: من بُلي، وعذرة، وبلقين.

وذلك أن عمرواً كان ذا رحم فيهم، كانت أم العاص بن وائل بلوية، فأراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يتألفهم بعمره^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٠ وعن زاد المعاد ج ١ ص ١١١٨ و ١١٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٩ والطبقات الكبرى =

وفي حديث بريدة عند إسحاق بن راهويه: أن أبا بكر قال: «إن عمرواً لم يستعمله رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا لعلمه بالحرب». انتهى.

وكان معه ثلاثون فرساً، فكان يكمن النهار ويسير الليل، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له: السلاسل - ويقال: السلسل، وبذلك سميت الغزوة ذات السلاسل - (وقيل: سميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض، مخافة أن يفروا)^(١). بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث عمرو رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبره أن لهم جمعاً كثيراً ويستمدده.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء، وبعث معه سراة المهاجرين، كأبي بكر وعمر بن الخطاب، وعدة من الأنصار. وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا عبيدة أن يلحق بعمر بن العاص، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا.

وكان أبو عبيدة في مائتي رجل حتى لحق بعمر. فلما قدموا أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: «إنما قدمت عليّ مدداً لي، وليس لك أن تؤمني وأنا الأمير».

فقال المهاجرون: «كلا بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه».

= ج ٢ ص ١٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٢ وتاريخ المدينة لابن أبي شبة ج ١ ص ٣٠١ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٢.

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٨ وتاريخ المدينة لابن أبي شبة ج ١ ص ٣٠٢ وسبل الهدى ج ٦ ص ١٧٢ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٢ وج ١٦ ص ٧٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٩٨.

فقال عمرو: «لا، أنتم مدد لنا».

فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف، وكان رجلاً ليناً حسن الخلق سهلاً، هيناً عليه أمر الدنيا، يسعى لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعهده، قال: «يا عمرو، تعلمن أن آخر شيء عهد إليّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن قال: «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا. وإنك والله إن عصيتني لأطيعنك».

وأطاع أبو عبيدة عمرواً. فكان عمرو يصلي بالناس.

وقال عمرو: «فإني الأمير عليك وأنت مددي».

قال: «فدونك»^(١).

وعن الشعبي مرسلًا قال: «انطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استعملك علينا، وإن ابن فلان قد اتبع أمير القوم، فليس لك معه أمر».

فقال أبو عبيدة: «إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمرنا أن نتطوع، فأنا أطيع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإن عصاه عمرو».

فأطاع أبو عبيدة عمرواً، فكان عمرو يصلي بالناس، وصار معه خمسمائة. فسار حتى نزل قريباً منهم، وهم شاتون. فجمع أصحابه الخطب

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ و ٧٧١
 وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٠ و ١٩١
 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٢ و ٢٥ و ٢٦ وج ٢٥ ص ٤٤٩ وعن
 الإصابة ج ٣ ص ٤٧٧ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٢ والسيرة النبوية لابن
 كثير ج ٣ ص ٥١٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٩٩.

يريدون أن يوقدوا ناراً ليصطلوا عليها من البرد، فمنعهم، فشق عليهم ذلك، حتى كلمه في ذلك بعض المهاجرين، فغالظه.

فقال له عمرو: «قد أمرت أن تسمع لي».

قال: نعم.

قال: فافعل^(١).

وروى ابن حبان، والطبراني برجال الصحيح، عن عمرو بن العاص: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعثه في غزوة ذات السلاسل، فسأله أصحابه: أن يوقدوا ناراً، فمنعهم. فكلّموا أبا بكر، فكلّمه، فقال: «لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها»^(٢).

وروى الحاكم^(٣) عن بريدة قال: «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص في سرية فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو ألا يوقدوا ناراً، فغضب عمر بن الخطاب، وهمّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر، وأخبره أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٨ عن أحمد والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ و

٧٧١ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٨ وفي هامشه: عن الهيثمي في المجمع ج ٥ ص ٣٢٣، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال الأول رجال الصحيح. والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩١ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٤٠٤ وموارد الزمآن ص ٤٠٠ تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٧٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٨ وفي هامشه قال: أخرجه الحاكم ج ٣ ص ٤٢ في كتاب المغازي وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

يستعمله إلا لعلمه بالحرب. فهدأ عنه^(١).

وفي حديث بريدة: أن عمر أراد أن يكلم عمرواً لما منع الناس أن يوقدوا ناراً.

وفي حديث عمرو: أن أبا بكر كلم عمرواً في ذلك.

ويجمع بين الحديثين: بأن أبا بكر سلم لعمرو أمره، ومنع عمر بن الخطاب من كلامه، فلما ألح الناس على أبي بكر في سؤاله سأله حينئذ فلم يجبه. ويحتمل أن منع أبي بكر لعمرو بن الخطاب كان بعد سؤال أبي بكر لعمرو^(٢).

وروى ابن حبان، والطبراني عن عمرو بن العاص: أن الجيش لما رجعوا ذكروا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» منعي لهم من إيقاد النار، ومن اتباعهم العدو، فقلت: يا رسول الله، إني كرهت أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم، وكرهت أن يتبعوهم، فيكون لهم مدد، فيعطفوا عليهم. فحمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره^(٣).

فسار عمرو الليل، وكمن النهار، حتى وطئ بلاد العدو ودوخها

(١) وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ و ٧٧١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩١ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٩ والنص والاجتهاد ص ٣٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٤١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ١٤٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٣ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩١ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٩ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٤٠٤ وموارد الظمآن ص ٤٠٠ وكنز العمال ج ١٢ ص ٥٠١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٧ وج ٤٦ ص ١٤٤.

كلها، حتى انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان به جمع، فلما سمعوا به تفرقوا.
فسار حتى إذا انتهى إلى أقصى بلادهم، ولقي في آخر ذلك جمعاً ليسوا
بالكثير، فاقتتلوا ساعة، وحمل المسلمون عليهم فهزموهم، وتفرقوا (ورمي
يومئذ عامر بن ربيعة بسهم، فأصيب ذراعه).

ودوخ عمرو ما هنالك، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان
صاروا فيه [إلا قاتلهم].

وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم، فكانوا ينحرون
ويأكلون، ولم يكن أكثر من ذلك، لم يكن في ذلك غنائم تقسم. كذا قال
جماعة^(١).

قال البلاذري: فلقي العدو من قضاة، وعاملة، ولخم، وجذام - وكانوا
مجتمعين - ففضهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنم.

وروى ابن حبان، والطبراني، عن عمرو: أنهم لقوا العدو، فأراد المسلمون
أن يتبعوهم فمنعهم.

وبعث عمرو عوف بن مالك الأشجعي بشيراً إلى رسول الله «صلى الله
عليه وآله» بقفولهم وسلامتهم، وما كان في غزاتهم^(٢).

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٣ وعن
البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥١٧ وعن
عيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٨ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ و
٧٧١ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣١ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٢.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، نجملها في ما يلي من مطالب:

تاريخ غزوة ذات السلاسل:

قالوا: إن غزوة ذات السلاسل كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان^(١).
وقيل: كانت سنة سبع، وبه جزم ابن أبي خالد في صحيح التاريخ^(٢).
ونقل ابن عساكر الاتفاق: على أنها كانت بعد غزوة مؤتة إلا أن ابن
إسحاق قال قبلها^(٣).
والظاهر: أن ذلك في غير رواية زياد البكائي، التي نقلها ابن هشام في

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ و ١٧٢ عن ابن سعد، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ والمجموع ج ٢ ص ٢٨٤ ونيل الأوطار ج ١ ص ٣٢٤ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٥٧٦ والديباج على مسلم ج ٥ ص ٣٧٣ وتاج العروس ج ٧ ص ٣٨٠ وعون المعبود ج ١ ص ٣٦٥ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣١ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ والقاموس المحيط ج ٣ ص ٣٩٧.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ والنص والإجتهد ص ٣٣٦ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٧٢ و ٢٧٤ وعن الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٠ وراجع: معجم قبائل العرب ج ٣ ص ٩٧٤ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٨.
- (٣) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٢ وقد نقل هذا الاتفاق عن ابن عسكر النوي في تهذيبه، وابن حجر في فتح الباري، وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢١ وشرح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٥٣ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٨.

تهذيبه.. أما رواية زياد فذكرت ذات السلاسل بعد غزوة مؤتة^(١).

مقصد السرية:

هل المقصود بذات السلاسل، ماء وراء ذات القرى، وذلك من المدينة على عشرة أيام؟ أو هو موضع بناحية الشام في أرض بني عذرة. وفي سيرة ابن هشام: ماء بأرض جذام؟^(٢).

سراة المهاجرين والأنصار مع عمرو:

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بعث عمرواً في سراة المهاجرين والأنصار، ثم ذكروا بعض أسماء هؤلاء. ثم لما استمد عمرو النبي «صلى الله عليه وآله» بعث أبا عبيدة مدداً له، ومعه سراة المهاجرين، وعدة من الأنصار^(٣).

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٢ عن تهذيب ابن هشام.
(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٢ و ١٦٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ والمجموع ج ٢ ص ٢٨٤ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٩٦ وشرح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٥٣ وعن عون المعبود ج ١ ص ٣٦٤ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٢٣٣ و ٢٣٦ وعن البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣٨ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٣٥ والنهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٣٨٩ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٨ وعون المعبود ج ١ ص ٣٦٤ ولسان العرب ج ١١ ص ٣٤٥ وتارخ العروس ج ٧ ص ٣٨٠.

(٣) تقدم مصادر ذلك.

ونقول:

١ - إن ظاهر عباراتهم أن الثلاث مئة كانوا جميعاً من سراة المهاجرين والأنصار..

ولا ندري إن كان في المهاجرين والأنصار هذا المقدار من السراة؟! وإن كان ذلك فيهم، فهل كانوا جميعاً يستطيعون المشاركة في الحرب؟!
٢ - لماذا تخيّر النبي «صلى الله عليه وآله» خصوص السراة ليرسلهم مع عمرو؟!..

مع أننا لم نجده قد فعل مثل ذلك مع غيره في أية غزوة أخرى، لا قبل ذلك ولا بعده.

٣ - إن الذين عدوهم من السراة، والذين كانوا مع عمرو أيضاً إنما كانوا باستثناء سعد بن عباد من الذين يدورون في فلك غاصبي الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو من أقرب أعوانهم على هذا الأمر، أو من مؤيديهم فيه..

أما سعد بن عباد، فإن سعيه للاستئثار بهذا الأمر لنفسه.. يجعله في الجهة المناوئة لعلي «عليه السلام»، فهم يقدرون له موقفه هذا، وإن كانوا يكرهونه لأجل أنه لم يسلم بالخلافة لأبي بكر، بل نافسه فيها، ونازله، ولم يبايعه حتى اغتاله خالد بن الوليد بالشام.. ثم زعموا: أن الجن قتلتة^(١).

(١) راجع: الغدير ج ٧ ص ١٥٠ وج ٩ ص ٣٧٩ وطرائف المقال للبروجوردي ج ٢ ص ٨٦ عن البلاذري في تاريخه، وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج ١ ص ٢٣٨ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٣٢١ وحاشية رد المحتار ج ١ ص ٣٧١ ومعجم رجال الحديث ج ٩ ص ٧٦ وإكمال الكمال ج ٣ ص ١٤١ وتاريخ مدينة =

٤ - إن اللافت: أنهم حين ذكروا الذين كانوا مع أبي عبيدة قالوا:
«بعث معه سراة المهاجرين، كأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعدة من
الأنصار» كما تقدم.. فالسراة حسب تعبيرهم هذا هم في المهاجرين فقط..
مثل أبي بكر وعمر.. أما الأنصار فلا سراة فيهم، ولذلك جاء التعبير
ليقول: «عدة من الأنصار»، فهل السبب في هذه المفارقة: أنه لم يكن في
هؤلاء الأنصار من كان يظهر النصرة والتأييد والحماس لهم، ولمشروعهم
الرامي إلى غصب الخلافة من صاحبها الشرعي؟!
لا ندري!! ولعل الفطن الذكي يدري!!

علم عمرو بن العاص بالحرب:

وقد ذكروا: أن أبا بكر قال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يستعمل
عمروا إلا لعلمه بالحرب.
ونقول:

١ - إننا لم نعرف عن عمرو علماً يذكر له بالحرب سوى أنه كان إذا
دهمه أمر لا يقدر على دفعه، اتقاه بعورته، كما صنع في صفين، فإنه خلّص
نفسه من سيف علي «عليه السلام» بأن كشف عن عورته، فأعرض عنه

= دمشق ج ٢٠ ص ٢٤٣ وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤١٢ والعبر وديوان لمبتدأ
والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٦٤ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٢٠٦ وبغية الباحث ص ٣٨
والمعجم الكبير ج ٦ ص ١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ١١١ وعن أسد
الغابة ج ٢ ص ٢٨٤ والبحار ج ٦ ص ٢٩٨.

علي، فنجا عمرو بنفسه^(١).

كما أنه لم يظهر منه في غزوة ذات السلاسل ما يدل على هذه المعرفة، ولا على الشجاعة التي تحتاجها الحروب، بل ظهر منه خلافها. وسنرى أنه لا صحة لما يدَّعونه له من إنجازات فيها. وليس له في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أثر آخر يستحق الذكر في حروبه في صفوف المسلمين. كما أنه لم يظهر له ما يشير إلى شيء من ذلك، حين كان يقاتل في صفوف المشركين..

٣- إذا كان علم عمرو بن العاص بالحرب هو السبب في تأمير النبي «صلى الله عليه وآله» له على السرية، فلماذا لم يؤمر من هم أعرف منه بأمر الحرب، وأظهر شجاعة، وأكثر مراساً؟!

ولا نريد أن نذكر: المقداد، وأبا دجانة وأمثالهما، بل نريد أن نخص بالذكر من يحبونهم.. وينسبون لهم البطولات في المواقف المختلفة، مثل الزبير، وخالد، ومحمد بن مسلمة وسواهم، ممن يزعمون: أن لهم سوابق مشهورة ومشهودة، وآثار محمودة في هذا السبيل..

٤- من أين علم أبو بكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ولى عمرواً هذه السرية لعلمه بالحرب.. فلعله ولاه تألفاً له؟! بل لعله ولاه ليفضح أمره فيما يدَّعيه لنفسه من بطولات، أو من إخلاص يدَّعي أنه قد بلغ فيه حداً يجعله على استعداد للتضحية بكل غال ونفيس في سبيل هذا الدين؟!

(١) الغدير ج ٢ ص ١٦١ والبحار ج ٣٢ ص ٥١٢ و ٥٨٥ وصفين للمنقري ص ٤٠٧ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق المحمودي) ص ٣٣٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٦٠ والأخبار الطوال للدينوري ص ١٧٧ والمناقب للخوارزمي ص ٢٣٦ وعن مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٦٠ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٥٢.

فجاءت هذه القضية لتفضحه، ولتكون بمثابة تحذير للناس من أن يخدعوا بكلامه، ويصدقوه فيما يحاول أن يدلّسه عليهم.

ورطة تأمير عمرو على الشيخين:

قال الصالحى الشامى:

«ليس في تأمير رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرواً على أبي بكر وعمر تفضيله عليهما، بل السبب في ذلك معرفته بالحرب، كما ذكر ذلك أبو بكر لعمر، كما في حديث بريدة، فإن عمرواً كان أحد دهاة العرب، وكون العرب الذين أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يستعين بهم أحوال أبيه، كما ذكر في القصة، فهم أقرب إجابة إليه من غيره».

وروى البيهقي، عن أبي معشر، عن بعض شيوخه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «إني لأؤمر الرجل على القوم، وفيهم من هو خير منه؛ لأنه أيقظ عيناً، وأبصر بالحرب»^(١).

وعن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جيش ذي السلاسل، وفي القوم أبو بكر، وعمر، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة عنده. قال: فأتيته حتى قعدت بين يديه، وقلت: يا رسول الله من أحب الناس؟ قال: «عائشة».

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٢ وفي هامشه عن دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٤٠٠ وراجع: كنز العمال ج ٦ ص ٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٤ وج ٤٦ ص ١٤٦.

قلت: إني لست أسألك عن أهلك.

قال: «فأبوها».

قلت: ثم من؟

قال: «عمر».

قلت: ثم من؟ حتى عد رهطاً.

قلت في نفسي: لا أعود أسأل عن هذا،

وفي رواية الشيخين: فسكتُ مخافة أن يجعلني في آخرهم^(١).

ونقول:

١ - قد اتضح: أن المشكلة عند هؤلاء هو أن يتأمر عمرو بن العاص على أبي بكر وعمر، فلا بد من إيجاد مخرج من هذه الورطة، التي ربما تلقى بظلال غير مرغوب فيها على الهالة التي ينسجونها حول الشيخين، وما لهما من مقام عند الله ورسوله، وما لهما من ميزات وفضل في أنفسهما.

٢ - لقد أكد الحاجة إلى هذا المخرج ما يعرفونه في عمرو بن العاص - وهو من دهاة العرب - من قدرة على الاستفادة من هذا الأمر في خدمة طموحاته ورغباته.. وربما يكون غضب عمر السريع، وبلا مبرر ظاهر، في قضية المنع من إيقاد النار حتى احتاج إلى تهدئة إبي بكر، - إن غضبه هذا -

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧١ وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٥ ص ٦ ومسلم، كتاب الفضائل، وأحمد في المسند ج ٤ ص ٢٠٤ والسنن الكبرى ج ٦ ص ١٧٠ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٢٢٠ وج ٤٦ ص ٢٤٧ وعن فتح الباري ج ٧ ص ١٩ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ٢٦٠ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٤.

قد جاء قبل أن يظهر له المخرج المناسب من هذه الورطة، فلما أظهره أبو بكر له هداً!!

ولو صحت قصة أبي عثمان النهدي (المحرقة) فإنها تكون شاهداً على هذا أيضاً.

وقد جاء هذا المخرج على لسان أبي بكر تارة، ثم جاء منسوباً إلى النبي «صلى الله عليه وآله» تارة أخرى..

وملخصه: أن الأمانة في السرايا لا تخضع لعنوان الفضل والمقام والكرامة عند الله تعالى.

بل ليس ميزانها هو الشجاعة والإقدام أيضاً، وإنما ميزانها العلم والبصر بالحرب، ويقظة العين.

ولا مانع من التنازل عن هذه الأمور، مع الاحتفاظ بعناوين الأفضلية في سائر الجهات، التي يريدون تسويقها، لكي تُرشَّح أبا بكر وعمر لمقام الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولذلك هداً عمر عندما وجد لدى أبي بكر الرد الكافي، والدواء الشافي. وهو قوله: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يول عمرواً إلا لعلمه بالحرب..

ثم نسب أبو معشر إلى بعض شيوخه أنه زعم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «إني لأؤمر الرجل على القوم، وفيهم من هو خير منه، لأنه أيقظُ عيناً، وأبصر بالحرب».

ثم سعوا إلى تضعيف مقولة علم عمرو بالحرب، بمقولة أخرى، لا تعطيه أية مزية، سوى أن له أخوالاً يحتاج الرسول «صلى الله عليه وآله» إلى

الاستعانة بهم.

ولذلك زعموا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما ولى عمرواً في تلك الغزوة لأنه أراد منه وأمره أن يستعين بالعرب الذين هم أحوال أبيه، وهم بنو بلي^(١).

ونظن: أن موضوع الاستعانة بالأحوال قد اختلق في وقت متأخر، ولعله لأجل تعمية الأمور على الأجيال الآتية.. وذلك لأن الناس الذين حضروا الواقعة لا يفيدهم هذا التوجيه؛ إذ لا أساس له من الصحة، فلا مجال للإعتذار به لهم..

وأما حديث علم عمرو بالحرب، فيمكن معالجته بادعاءات أو بأساليب أخرى، بحسب ما يناسب كل فريق.

٣- أما حديث أبي عثمان النهدي فهو يرويه عن ابن العاص نفسه، وقد صاغه ابن العاص وفق هواه السياسي، وقد ظهرت على هذا النص معالم التجني والافتراء.

ولكننا لا نستطيع أن نقطع: بأن عمرواً هو الذي كذب هذا الحديث، حيث إننا لا نملك الدليل القاطع على ذلك..

بل نريد أن نقول: إننا نرجح أن يكون عمرو نفسه قد اصطنع هذا الحديث، وذلك حين احتاج إلى التزلف للشيخين، من أجل أن يحصل منهما

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٧ وج ٤٦ ص ١٣٠ وعن أسد الغابة ج ٤ ص ١١٦ والنزاع والتخاصم للمقرئ ص ٧٦ وعن البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٣٥ وج ٣ ص ٥١٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٤٠.

على بعض ما يطمح إليه من مناصب وولايات.. وغنائم وإقطاعات.

٤ - إن حديث عمرو قد تضمن: أن أحب الناس إلى النبي «صلى الله عليه وآله» عائشة، فلما قال له: إني لست أسألك عن أهلِكَ.. أخبره: أن أحب الناس إليه أبو بكر، ثم عمر.

وروي عن عائشة وابن العاص: أنهما سألا رسول الله أي الناس أحب إليك؟

فقال: أبو بكر.

قالا: ثم من؟

قال: عمر.

فقال فتى من الأنصار: يا رسول الله، فما بال علي؟

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ما ظننت أن أحداً يسأل عن نفسه^(١).

مع أن عائشة تروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن أحب الناس إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فاطمة «عليها السلام» من النساء، وعلي «عليه السلام» من الرجال^(٢). فأيهما نصدق؟ عائشة؟ أم عمرو بن العاص؟!

(١) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢ ص ٢٧٢ عن: السيوطي في كتاب اللآلي (ط ١) ج ١ ص ١٩٨ بطرق ثلاثة أو أربعة وروى بعضها أيضاً تحت الرقم: (٣٦١) من باب فضائل علي «عليه السلام» من كنز العمال (ط ٢) ج ١٥ ص ١٢٥.

(٢) راجع المصادر التالية: المسترشد للطبري ص ٤٤٩ و ٤٥٠ وشرح الأخبار ج ١ ص ١٤٠ و ٤٢٩ وج ٣ ص ٥٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١١١ والفضائل ص ١٦٩ والطرائف ص ١٥٧ وذخائر العقبى ص ٣٥ ص ٦٢ والبحار ج ٣٢ ص ٢٧٢ وج ٣٧ ص ٧٨ وج ٣٨ ص ٣١٣ وج ٤٣ ص ٣٨ و ٥٣ ومناقب أهل =

وعن شريح بن هاني عن أبيه، عن عائشة قالت: ما خلق الله خلقاً كان أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من علي بن أبي طالب^(١).
ونبادر إلى القول: إننا لا بد أن نصدق عائشة، لأن إجابة النبي «صلى الله عليه وآله» لها قد فرضت عليها فرضاً، وجاءت على خلاف هواها، لأنها في حق أناس تبغضهم، وقد ظهر هذا البغض في حروب طاحنة أثارتها ضدهم.
أما عمرو بن العاص فقد جاء كلامه منسجماً مع أهوائه، وقد كان يرى: أن له مصلحة في تحريف الحقائق، وإنكار فضائل علي «عليه السلام»؛

= البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص ١٤٥ و ١٤٦ و ١٥١ و ٢٣٣ وخلاصة
عبارات الأنوار ج ٢ ص ٣٠٢ والغدير ج ١٠ ص ٨٦ ومكاتب الرسول ج ٣
ص ٦٧٢ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٦٢ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٥٧ ونظم
درر السمطين ص ١٠٢ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١٠٩ وتاريخ
بغداد ج ١١ ص ٤٢٨ والمناقب للخوارزمي ص ٧٩ والبحار ج ٣ ص ١٥٧ وكنز
العمال ج ١٣ ص ١٤٥ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢
ص ٢٦١ و ٢٦٣ و ٢٦٤ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ١٢٦ وسير أعلام النبلاء ج ٢
ص ١٢٥ و ١٣١ والجوهرية في نسب الإمام علي وآله «عليهم السلام» للبري
ص ١٧ وإعلام الوری ج ١ ص ٢٩٥ والمناقب للخوارزمي ص ٧٩ وكشف
الغمة ج ١ ص ٩٤ وج ٢ ص ٩٠ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه
السلام» ج ١ ص ٥٣ وينايع المودة للقندوزي الحنفي ج ٢ ص ٣٩ و ٥٥ و ١٥١
و ٣٢٠ واللمعة البيضاء للتبريزي ص ١٧٩ والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل
ص ٥٠.

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٦٠ وعن كفاية الطالب ص ١٨٤ وقال:
هذا حديث حسن رواه ابن جرير في مناقبه، وأخرجه ابن عساكر في ترجمته.

وكان يهمة أيضاً منح الفضائل لأبي بكر وعمر، لأن في ذلك إيذاء لعلي وأهل بيته «عليهم السلام»، الذين شن هو ومعاوية الحروب الطاحنة عليهم، ولأن ذلك يجلب له المنافع والمناصب، وقد كان يملك مفاتيحها، أبو بكر وعمر، ومحبوهما.

النبى ' يتألف الناس بعمره، ويستنفر العرب:

وذكروا: أن النبى «صلى الله عليه وآله» بعث عمرو بن العاص فى ثلاث مئة يستنفر العرب للشام، وأمره أن يستعين بمن مر به من العرب من بليّ، وعُذره، وبلقين. لأنه كان ذا رحم فيه لأن أم العاص كانت بلوية^(١).

ونقول:

أولاً: إننا لم نجد ما يدل على أن البلويين، وعذرة، وبلقين قد أعانوا عمرواً فى مهمته تلك. ولم يزد عدد من معه فى سريته سوى أولئك الذين التحقوا به ممن جاؤوا من المدينة مع أبى عبيدة.

ثانياً: إن الكثيرين بين المسلمين كانوا ذوى رحم فى تلك القبائل التى كانوا يسيرون لحرها بين الفينة والأخرى، أو كانوا يمرون عليها فى مسيرهم إلى حروبهم. فلماذا لم يكن يوليهم أماراة الجيوش ليستميل بهم تلك القبائل، ويستعين بها فى حروبه تلك.

ثالثاً: إن هذا النص يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما بعث عمرواً ليستنفر العرب إلى الشام، ولم يبعثه ليحارب.. فهل تعدى أمر رسول الله

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٢.

«صلى الله عليه وآله» وحارب من دون أن يكون مأموراً بذلك؟! .
رابعاً: لماذا لم يستجب لعمره أحد من العرب؟ فبقي في الثلاث مئة
الذين جهزهم معه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم أضيف إليهم مئتان
جهزهم النبي «صلى الله عليه وآله» إليه أيضاً، بقيادة أبي عبيدة؟! .
خامساً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل إلى مؤتة ثلاثة آلاف
مقاتل، وإلى خيبر ألفاً وخمس مئة مقاتل، وكان معه في الحديبية، نحو ذلك
أيضاً، ولم نسمع أنه أرسل يستنفر العرب لأي من هذه الوقائع، وليس فيما
بين أيدينا ما يشير إلى أن لدى قضاة في بلاد الشام ما يخيف إلى هذا الحد..
على أن الذين ذهبوا مع عمرو هم خمس مئة مقاتل فقط، وقد زعموا:
أنه دوح بهم البلاد، وجال في بلادهم حتى بلغ أقصاها.. ولم يحتج في سفره
ذاك لأكثر من العدد الذي جهزه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلماذا
بعثه يستنفر العرب إلى الشام. إذا كان ذلك يكفيه، ولا يحتاج على أحد..

اللواء.. والراية:

قد ذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» حين أرسل عمرو بن العاص في
غزوة ذات السلاسل «عقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء»^(١).
ولا ندري لماذا كان ذلك؟! أي لماذا أعطاه الإثنين معاً؟
ولماذا اختلفت ألوانهما، هذا أبيض، وتلك سوداء؟!

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣١ وتاريخ مدينة
دمشق ج ٢ ص ٢٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ و ٣١٤ وسبل الهدى والرشاد
ج ٦ ص ١٦٧.

فإن المفروض هو: أن تكون لمثل هذه الأفعال دلالاتها المفيدة لمعنى ظاهر، إذ ليس ذلك من الأمور التعبدية.. ولا هو من الرسوم أو العادات المتبعة في الحروب..

ونحن لم نفهم لضم الراية السوداء إلى اللواء الأبيض أي معنى، لا بالنسبة للذين أرسلهم النبي «صلى الله عليه وآله».. ولا بالنسبة لقائدهم، ولا فيما يرتبط بالتأثير على العدو في ميادين الحرب، أو نحو ذلك. غير أننا نظن أن ذلك من تفننات محبي عمرو بن العاص، بهدف الإيحاء بأن له خصوصية ما، ولو بهذا المقدار الذي لا معنى له، ولا طائل تحته. هذا كله.. على فرض أن يكون ثمة اختلاف بين اللواء والراية، مع أنه قد تقدم في غزوة أحد وفي غيرها: أنها واحد، وإن حاول بعضهم أن يدّعي خلاف ذلك..

سراة المهاجرين والأنصار:

ويلفت نظرنا قولهم: «بعثه في ثلاث مئة من سراة المهاجرين والأنصار». ثم طلب منه عمرو المدد، «فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من سراة المهاجرين والأنصار، وبينهم أبو بكر وعمر»^(١). وقد راجعنا كتب الحديث والسيرة والتاريخ، فلم نجدهم ذكروا أسماء أحد من الصحابة، تستطيع أن تبرر إطلاق وصف السراة - خصوصاً بنظر

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ و ٣١٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧.

هؤلاء - سوى اسم رجلين كانوا وما زالوا يهتمون بهما، ويحاولون تعظيمهما، وهما أبو بكر، وعمر، الذين كانا مع أبي عبيدة، الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» مدداً لعمر، ولا نرى أن ذلك يبرر إطلاق هذا التعبير بهذه الطريقة التهويلية، إلا على قاعدة: «من أجل عين ألف عين تكرم». كما أن التعبير بـ «السراة» فيه تعظيم وتفخيم لعمر وأبي عبيدة. خصوصاً مع علمنا: بأن مجموع عدد الصحابة قليل وليس فيهم هذا العدد الضخم من السراة، فإن السرى هو العظيم في قومه. ووجود خمس مئة سري إنما يتوقع في أمة تعد بعشرات الألوف، وقد قلنا: إن عدد المسلمين كان قليلاً وضئيلاً جداً كما هو معلوم..

الإختلاف على الصلاة؟ أم على الإمارة؟!

١ - إن من الواضح: أن صلاة الجماعة منوطة في مذهب أهل البيت «عليهم السلام» بثقة المأموم بعدالة الإمام، وليست منوطة بالإمارة على الجند، ولا على غيرهم، ولا بأي منصب آخر.. فمن وثق به الناس جاز لهم أن يأتموا به في الجماعة... وقد يأتمون اليوم بشخص، ثم يأتمون غداً بغيره.. كما أن أغلب أهل السنة والجماعة يميزون إمامة الفاسق: استناداً إلى ما روه عن النبي «صلى الله عليه وآله»: صلوا خلف كل بر وفاجر^(١).

(١) راجع: سنن أبي داود كتاب الصلاة: الباب ٦٣ وجامع الخلاف والوفاق ص ٨٤ وفتح العزيز للرافعي ج ٤ ص ٣٣١ والمجموع للنووي ج ٥ ص ٢٦٨ ومغني المحتاج للشربيني ج ٣ ص ٧٥ والمبسوط السرخسي ج ١ ص ٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج ١ ص ٢٢٩ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج ١ ص ١٥٦ =

فلا مكان للاختلاف والتنازع في هذا الأمر، فما معنى تنازع أبي عبيدة، وعمرو بن العاص فيه؟ كما لا مجال للاستدلال على الأحقية بإمامة الصلاة بأن هذا أمير، وذاك ليس بأمر، كما أن هذا لا يدخل في باب التشاح إمامة الصلاة لأجل الحصول على الثواب، لأن اختلافهم إنما هو على الأحقية بها، حيث إن كلا منهما يدّعيها لنفسه دون الآخر، ولأجل هذا وذاك نقول:

ألا يدل ذلك على أنهم إنما يتنازعون على أمر يرون فيه مكسباً دنيوياً؟!!

٢- إننا حين نتأمل في النصوص التي نقلت لنا هذا الحدث نلاحظ: أن موضوع الإمامة في الصلاة كان هو الواجهة، وأن مصبّ الاختلاف كان أمراً آخر، سرعان ما ظهرت دلائله، ونشرت أعلامه، ألا وهو الإمارة على السرية نفسها، حيث فهم عمرو بن العاص: أن تصدي أبي عبيدة لإمامة

= والجوهر النقي للمارديني ج ٤ ص ١٩ والبحر الرائق لابن نجيم المصري ج ١ ص ٦١٠ وتلخيص الحبير ج ٤ ص ٣٣١ ونيل الأوطار ج ١ ص ٤٢٩ وشرح أصول الكافي ج ٥ ص ٢٥٤ والمسترشد للطبري والإفصاح للشيخ المفيد ص ٢٠٢ والمسائل العكبرية للشيخ المفيد ص ٥٤ والطرائف لابن طاووس ص ٢٣٢ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١٩ وعمدة القاري للعيني ج ١١ ص ٤٨ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٤٥ وسنن الدارقطني ج ٢ ص ٤٤ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج ١ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ ونصب الراية ج ٢ ص ٣٣ و ٣٤ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ١ ص ١٦٨ والجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٩٧ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج ٢ ص ٢٩ و ٣٢ وشرح السير الكبير للسرخسي ج ١ ص ١٥٦.

.....
: الصلاة ينطلق من خلفية سعيه إلى إماراة السرية، وقد وجد من بين أصحابه من يؤيده في ذلك، ولا يرضى بإماراة عمرو..

٣- ولعل من أبرز هؤلاء المؤيدين لأبي عبيدة أبو بكر وعمر، كما يظهر من تغيط عمر، إلى حد أنه أراد أن يبادر إلى الاعتراض على ابن العاص، لكن نصيحة أبي بكر منعتة من ذلك.. ربما لأنه وجد أن حجة عمرو ستكون أقوى، وأعظم أثراً في نفوس الناس، فأثر الخروج من حلبة الصراع بخسارة واحدة، بدلاً من خسارتين.

٤- ثم إن أبا عبيدة حين وجد أن الغلبة ستكون لعمر وأثر أن ينسحب من هذا المأزق بلباقة، وأن يعوض عن بعض خسارته بإظهار التسامح والتواضع والانقياد لأوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، التي زعم أنه أصدرها له، بقوله: قدمت على صاحبك فتطاوعا.

ثم جاء محبوه ومؤيدوه، فصرخوا بما ألمح إليه، حين وصفوه بحسن الخلق، ولين العريكة، واعتبروا أن هذا هو سبب تراجعهم أمام حجة عمرو بن العاص.

المغيرة داعية فتنة ومتزلف:

ولسنا بحاجة إلى تفصيل القول فيما ذكره المغيرة بن شعبة لأبي عبيدة عن أن فلاناً من الناس قد اتبع أمير القوم.. وقول أبي عبيدة: «فأنا اطيع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإن عصاه عمرو».

غير أننا نكتفي بالإشارة إلى ما يلي:

١- إن حركة المغيرة هذه تظهر كيف أن المغيرة يغتنم الفرصة للعبث

بمشاعر الناس، وإثارة غرائزهم العدوانية تجاه بعضهم البعض، حتى لو كان هؤلاء الناس ممن يلتقي معهم في كثير من التوجهات والانتماءات، فيحاول الإبقاء على حالة التنافر، والتنافس بين أبي عبيدة وعمرو بهذا التحريض الذي مارسه في موقفه هذا.

٢ - إن المغيرة لا يتورع عن إشراك أناس آخرين في حالة الصراع، ويسعى ليوغر صدر أبي عبيدة على (ابن فلان)، لمجرد أنه قبل بمنطق عمرو في أمر تولي عمرو للصلاة.

٣ - إن حركة المغيرة هذه يمكن وضعها في سياق تزلف المغيرة لأبي عبيدة أيضاً.. وربما يكون سببها في ذلك هو شعور المغيرة بالضعف، والحاجة إلى مساعدة أبي عبيدة في تحقيق مأرب يعجز المغيرة عن تحقيقه بنفسه..

٤ - والملاحظة الأخيرة لنا هنا: هي أن أبا عبيدة يصرح: بأنه يعتبر عمرواً عاصياً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم يقدم نفسه هو على أنه مطيع لرسول الله «صلى الله عليه وآله» دونه..

فهو يشير بذلك: إلى أن قضيته مع عمرو قد تجاوزت حدود الخطأ غير المقصود، أو الخطأ في الاجتهاد لتصل إلى مستوى التمرد على الأمر، والمعصية المتعمدة لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

وبذلك يظهر: أن ثمة اختلافاً أساسياً في موضوع عدالة الصحابة بين أبي عبيدة وبين أكثر المسلمين من غير الشيعة، الذين يصرون على عدالتهم، وعلى أن ما يرتكبونه ما هو إلا خطأ في الاجتهاد، ولا يصل إلى حد المعصية لله ولرسوله.

أخلاق أبي عبيدة:

وقد وصف الراوي أبا عبيدة: بأنه «كان رجلاً ليناً، حسن الخلق، سهلاً، هيناً عليه أمر الدنيا، يسعى لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعهده». ونقول:

١ - ليت أبا عبيدة كان كذلك في يوم السقيفة، حين سعى في تضييع أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونقض تدبيره.. بل هو قد سعى في تكريس مخالفة أمر الله، وساعد وشارك في نقض عهد الله تبارك وتعالى، وذلك حين نكث بيعته لعلي «عليه السلام» في يوم الغدير، وخالف أمر الله ورسوله في التسليم لإمامته «عليه السلام»، والبخوع لأمر الله تبارك وتعالى فيها.. وكان هو وعمر بن الخطاب من أقوى المساعدين على استئثار أبي بكر بهذا الأمر.

٢ - إن إمامة الجماعة ليست من أمور الدنيا، التي تهون على أبي عبيدة، بل هي عبادة لها ثوابها، وقيمتها المعنوية، التي لا يصح التفريط أو الاستهانة بها. أما اعتبار قيادة السرية وإمارتها أمراً دنيوياً.. فذلك أيضاً غير مقبول، لأن هذه الإمارة أيضاً أمر عبادي، من حيث أنه موقع جهادي متقدم وحساس، وليس على المؤمن لو طلبه وسعى إليه من غضاظة..

٣ - إن هؤلاء الذين يقدسون جميع الصحابة، ويعتقدون بعدالتهم، وإن كانوا قد مدحوا أحدهم، ودافعوا ودفعوا عنه، ما ربما ينسب إليه مما لا يليق به، ولكنهم قد سقطوا في فخ الطعن في نزاهة صحابي آخر حيث نسبوا إليه حب الدنيا والسعي إليها.. ألا وهو عمرو بن العاص نفسه. وهذا يتنافى مع نظرهم التنزيهية للصحابة.. إلا أن يدعوا: أن حب

الدنيا لا ينافي العدالة التي يتحدثون عنها..

غير أننا نقول: إن حب الدنيا والتنازع عليها منقصة في الإنسان، والمفروض بأهل الإيثار والمجاهدين أن ينزهوا أنفسهم عنها. ولا سيما وهم في مواقع الجهاد، وفي ساحات التضحية.

صلاة الجماعة:

١ - لماذا يقع النزاع بين عمرو وأبي عبيدة على إمامة الجماعة؟! ما دام أن الأمر يرجع فيها إلى المأمومين أنفسهم، فالأمر في اختيار إمام الجماعة يعود إليهم، فهم يأتمون بمن شاؤوا.. إذ لا يجب أن يكون أمير السرية هو الإمام في الصلاة.

فاختلافهم في ذلك يدل على عدم وجود نص حاسم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» على إمامة شخص بعينه في هذه السرية على أقل تقدير.

٢ - إن نفس أن يتصدى أبو عبيدة لإمامة الناس يدل على أن إمامة الأمير للناس في الصلاة لم تكن مستندة إلى أوامر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنما هو اعتماد على مجرد تقليد متبع، وعادة جرت. وهذا هو ما قصد إليه عمرو في اعتراضه على أبي عبيدة..

ويؤكد هذا المعنى: أن أبا عبيدة لم يتصد لإمامة المائتين الذين جاء بهم.. بل تصدى لإمامة جميع الحاضرين حتى الذين جاؤوا مع عمرو، وحتى عمرو نفسه. وهذا ما أثار حفيظته، ودعاه إلى الطلب من أبي عبيدة أن يتنحى، ويترك الأمر له.

٣ - إنه لأمر مثير للعجب أن يكون الذين أجابوا عمرو بن العاص على

حجته هم خصوص المهاجرين، كما صرحت به الرواية..

بل هم خصوص المهاجرين الذين جاؤوا مع أبي عبيدة.. ونتوقع أن يكون على رأسهم عمر بن الخطاب، فإنه هو الذي يشهر سيف الاعتراض كثيراً، حيث يبدو لنا: أنه هو وربما غيره من المهاجرين معه قد اعترضوا على إمامة عمرو لهم، خوفاً من أن يؤسس ذلك لتفضيله وتقديمه عليهم في أمور أخرى..

٤ - ولعل هذا الأمر يشير إلى أنه قد كان ثمة ضعف ظاهر في الأنصار، حيث لا يظهر منهم أي تحرك اعتراضى أو حتى استعراضى، كما نشهده لدى المهاجرين.. في العديد من المناسبات، وفي هذه السرية أيضاً.

المهاجرون يعترضون مرة أخرى:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: موقفاً آخر للمهاجرين في هذا السياق، فحين منعهم عمرو، هم وغيرهم من إيقاد النار ليصطلوا عليها، كلمه في ذلك بعض المهاجرين فغالظه.. ثم طلبوا من أبي بكر أن يكلمه، ففعل فتوعد أن يقذف في النار من أوقدها.

وذكروا أيضاً: غضب عمر من هذا الإجراء. وأنه همّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر، وأخبره: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب، فهذا عنه.

ونقول:

١ - لماذا علت أصوات المهاجرين فقط في هذه الحادثة أيضاً؟!..

فهل كان الأنصار يخافون من الاعتراض على القائد إذا كان مهاجرياً؟! ولماذا يخافون؟!

٢ - لماذا يصل الأمر إلى حد المغالطة والتهديد بإلقاء الناس في النار

التي يوقدونها؟!

ألم يكن بالإمكان حسم الأمر بكلمة واحدة، وهي أن إيقاد النيران يدل العدو على وجودهم في المنطقة، ولهذا الأمر سلبيات كبيرة، أذناها ضياع الفرصة المتاحة، ومنح العدو فرصاً قد تكون خطيرة على هذه السرية؟!

٣ - إن التأييد الذي روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذا الإجراء إنما رواه عمرو بن العاص نفسه، لتدعيم موقفه أمام منتقديه، فليلاحظ ذلك.

٤ - ما معنى أن يعاقب عمرو من يوقد ناراً بأن يقذفه فيها؟! فهل وردت هذه العقوبة في آية أو رواية؟ أو سمعها من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ أو رآه فعلها؟ أو رخص أحداً فيها؟!

ولماذا لم يعترض عليه أبو بكر: بأنه ليس من حقه أن يمارس عقوبة من هذا القبيل؟!

ولا يمكن حمل كلام عمرو على المبالغة في الوعيد، إلا إذا قامت قرينة على أنه لم يكن قاصداً لظاهر كلامه.. وهي مفقودة هنا.

التناقض والإختلاف:

إننا نراهم تارة يزعمون: أن الذين سار إليهم عمرو بسريته تلك هم قضاة، وعاملة، وجذام، ولخم.. وأنهم جمع كثير، وأنهم كانوا مجتمعين ففضهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنم.

وتارة يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسله إلى جمع من قضاة، ولم يذكر غيرهم.

ثم يقولون: إنه وطأ بلاد العدو ودوخها كلها، حتى انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان به جمع، فلما سمعوا به تفرقوا.. ثم سار حتى بلغ أقصى بلادهم، فلقي هناك جمعاً ليسوا بالكثير، فاقتتلوا ساعة، وحمل عليهم المسلمون فهزموهم وتفرقوا..

ثم يذكرون: أنه أقام لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه إلا قاتلهم. وكان يبعث أصحاب الخيل، فيأتون بالشاء والنعم، فكانوا ينحرون ويأكلون، ولم يكن أكثر من ذلك، ولم يكن في ذلك غنائم تقسم، كذا قال جماعة. ويقولون في مقابل ذلك: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبره أن الله سوف يغنمه في مسيره ذاك..

فترى كيف أن التناقضات ظاهرة بين هذه النصوص بحيث لا مجال للملاءمة فيما بينها كما هو ظاهر.

غنائم عمرو المكدوبة:

وقد زعمت الروايات عن عمرو بن العاص نفسه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعاه، وأمره أن يأخذ ثيابه وسلاحه، وقال: يا عمرو، إني أريد أن أبعثك على جيش، فيغنمك الله، ويسلمك. فقلت: إني لم أسلم رغبة في المال. قال: نعم المال الصالح للرجل الصالح^(١).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩١ والمستدرک للحاکم ج ٢ ص ٢ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٦٠ والأدب المفرد للبخاري ص ٧٢ وكنز العمال ج ١١ ص ٧٢٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ١٤٣.

ونقول:

إن هذا الكلام غير صحيح، إذ لو كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك، لكان قد تحقق، ولكان عمرو قد أتى بغنائم تحقق ما وعده به النبي «صلى الله عليه وآله»، مع أنهم يقولون: إنه قد رجع خالي الوفاض من أي شيء من ذلك، رغم أنهم يزعمون: أنه سار حتى انتهى إلى أقصى بلادهم، ودوّخ عمرو ما هنالك. وأنه أقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه إلا قاتلهم.

«وكان يبعث أصحاب الخيل، فيأتون بالشاء والنعم، فكانوا ينحرون ويأكلون ولم يكن أكثر من ذلك. لم يكن في ذلك غنائم تقسّم. كذا قال جماعة»^(١).

فأين كانوا يخبئون شاءهم ونعمهم يا ترى؟! أم أنهم كانوا يأخذونها معهم أينما ذهبوا، وحيثما توجهوا؟!

أليس قد وطأ عمرو بلادهم بعساكره؟ ودوّخ تلك البلاد؟ ولماذا فشل في العثور عليها رغم إقامته أياماً لا يسمع بجمع لهم إلا قصده؟!

ولماذا يأتي - كما يزعمون - ابن أبي حدرد وفي غزوة الغابة، ورجلان معه بإبل عظيمة، وغنم كثيرة، ويأتي أبو قتادة في خمسة عشر رجلاً فقط،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٧٠ و ٧٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥١٧.

بألقي شاة، ومثني بعير، حتى يحصل كل فرد بعد إخراج الخمس من تلك السرية على ثلاثة عشر بعيراً. ثم لا يصيب عمرو بن العاص في تلك البلاد كلها إلا بعض ما استفاده في طعامهم، ولم يكن أكثر من ذلك.

إن هذا الأمر عجيب جداً، وأي عجيب!!

وهل يعقل أن لا يصدق ما أخبره به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أن الله يغنمه ويسلمه؟! وهو الذي صرح القرآن بأنه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (١).

ألا يحق لنا بعد هذا كله، أن نشك في كثير مما ينسبه ابن العاص لنفسه، أو ينسبه له الناس؟!

ولماذا لا يكون عمرو بن العاص قد أراد أن يضع لنفسه أمجاداً، مكذوبة؟ حتى لو أدى ذلك إلى التشكيك بالنبوة والعياذ بالله؟!

وإذا كان هو الذي وضع هذه الأمور لصالح نفسه، فالسؤال هو: كيف يكذب وهو صحابي؟! أليس الصحابة عدولاً كما يزعم هؤلاء؟!

لا تأمروا على اثنين:

وقالوا أيضاً:

روى ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، عن رافع ما ملخصه قال: «كنت امرءاً نصرانياً وسميت سرجس، فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل».

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

قال: «فقلت: والله، لأختارن لنفسي صاحباً».

قال: «فصحبت أبا بكر فكنت معه في رحله، وكان ذا عباءة، فدكية، فكان إذا أنزلنا بسطها، وإذا ركبنا لبسها، ثم شكها عليه بخلال له.

وذلك الذي يقول أهل نجد، حين ارتدوا كفاراً: نحن نبيع ذا العباءة؟! قال: «فلما دنونا من المدينة قافلين، قلت: يا أبا بكر رحمك الله، إنها صحبتك لينفعني الله تعالى بك، فانصحنى وعلمني».

قال: «لو لم تسألني ذلك لفعلت. آمرك أن توحّد الله تعالى، ولا تشرك به شيئاً، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمرن على رجلين من المسلمين أبداً».

إلى أن قال: ففارقته على ذلك، فلما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واستخلف أبو بكر على الناس قدمت عليه فقلت له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين؟

قال: «بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك».

فقلت له: «فما حملك على أن تلي أمر الناس؟»

قال: «اختلف الناس، وخشيت عليهم الهلاك».

وفي رواية: «الفرقة، ودعوا إلي، فلم أجد بداً من ذلك»^(١).

ونقول:

إن لنا مع هذه القضية وقفات، هي التالية:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٩ و ١٧٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٤١.

نبایع ذا العباءة؟!

قد نقل ذلك الرجل عن أهل نجد أنهم حين رفضوا بيعه أبي بكر، قالوا:
نبایع ذا العباءة؟!
ونقول:

إنه وإن كان محتمل أن تكون كلمة «ذا العباءة» قد جاءت للإشارة إلى صاحبها، ولكن من المحتمل جداً أيضاً أن يكون هذا التعبير قد جاء على سبيل الاستصغار لشأن أبي بكر، وإظهار الاستنكاف عن إعطاء البيعة له.. وقد ظهر رفض البيعة لأبي بكر لدى قبائل كثيرة، ولكن أبا بكر أصرَّ على بسط نفوذه على تلك القبائل، فكان يطالبهم بدفع الزكاة له.. فمن أبي منهم اتهمه بالكفر والارتداد، وشن الحرب عليه، وقتل الرجال، وسبي النساء والأطفال، واستولى على الأموال.

ولذلك يلاحظ: أنهم يطلقون على حروبهم لما نعي الزكاة عن أبي بكر، اسم «حروب الردة»، تعمية بذلك على الناس، وسعيًا في إبطال الحقائق.. مع أن الحقيقة هي: أن هؤلاء لم يرضوا بمخالفة أمر الله، ورد توجيهات رسوله في موضوع الإمامة.. خصوصاً بعد يوم الغدير وبيعة عشرات الألوف من الناس لعلي «عليه السلام».

والظاهر: أن هؤلاء الذين ذكرهم رفيق أبي بكر، كانوا من هؤلاء الذين أوقع بهم أبو بكر.. ولم يكونوا مرتدين على الحقيقة، بل هم رفضوا الاعتراف بشرعية خلافته، والرواية المتقدمة تدل على ذلك تلميحاً، فرغم نعتهم بالإرتداد إلا أن ما نسبته إليهم من قول لا يعدو كونه إعلاناً برفض بيعة أبي بكر، وقد امتنعوا عن إعطاء الزكاة له تعبيراً عن هذا الرفض،

فجعل ذلك أبو بكر ذريعة لاتهامهم بالارتداد، وسبباً للإيقاع بهم، وقتلهم.. وقصة مالك بن نويرة معروفة ومشهورة..

أما الذين ارتدوا بالفعل، أو أعلنوا مناقضة هذا الدين.. فهم مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وطليحة بن خويلد.. وهم إنما أعلنوا ذلك، أو ارتدوا في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما يعلم بالمراجعة..

أبو بكر مجبر على الخلافة:

ولسنا بحاجة إلى التعليق على ما زعمه أبو بكر مبرراً لقبوله للخلافة، غير أننا نقول:

١ - إن الذي أوجد الخلاف بين الناس، وكان هو الركن الرئيس فيه هو أبو بكر نفسه، ومعه صاحبه عمر بن الخطاب.

وقد بادر هو إلى ابتزاز هذا الأمر من صاحبه الشرعي، حتى قبل أن يدفن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهو الذي وراء حادث الهجوم على بيت فاطمة الزهراء «عليها السلام»، ومحاولة إحراقه بالنار، ثم ضربها في ذلك الهجوم، وأسقاط جنينها، إلى غير ذلك مما جرى عليها يعلمه القاضي والداني..

٢ - أما اجتماع الأنصار في السقيفة، فلم يكن يشكل أية خطورة على وحدة المسلمين، بل كان أمرهم أهون مما نتصور..

والدليل على ذلك: أن بضعة أشخاص قد لا يبلغ عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، قد سلبوا الأنصار المجتمعين في سقيفتهم، وبحضور أكثريتهم، ما كان سعد بن عباد يطمح له، وأراد أن يسبقهم بعد أن علم بتصميمهم على سلب هذا الأمر من صاحبه الشرعي، وهو علي «عليه السلام».

.....
:
والأشخاص الذين نتحدث عنهم، والذين سلبوهم هذا الأمر هم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة.. وعاونهم من الأنصار بشير بن سعد، وأسيد بن حضير..

وهؤلاء هم الفريق الذي كان الناس يعرفون أنهم مصممون على إبعاد علي «عليه السلام» عن حقه في هذا الأمر بكل ثمن..

٣- إن أبا بكر هو الذي بادر مع عمر وأبي عبيدة لاقتناص الخلافة من الأنصار، ولم يطلب منه أحد منهم التدخل لحسم خلافهم فيه.. بل لم يكن قد ظهر بينهم فيه خلاف.

فما معنى قوله: إنه أراد حسم الخلاف في هذا الأمر، وأنهم دعوا إليه، فلم يجد بداً من ذلك؟!

٤- إذا كان الاختلاف حول هذا الأمر قد بلغ حداً يخشى أبو بكر معه على الناس الهلاك، فهل يعقل أن لا يكون هناك بيان من الله ورسوله حول هذا الأمر؟!

ألم يأمرهم الله سبحانه بالرجوع في الأمور التي يختلفون فيها إلى الله ورسوله، فقال: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ} ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ^(١).

ومن الواضح: أن أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان..

(١) الآية ١٠ من سورة الشورى.

كما يقوله الشهرستاني^(١).

وهل نسي الناس ما جرى في يوم الغدير، الذي حصل قبل استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً؟! وكذلك سائر مواقف رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكثيرة، وأقواله الغزيرة حول إمامة علي أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!.

الأجرة على قسمة الجزور:

عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص، وهي غزوة ذات السلاسل، فصحبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها، وهم لا يقدرّون على أن يعضوها. وكنت امرأة [لبقاً] جازراً، فقلت لهم: أتعطوني منها عشيراً على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم.

فأخذت الشفرة، فجزأتها مكاني، وأخذت جزءاً، فحملته إلى أصحابي، فاطّبخناه وأكلناه.

فلما فرغوا قال لي أبو بكر وعمر: أنى لك هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما.

فقالا: والله، ما أحسنت حين أطعمتنا هذا. ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما منه.

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٤ وراجع: المهذب لابن البراج ج ١ ص ١٣ ودلائل الإمامة للطبري ص ١٦ وعن المراجعات ص ٥١.

فلما قفل الناس [من ذلك السفر]. كنت أول قادم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجئته وهو يصلي في بيته، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال: «أعوف بن مالك»؟

فقلت: نعم، بأبي أنت وأمي.

فقال: «أصاحب الجزور»؟ ولم يزدني على ذلك شيئاً^(١).

ونقول:

لا ندري ماذا نقول حول هذا التقيؤ لما أكلاه، وكأنهما يريدان إظهار الورع عن أن يرضيا بأن يستقر طعام فيه شبهة في بطونهما، مع أنه لا مجال لادعاء الشبهة في ذلك اللحم، فهو جعالة تراضى عليها الطرفان، وقد أخذ عوف حقه الذي جعل له..

ثم إننا لا ندري لماذا يسألاه عن شأن ذلك اللحم قبل طبخه، أو قبل أو حتى أثناء أكله؟!

بل أخرا السؤال إلى أن أكلا وشبعا..

ولا ندري كذلك كيف يقفان عند شبهة لا حقيقة لها هنا، ثم يقدمان على اغتصاب إرث رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ابنته فاطمة «عليها

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧١ وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٤٠٢ عن طريق ابن إسحاق، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٥٠. وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩١ وكتر العمال ج ٣ ص ٩٢٣ و ٩٢٤ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٣ و ٣١٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢٠.

السلام»، وعلى اغتصاب فذك منها أيضاً.

يضاف إلى ذلك: أنها كانا يرتزقان من بيت المال، الذي كان يحوي أموال مانعي الزكاة الذين قتلوهم، وغنموا أموالهم مثل مالك بن نويرة وأضرابه؟!!

ألا يرون في ذلك كله أية شبهة توجب تقيؤ ما يأكلانه من هذا وذاك؟! ولو بمقدار الشبهة في اللحم الذي كان لعوف بن مالك أجرة له على عمل قام به؟!!

هذا كله، عدا عن الشبهة في اغتصاب خلافة علي، وفي ضرب الزهراء «عليهما السلام»، وفي إسقاط جنينها، وغير ذلك من أمور!

جنابة، وصلاة:

وذكروا: أن جنابة أصابت عمرواً في طريق العودة، فتيمم وصلى بأصحابه^(١)، وقد حاول بعضهم أن يثير الإشكال في صحة الجماعة إذا كانت صلاة الإمام بالتيمم.

ولكن الصحيح هو: أنه يجوز للمتوضي أن يأتى بالجنب التيمم فلا إشكال!

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٣ و ٧٧٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩١ وسنن الدارقطني ج ١ ص ١٧٨ والمستدرک للحاكم ج ١ ص ١١٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٢٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٠ وفي هامشه عن بعض من تقدم وعن مسند أحمد ج ٤ ص ٢٠٣ وعن أبي داود ج ١ ص ٣٣٤ و ٤٩٢ وتذكرة الفقهاء (ط ج) ج ٢ ص ١٥٧ والحدائق الناضرة ج ٤ ص ٣٢٥ وعوالي اللآلي ج ٢ ص ٢٠٩ وإيضاح الفوائد ج ١ ص ٦٦.

رواياتهم مزيفة:

قد ظهر مما تقدم: أن رواياتهم لما جرى في سرية ذات السلاسل مليئة بالكاذب، حافلة بالادعاءات الباطلة، التي تكذبها الوقائع، ويدحضها المنطق السليم، والاعتبار العقلاني القويم..
غير أن بعض ما ذكره ليس مكذوباً من أساسه، بل هو صحيح في حد ذاته، ولكنه حُرّف وزَيّف بصورة كبيرة.

الصورة الأوضح والأصرح:

ولكن ما لم يكن يدور في خلدنا هو أن يُسقط هؤلاء الناس عمدة وأهم أحداث هذه السرية. وهو ذلك الجانب الذي يظهر أن ثمة أحداثاً فريدة ومتميزة من شأنها أن تسوق الفكر إلى استقدام صور لأحداث مشابهة، على سبيل تداعي المعاني، ليتكون - من ثم - انطباع في غاية السلبية عن شخصيات كان لها أثر عظيم، ولا يزال في تصورات وفي اعتقادات طائفة كبيرة من المسلمين، مع مزيد من الاحترام والتقدير منقطع النظير..

إن الصورة الحقيقية لما حدث تبين أن ما جرى في خيبر، وفي فدك، وفي قريظة، قد تكرر في سرية ذات السلاسل أيضاً، حيث أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» جيشه إلى ذات السلاسل، وعلى رأسه قيادات لم تستطع أن تحقق نصراً، فعادت تجر أذيال الخيبة، حتى أرسل علياً «عليه السلام»، ففتح الله على يديه، وعاد بالخبر الأكيد، والنصر الفريد، والخبر السعيد.. فظهر بذلك فضله على من سواه. والله متم نوره، ولو كره المشركون، والكافرون،

.....
والحاقدون، والشائنون..

ونحن نذكر النصوص التي ذكرت ذلك، ثم نشير إلى بعض ما يرتبط
بها، وذلك فيما يأتي من مطالب.

..... :

الفصل السادس:

الصورة الحقيقية لغزوة ذات السلاسل

تتمات أغفلوها عمداً:

قلنا في الفصل السابق: إن الحديث عن سرية ذات السلاسل. قد جاء مبتوراً ومحرفاً، بصورة عجيبة وغريبة.. وقد ظهرت بعض سمات تحريفه فيما سبق، وسيأتي إن شاء الله المزيد عن ذلك في الشروح، والملاحظات، والإلفات الآتية..

وأما بالنسبة لكونه جاء مبتوراً، فتوضحه نصوص أخرى قد جرى إغماض النظر عنها عمداً، لأنها ليس فقط لا تنسجم مع الهوى السياسي والمذهبي لأولئك الذين تصدوا لتدوين التاريخ..

بل هي تفسد عليهم خططهم التي ترمي إلى سوق الأمور باتجاه معين، يخدم أهدافاً رسمت، وأهواءً اتبعت وسياسات وضعت..

وبما أن النصوص المشار إليها قد جاءت مطولة ومفصلة، فلا محيص عن اختصار وتلخيص بعضها. وإيراد بعضها الآخر كما هو..

وهذا ما سوف نقوم به أولاً.. ثم نلحق ذلك ببيانات وتوضيحات نرى أنها ضرورية ومفيدة، فنقول:

نصوص أجزائها:

والنصوص التي أجزائها هي التالية:

- ١ - ورد في بعض الروايات عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» وجّه عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً، يجبن أصحابه ويجبنونه، فأرسل علياً «عليه السلام» وأمره أن لا يفارقه العين، فأغار عليهم، فنزلت: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا..} إلى آخر السورة^(١).
- ٢ - وروي أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما بعث سرية ذات السلاسل، عقد الراية وسار بها أبو بكر، حتى إذا صار بها بقرب المشركين اتصل خبرهم فتحرزوا ولم يصل المسلمون إليهم، فأخذ الراية عمر وخرج مع السرية، فاتصل بهم خبرهم، فتحرزوا، ولم يصل المسلمون إليهم. فأخذ الراية عمرو بن العاص، فخرج في السرية فانهزموا. فأخذ الراية لعل، وضم إليه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن العاص، ومن كان معه في تلك السرية. وكان المشركون قد أقاموا رقباء على جباههم، ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم واستعدادهم. فلما خرج علي «عليه السلام» ترك الجادة، وأخذ بالسرية في الأودية بين الجبال.

(١) أمالي ابن الشيخ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ والبحار ج ٢١ ص ٧٥ و ٧٦ عنه، والبرهان ج ٤ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٢ وأمالي الطوسي ص ٤٠٧ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦١.

فلما رأى عمرو بن العاص وقد فعل علي ذلك، علم أنه سيظفر بهم، فحسده فقال لأبي بكر، وعمر، ووجوه السرية: إن علياً رجل غر لا خبرة له بهذه المسالك، ونحن أعرف بها منه، وهذا الطريق الذي توجه فيه كثير السباع، وسيلقى الناس من معرفتها أشد ما يحاذرونه من العدو، فاسألوه أن يرجع عنه إلى الجادة.

فعرّفوا أمير المؤمنين «عليه السلام» ذلك، قال: من كان طائعاً لله ولرسوله منكم فليتبعني، ومن أراد الخلاف على الله ورسوله فلينصرف عني. وفي نص آخر: فقال لهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: الزموا رجالكم، وكفوا عما لا يعينكم، واسمعوا وأطيعوا فإني أعلم بما أصنع^(١).

فسكتوا، وساروا معه، فكان يسير بهم بين الجبال في الليل، ويكمن في الأودية بالنهار، وصارت السباع التي فيها كالسنانير، إلى أن كبس المشركين وهم غارون آمنون وقت الصبح، فظفر بالرجال، والذراري، والأموال، فحاز ذلك كله، وشد الرجال في الحبال كالسلاسل، فلذلك سميت غزاة ذات السلاسل.

فلما كانت الصبيحة التي أغار فيها أمير المؤمنين «عليه السلام» على العدو - ومن المدينة إلى هناك خمس مراحل - خرج النبي «صلى الله عليه وآله» فصلّى بالناس الفجر، وقرأ: «والعاديات» في الركعة الأولى، وقال: «هذه سورة أنزلها الله عليّ في هذا الوقت، يخبرني فيها بإغارة علي على العدو،

(١) راجع هذه الفقرة: البحار ج ٢١ ص ٧٤ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٩ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٧.

وجعل حسده لعل حسداً له، فقال: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} ^(١). والكنود:
الحسود ^(٢).

٣ - وذكر نص آخر: أن أعرابياً أخبر النبي «صلى الله عليه وآله»
باجتماع قوم من العرب في وادي الرمل لبيئته في المدينة.. فأخبر النبي
«صلى الله عليه وآله» المسلمين..

فانتدب إليهم جماعة من أهل الصفة، فأقرع بينهم، فخرجت القرعة
على ثمانين رجلاً، فاستدعى أبا بكر، فقال له: خذ اللواء، وامض إلى بني
سليم، فإنهم قريب من الحرية..

فمضى إليهم. وهم ببطن الوادي، والمنحدر إليهم صعب. فخرجوا
إليه - حين أرادوا الانحدار - فهزموه، وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً.
فعقد «صلى الله عليه وآله» لعمر بن الخطاب وبعثه إليهم.. فهزموه
أيضاً.

فأرسل إليهم عمرو بن العاص بطلب من عمرو نفسه، فخرجوا إليه،
فهزموه، وقتلوا جماعة من أصحابه..

فدعا علياً «عليه السلام»، فعقد له، ثم قال: «أرسلته كراراً غير فرار».
وشيعه إلى مسجد الأحزاب، وأنفذ معه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن العاص.
فسار بهم «عليه السلام» نحو العراق متنكباً للطريق، حتى ظنوا أنه

(١) الآية ٦ من سورة العاديات.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٧٦ و ٧٧ والخرايع والجرايح ج ١ ص ١٦٧ و ١٦٨ وراجع:
إثبات الهداة ج ٢ ص ١١٨.

يريد بهم غير ذلك الوجه، ثم انحدر بهم على محجة غامضة، حتى استقبل
الوادي من فمه..

وكان يسير بالليل، ويكمن بالنهار.
فلما قرب من الوادي أمرهم أن يعكموا الخيل..
فعرف عمرو بن العاص أنه الفتح.
ثم ذكرت الرواية نحو ما تقدم في الرواية السابقة.
ثم قالت: قالوا: وقتل منهم مئة وعشرين رجلاً. وكان رئيس القوم
الحارث بن بشر، وسبى منهم مئة وعشرين.

فلما رجع واستقبله النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون..
قال له: «لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت
النصارى في المسيح عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملاً من
الناس إلا وأخذوا التراب من تحت قدميك»^(١).

٤ - وجاء في نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر الناس بما
أنذره الإعرابي، وقال لهم: «فمن للوادي»؟
فقام رجل من المهاجرين، فقال: أنا له يا رسول الله، فناوله اللواء،
وضم إليه سبع مائة رجل، فسار إليهم، فسألوه عن شأنه، فأخبرهم،
فقالوا: «ارجع إلى صاحبك، فإننا في جمع لا تقوم له»، فرجع.

(١) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥ والبحار ج ٢١ ص ٧٧ - ٧٩ وراجع
ص ٨٣ و ٨٤ وتفسير فرات، والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٤٩٨ والمستجد من
الإرشاد ص ١٠٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٣ و ٢٣١.

فأرسل مهاجرياً آخر، فمضى ثم عاد بمثل ما عاد به صاحبه.
فأرسل علياً «عليه السلام» فمضى إلى وادي الرمل، فوافى القوم بسحر
فأقام حتى أصبح، ثم عرض على القوم أن يسلموا أو يضرهم بالسيف،
فطلبوا منه أن يرجع كما رجع صاحبه، فأبى، وأخبرهم أنه علي، فاضطربوا
لما عرفوه ثم اجترأوا على مواقعه، فقتل منهم ستة أو سبعة، وانهزموا،
وظفر المسلمون بالغنائم، ورجعوا.
فاستقبله المسلمون والنبي، فلما بصر بالنبي «صلى الله عليه وآله»
ترجل عن فرسه، وأهوى إلى قدميه يقبلهما.
فقال له «صلى الله عليه وآله»: «اركب، فإن الله تعالى ورسوله عنك
راضيان».

فبكى علي «عليه السلام» فرحاً، ونزلت سورة العاديات في هذه المناسبة^(١).
٥ - وفي حديث ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» دعا أبا بكر إلى
غزوة ذات السلاسل، فأعطاه الراية فردها..
ثم دعا عمر، فأعطاه الراية فردها.
ثم دعا خالد بن الوليد فأعطاه الراية، فرجع.

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٤ - ١١٧ والبحار ج ٢١ ص ٨٠ - ٨٢ عنه
وج ٣٦ ص ١٧٨ و ١٧٩ وج ٤١ ص ٩٢ و ٩٣ وعن إعلام الوری ص ١١٦ و
١١٧ ومناقب آل أبي طالب ص ٣٢٨ - ٣٣٠ والمستجد من الإرشاد ص ١٠٠ -
١٠٣ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢
ص ٥٧٤ - ٥٧٦ وعن كشف الغمة ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣٢ وكشف اليقين
ص ١٥١ و ١٥٢ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٠ و ٨٤١.

.....
:
فأعطاهما علياً «عليه السلام» فانطلق بالعسكر، فنزل في أسفل جبل
كان بينه وبين القوم، وقال: اركبوا (لعل الصحيح: اكعموا) دوابكم.
فشكا خالد لأبي بكر وعمر: أنه أنزلهم في واد كثير الحيات، كثير الهام،
كثير السباع، فإما يأكلهم مع دوابهم سبع، أو تعقرهم ودوابهم حيات، أو
يعلم بهم العدو فيقتلهم..
فراجعوا علياً «عليه السلام» بالأمر، فلم يقبل منهم.
ثم راجعوه مرة أخرى فلم يقبل.
فلما كان السحر أمرهم فطلعوا الجبل، وانحدروا على القوم، فأشرف
عليهم، وقال لأصحابه: انزعوا عكمة دوابكم، فشمت الخيل ريح الإناث،
فصهلت، فسمع القوم صهيل الخيل فهربوا.
فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم. فنزلت سورة «والعاديات» على النبي
«صلى الله عليه وآله»، ثم جاءت به البشارة^(١).

إختلافات لها حل:

وقد ظهرت في النصوص المتقدمة بعض الاختلافات التي تحتاج إلى
معالجة معقولة ومقبولة.
وهذه المعالجة ليست بعيدة المنال في هذا المورد الذي نحن بصدد
الحديث عنه.
ونحن نذكر نماذج منها، ثم نعقب ذلك بما نراه معالجة مناسبة، فنقول:

(١) البحار ج ٢١ ص ٨٢ و ٨٣ وج ٤١ ص ٩٢ و ٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٢
ص ٣٢٨ و ٣٢٩ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٥ وتفسير فرات ص ٥٩١.

١- ما هو المقصد؟!

وهل بعث النبي «صلى الله عليه وآله» هذه السرية إلى قضاة، وإلى عاملة، ولخم، وجذام، وكانوا مجتمعين^(١).
أو إلى قضاة فقط كما في الروايات الأخرى، بعد أن بلغه أنهم أرادوا أن يدنوا إلى أطراف المدينة^(٢). أو بعثها إلى بني سليم^(٣).
بل في بعض الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث عمرو بن العاص، يستنفر العرب إلى الشام^(٤).

٢- المقتولون من الأعداء:

وقد ذكرت بعض نصوص هذه الغزوة: أن المقتولين من الأعداء حين هاجمهم علي «عليه السلام» هم مئة وعشرون رجلاً، وسبي منهم مئة

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٨ عن البلاذري.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣١..

(٣) البحار ج ٢١ ص ٧٧ و ٨٣ وج ٣٦ ص ١٧٨ وتفسير فرات ص ٥٩٢ وكشف اليقين ص ١٥١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٠ و ٨٤١.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٢ وج ٥ ص ٢٣٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٤٠ والإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٠٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥١٦ وج ٤ ص ٤٣٥.

وعشرون ناهداً^(١).

وفي نص آخر: قتل منهم ستة أو سبعة، ثم انهزموا^(٢).

٣- المحرض على الاعتراض:

وثمة من يصرح: بأن عمرو بن العاص هو الذي حرك أبا بكر وعمر ليعترضوا على علي «عليه السلام»، لأنه سار بهم في طريق وعرة، أو نزل بهم في موضع صعب^(٣).

ثم نجد ما يدل: على أن المحرض على الاعتراض هو خالد بن الوليد، لا عمرو بن العاص^(٤).

٤- محور الاعتراض:

وهل اعترض أبو بكر، وعمر، وعمرو بن العاص على المنزل الذي أنزلهم علي «عليه السلام» فيه^(٥).

(١) تفسير فرات ص ٥٩٣ والبحار ج ٢١ ص ٨٤ عنه.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٨١ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٦ وإعلام الوری ص ١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٦.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٧٧ و ٧٨ وج ٣٦ ص ١٧٩ وج ٤١ ص ٩٢ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١٦٧ والإرشاد ج ١ ص ١٦٤ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٢ وكشف اليقين ص ١٥١ و ١٥٢.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٨٢ وج ٤١ ص ٩٢ وتفسير فرات ص ٥٩١.

(٥) البحار ج ٢١ ص ٨٢ وج ٣٦ ص ١٧٩ وج ٤١ ص ٩٢ وتفسير فرات ص ٥٩١ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٥.

أو أنهم اعترضوا على الطريق التي سلكها بهم^(١).

٥- من المخبر للنبي ' بجمع الأعداء؟! :

وقد تحدثت بعض الروايات عن أن جبرئيل هو الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بجمع هؤلاء الأعداء، وبعدهم، وبما تعاقدوا وتعاهدوا عليه، فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» الناس بذلك^(٢).
ولكن نصوصاً أخرى تقول: إن الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بجمعهم هو رجل أعرابي^(٣).

٦- وقت الإغارة:

تذكر روايات: أن علياً «عليه السلام» أغار على الأعداء عند الفجر^(٤).

-
- (١) الإرشاد ج ١ ص ١٦٤ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٢ وكشف اليقين ص ١٥١ و ١٥٢ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١ والبحار ج ٢١ ص ٧٧ و ٧٨.
- (٢) البحار ج ٢١ ص ٦٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٤ وتفسير الثقلين ج ٥ ص ٦٥٢ وتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٤.
- (٣) البحار ج ٢١ ص ٧٧ و ٨٠ والإرشاد ج ١ ص ١١٤ و ١٦٢ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٨٤٤.
- (٤) راجع: البحار ج ٢١ ص ٧٦ و ٧٧ و ٧٩ و ٨٣ و ج ٤١ ص ٩٢ والأمل للشيخ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٥ وتفسير فرات ص ٦٠٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٩ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١٦٨ والإرشاد ج ١ ص ١٦٥ والمستجدات في الإرشاد ص ١٠٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٢.

وبعضها يقول: عند السحر^(١).

٧. ماذا جرى لأبي بكر وعمرو بن العاص؟!

وهل خرج إلى أبي بكر مئتا رجل فكلموه وخوفوه فرجع، حسبما تقدم؟!^(٢). أم أنه لما صار أبو بكر إلى الوادي، وأراد الانحدار خرجوا إليه، فهزموه، وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً؟! ثم أرسل إليهم عمر بن الخطاب، فجرى له نفس ما جرى لأبي بكر. ثم أرسل عمرو بن العاص، فكان الأمر كذلك أيضاً^(٣).

٨. كيف أوقع علي × بالأعداء؟!

وفي حين تذكر روايات: أن علياً «عليه السلام»، سار إلى أن كبس المشركين، وهم غارون، فظفر بهم^(٤).

(١) البحار ج ١ ص ٨٣ و ٨٤ وتفسير فرات ص ٥٩٢.

(١) البحار ج ٢١ ص ٦٩ و ٧٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٥ وتفسير فرات ص ٥٩٩ وتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢ وإعلام الوري ص ١١٦ و ١١٧ وتأويل الآيات ص ٨٤٥ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٣.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٧٨ وج ٣٦ ص ١٧٩ وج ٤١ ص ٩٢ والإرشاد ج ١ ص ١٦٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٨ والمستجد من الإرشاد ص ١٠١ و ١٠٢ وتأوي الآيات ج ٢ ص ٨٤٠ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١ وكشف اليقين ص ١٥١.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٧٩ و ٨٤ وتفسير فرات ص ٥٩٣ ص ٦٠٢ والخرايع والجرايع ج ١ ص ١٦٨ وراجع: الإرشاد ج ١ ص ١٦٥ والمستجد من الغرشاد ص ١٠٣.

تجد نصاً آخر يقول: إنهم سمعوا صهيل خيله، فولوا هاريين^(١).
وفي نص ثالث: أنه «عليه السلام» خاطبهم، وأخبرهم: أن النبي «صلى
الله عليه وآله» أرسله إليهم، ثم عرفهم بنفسه، فاجترؤا على موافقته،
فواقعهم، فقتل منهم ستة أو سبعة وانهمزوا^(٢).

٩- عدد قتلى المشركين:

وهل قتل من المشركين ستة أو سبعة^(٣).
أو قتل منهم مئة وعشرون رجلاً^(٤).

١٠- الذين هاجموا المشركين:

ثم إن بعض النصوص قد اقتضت على ذكر عمرو بن العاص، وأنه
هاجم المشركين، فهربوا، ودوَّخ تلك البلاد، وهي التي اختارها عموم
المؤرخين، من الفريق المحب لعمرو بن العاص.
ولكن نصاً آخر يذكر: أنه أرسل عمر، ففشل، فأرسل علياً «عليه

(١) البحار ج ٢١ ص ٨٣ وج ٤١ ص ٩٣ وتفسير فرات ص ٥٩٢ ومناقب آل أبي
طالب ج ٣٢ ص ٣٢٩.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٨١ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٦ وإعلام الوری ص ١١٦ و
١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٦.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٨١ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٦ وإعلام الوری ص ١١٦ و
١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٦.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٨٤ وتفسير فرات ص ٥٩٣.

السلام»^(١)، فكان الفتح على يديه.

وذكر نص آخر: إرسال أبي بكر، ثم عمر، ثم علي^(٢).

وفي نص آخر ذكر: رجلاً من المهاجرين، ثم رجلاً من المهاجرين، ثم علياً^(٣).

وذكر نص آخر: أبا بكر، ثم عمر، ثم عمرو بن العاص، ثم علياً «عليه السلام»^(٤).

وفي نص أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» أعطى الراية أبا بكر، فردها، ثم أعطاهما عمر، فردها. ثم أعطاهما خالداً، فرجع. ثم أعطاهما علياً «عليه السلام»^(٥).

١١- كيف عرف المشركون بجيش علي :×

وقد ذكرت بعض تلك الروايات: أن المشركين عرفوا بوجود جيش

(١) البحار ج ٢١ ص ٧٥ والأمل للشيخ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦١ والتفسير الأصفى ج ٢ ص ١٤٦٩.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٦٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٤ وتأويل الايات ج ٢ ص ٨٤٤ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٢ وتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٨٠ وراجع ص ٦٦ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٤ وإعلام الوري ص ١١٦ و ١١٧ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٨ و ٥٢٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٤.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٧٧ وج ٤١ ص ٩٢ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١٦٧ والإرشاد ج ١ ص ١٦٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٨ والمستجدات من الإرشاد ص ١٠١ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١.

(٥) البحار ج ٢١ ص ٨٢ وتفسير فرات ص ٥٩١.

علي «عليه السلام» حين سمعوا صهيل خيل المسلمين، فولوا هاربين^(١).
ونص آخر يقول: بل كلمهم علي «عليه السلام» ثم واقعهم^(٢).

١٢- وادي اليابس أم وادي الرمل:

وذكرت بعض الروايات: أن السرية أرسلت إلى وادي اليابس^(٣).
وذكر بعضها: أنها أرسلت إلى وادي الرمل^(٤).

هذا هو الحل:

وبعدما تقدم نقول:

هناك سؤال يقول: ألا يضعف هذا الاختلاف من درجة اعتبار هذه

(١) البحار ج ٢١ ص ٨٣ ج ٤١ ص ٩٣ وتفسير فرات ص ٥٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٩.

(٢) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٤-١١٧ والبحار ج ٢١ ص ٨٠-٨٢ وج ٤١ ص ٩٢ وعن إعلام الوري ص ١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٤-٥٧٦.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٦٨ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٤ وتفسير فرات ص ٥٩٩ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢ والتفسير الأصفي ج ٢ ص ١٤٦٩ وبحوث في تاريخ القرآن للزرندي ص ٥١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٤.

(٤) مستدرک الوسائل ج ٤ ص ١٦١ والبحار ج ٢٠ ص ٣٠٨ وج ٢١ ص ٨٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٤ وإعلام الوري ج ١ ص ٣٨٢ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٠ والإرشاد ج ١ ص ١٦٢ والمستجد في الإرشاد ص ١٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٤ والنص والاجتهاد ص ٣٣٦ وكشف اليقين ص ١٥١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٠.

الروايات، ويسقطها عن صلاحية الاعتماد عليها؟!
ويمكن أن نجيب: أن هذه الاختلافات لا تصل إلى حد التناقض
والاختلاف.

إذ يمكن أن يعترض عمرو بن العاص على علي «عليه السلام»، ثم
يجرض أبا بكر وعمر على ثني عزيمة علي «عليه السلام»، على مواصلة
مسيره ذاك..

ويمكن أن يعترض أبو بكر وعمر على علي «عليه السلام» مرتين، مرة
على المسير المخيف، ومرة أخرى على المنزل المخيف.
ويمكن أن يخبر جبرئيل بجمع الأعداء، ثم يخبر به ذلك الأعرابي مرة
أخرى.

ويمكن أن يكبس علي «عليه السلام» المشركين، وهم غارون. ثم
تكون أول معرفتهم بالمهاجمين هو حين سمعوا صهيل الخيل، فهربوا فأوقع
بهم علي «عليه السلام»..

ويمكن أن يكون قد واقعهم في اليوم الأول، فقتل منهم ستة أو سبعة
فانهزموا، ثم لما استقر بهم المقام عاد فهاجمهم في فجر اليوم التالي، فقتل
منهم مائة وعشرين رجلاً..

ويمكن أن يكون هناك واد واحد يسمى بوادي اليابس تارة، وبوادي
الرميل أخرى.

ويمكن أن تذكر بعض النصوص مهاجمة عمر، ثم علي لهم.. وتسكت
عن مهاجمة أبي بكر وعمرو وخالد.. ولكن راوياً آخر يضيف أبا بكر، ثم
يضيف راوٍ ثالث عمرواً، أو خالداً..

ويمكن أن يفاجئهم علي «عليه السلام» بالجيش، ثم يكلمهم ويقيم عليهم الحجة، ويحصل بعض المواجهات فيما بينهم، ويقتل منهم ستة، أو سبعة.. ثم يغير عليهم مرة أخرى بعد ذلك، في وقت السحر أو حين طلوع الفجر.

ويمكن أن تجتمع سليم، وقضاة، ولخم، وجذام.. فيروي أحد الرواة وجود هذا الفريق، ويهمل الإشارة إلى من عداه.. ولهذا الإهمال أسبابه التي تختلف من شخص لآخر أيضاً، ثم يذكر راوٍ آخر ذلك الفريق، ويهمل من عداه.

ويمكن أن تكون هناك مهمات عديدة لبعث واحد، مثل أن يواجه الأعداء المتربصين من جهة، وأن يستنفر العرب إلى الشام أيضاً.. ويمكن: أن يعبر عن الصبح والفجر بالسحر، وكذلك العكس لتقارب الوقتين واتصالهما، خصوصاً وأن الناس يتساحون في مثل هذه الاختلافات.

ويمكن: أن تعدد التعابير بتعدد الهجمات، فأحداها كانت عند السحر، والأخرى عند الصبح وهكذا..

ويمكن: أن يتحدث أحدهم عن أن عدد الجيش هو سبع مائة، ويكون نظره إلى أول دفعة، يتدبها، ويغض الرسول «صلى الله عليه وآله» الطرف عن ذكر العدد النهائي.

إختلافات لا حل لها:

وتبقى هناك اختلافات لا مجال لحلها على الطريقة المتقدمة.. بل تحتاج

إلى حلول أخرى قد يكون من بينها الحكم على الرواية بالتحريف والتزييف، إذا قامت الأدلة والشواهد الأخرى على ذلك..

وقد يكون من بينها أيضاً الحكم بتعدد الواقعة، إذا كان ذلك ممكناً، حتى وإن استلزم ذلك نسبة الوهم والخطأ إلى بعض الناقلين، حيث ظنوا بأن تلك الوقائع واحدة، لمجرد رؤيتهم لبعض مفردات التشابه فيما بينها. فأقحموا توضيحات وتفسيرات من عند أنفسهم، ظناً منهم أنهم يسهلون فهم الأمور على من بعدهم..

ولعل مما يصلح شاهداً على ما نقول: هذا التشابه الشديد فيما بين السرايا، ثم هذا التشابه بين مضامين عدد من الأحاديث أيضاً.. حتى إنك تجد أمراً واحداً يذكر في العديد من المواقع والمواضع..

ومن شواهد إقحام الرواة تفسيراتهم الخاطئة في النص ما يذكر في ولادة الحسين «عليهما السلام»، من أن أسماء كانت حاضرة آنئذٍ، وأتت بهما إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والمراد هو: أسماء بنت يزيد الأنصارية، أو أسماء أخرى منهم، ولكن الرواة أقحموا كلمة «بنت عميس» من عند أنفسهم، ربما لارتكاز ذلك في أنفسهم، أو بهدف التوضيح، مع أن أسماء بنت عميس كانت حين ولادة الحسين «عليهما السلام» مع زوجها جعفر بن أبي طالب في الحبشة..

وقد يسأل سائل هنا: عن السبب في أن كثيراً من مؤرخي أهل السنة، والمتصدين لمعالجة رواياتهم منهم، حين يلاحظون وجود بعض الاختلافات بين الروايات يبادرون إلى الحكم بتعدد الواقعة..

ولكنهم لم يذكروا شيئاً من ذلك في غزوة ذات السلاسل.

والجواب: أن ذلك يعود إلى أنهم قد قصروا نظرهم في هذه الغزوة على مروياتهم هم، والتي تحصر الموضوع في عمرو بن العاص، وادعاء أنه دَوَّخ بلاد قضاة، وعاد منتصراً.. ولم يكثرثوا بالروايات الأخرى التي وردت في مصنفات سائر المسلمين، ولا سيما شيعة واتباع خط ونهج أهل البيت «عليهم السلام».

١- عدد أفراد السرية:

وقد روى المؤرخون المتعاطفون مع عمرو بن العاص، وأبي عبيدة وغيرهما، والمهتمون بحفظ ماء وجههم: أن عدد أفراد سرية ذات السلاسل بلغ خمس مائة مقاتل، مائتان منهم جاء بهم أبو عبيدة مدداً لعمرو بن العاص. وقد تقدم ذلك في فصل سابق^(١).
أما الروايات الأخرى فتقول: إن العدد قد بلغ أربعة آلاف مقاتل^(٢).
ورواية أخرى تقول: كانوا سبع مائة مقاتل^(٣).

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ و ١٦٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٧٥ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٩ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣١ وغير ذلك كثير.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٦٧ - ٧٣ وتفسير القمي ج ٢ ص ٥٩٩ وتفسير فرات ص ٥٩٩ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٢ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٤.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٨٠ و ٨٢ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٤ و ١١٧ وعن إعلام الوری ص ١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٥.

.....
:
وهناك نص يقول: إنه أرسل علياً «عليه السلام» في ثمانين من أهل
الصفة، أخرجتهم له القرعة^(١).

٢- المقتولون مع أبي بكر:

إن بعض الروايات تصرح: بأن أبا بكر قد عاد إلى النبي «صلى الله عليه
 وآله» دون أن يباشر قتالاً، وكذلك عمر - وهي رواية القمي..
 ورواية أخرى ذكرت: أن أولئك القوم خرجوا إلى أبي بكر، فهزموه،
 وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً^(٢).

٣- اختلاف التاريخ:

هناك من يقول: إنها كانت قبل مؤتة - كابن إسحاق - .
 وقيل: بعدها.
 وقيل: كانت سنة سبع.
 وقيل: ثمان، في جمادى الآخرة..
 وكل ذلك قد تقدم.

(١) البحار ج ٢١ ص ٧٧ - ٧٩ و ٨٣ و ٨٤ وج ٣٦ ص ١٧٨ وراجع: الإرشاد للمفيد
 ج ١ ص ١٦٤ - ١٦٦ وتفسير فرات ص ٥٩٢ والمستجد في الإرشاد ص ١٠١
 وكشف اليقين ص ١٥١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٠ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣.
 (٢) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٣ البحار ج ٢١ ص ٧٨ عنه ومناقب آل أبي طالب
 ج ٢ ص ٣٢٨ والمستجد من الإرشاد ص ١٠١ وموسوعة التاريخ الإسلامي
 ج ٢ ص ٥٧٧ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١.

فإن كانت سنة سبع، فذلك لا يتلاءم مع القول: بأن عمرو بن العاص قد اسلم أول سنة ثمان، وأنه قد حضر هذه الغزوة، وكان له دور فيها.. وذكرها المفيد رحمه الله بعد غزوة تبوك، وذكرها على وجه آخر - على ما في بعض النسخ القديمة - بعد غزوة بني قريظة، وقبل غزوة بني المصطلق^(١). قال المجلسي نقلاً عن المفيد: وقد كان من أمير المؤمنين عليه السلام في غزوة وادي الرمل - ويقال: إنها كانت تسمى بغزوة السلسلة^(٢).

٤ - بعدها عن المدينة:

وهل تبعد عن المدينة اثنتا عشرة مرحلة^(٣).

أربع عشرة مرحلة؟^(٤).

أو تبعد عنها خمس مراحل فقط؟^(٥).

(١) البحار ج ٢١ ص ٨٠.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٨٠ ومستدرک الوسائل ج ٤ ص ١٦١ والإرشاد ج ١ ص ١١٣ وبيت الأحران ص ٢٧.

(٣) معجم البلدان ج ٢ ص ١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٩ وكتاب العين للفراهيدي ج ٥ ص ٣٤٢.

(٤) راجع: فتح الباري ج ٨ ص ٤٤٨ وشرح النووي (ط دار الكتاب العربي) ج ١٥ ص ٤٥ و (ط دار الفكر) ص ٥٨ وتحفة الأحوذى (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٣١٢ وج ٨ ص ٤٠٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ٣١٠ وج ٨ ص ٤٠٢ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٣١٢ وعون المعبود ج ١ ص ١٧٤ وعمدة القاري ج ٩ ص ٦٤ ومجمع البحرين ج ١ ص ٢٦٥.

(٥) البحار ج ٢١ ص ٧٧ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١٦٨.

.....
:
وفي جميع الأحوال نقول: إنه يمكن اعتماد الرواية التي تقول: إن المكان كان قريباً من المدينة.. وذلك للرواية التي تقول: «كان المشركون قد أقاموا رقباء على جبالهم، ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم الخ..»^(١).
وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسلهم لغزوة بني سليم، فإنهم قريب من الحرة»^(٢).

هل هناك أكثر من سرية؟!:

وهذه الاختلافات في الموارد الأربعة المتقدمة تدعونا للتفكير بجدية في اعتبارها مبرراً لتقوية احتمال تعدد الحادثة، وأن هذه الحوادث قد تشابهت في بعض عناصرها.
إلا أن يحمل هذا الاختلاف على وهم وقع فيه الرواة، أو عبث مارسوه، لغاية في أنفسهم.. وفي جميع الأحوال نقول:
إنه لا بد لنا من وقفات تدبر وتأمل في النصوص المذكورة، فلاحظ ما نذكره فيما يلي:

(١) البحار ج ٢١ ص ٧٧ والخرايع والجرايع ج ١ ص ١٦٧.

(٢) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٥ والبحار ج ٢١ ص ٧٧ - ٧٩ و ٨٣ و ٨٤ عنه، وعن تفسير فرات ص ٥٩٢ والمستجد من الإرشاد ص ١٠١ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١.

الإغارة قبل الاحتجاج أم بعده؟!

ونريد أن نرجح هنا: أن علياً صلوات الله وسلامه عليه قد فاجأ الأعداء في اليوم الأول، ودعاهم إلى ما فيه لهم خير وصلاح، وفلاح ونجاح، فأصروا، فواقعهم، فقتل منهم ستة أو سبعة، ثم أغار عليهم في سحر الليلة الثانية، أو حين الفجر، فأوقع بهم، وقتل منهم مئة وعشرين رجلاً، وأسر منهم مئة وعشرين ناهداً، وغنم ما شاء الله..

نقول هذا لأننا نعرف: أن علياً «عليه السلام» لم يكن يجارب قوماً إلا بعد أن ينذرهم، ويحذرهم، ويحتج عليهم، فإذا أصروا على العناد والحرب واقعهم..

وقد أوصاه النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك - فيما روي - فقال له: «يا علي لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام الخ..»^(١).
بل لقد روي عن الصادق «عليه السلام» أنه قال: ما بيّت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عدواً قط ليلاً^(٢).

(١) البحار ج ١٩ ص ١٦٧ وج ٩٧ ص ٣٤ وج ٩٨ ص ٣٦٤ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٤٣ وفي هامشه عن فروع الكافي ج ١ ص ٢٣٥ و ٣٣٧ وعن تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٤٧ والكافي ج ٥ ص ٣٦ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ٣٠ وج ١٧ ص ٢١٠ وكتاب النوادر ص ١٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٠٢ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ٢ ص ٩٠٤ وتذكرة الفقهاء (ط ج) ج ٩ ص ٤٤ و ٤٥ ورياض المسائل (ط ج) ج ١ ص ٤٨٦ و ٤٩٣ ومشكاة الأنوار ص ١٩٣.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٤٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٦٣ =

وروي عنه «عليه السلام» قال: كان أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يقاتل حتى تزول الشمس.

ويقول: تفتح أبواب السماء، وتقبل الرحمة، وينزل النصر.
ويقول: هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن يقلّ القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم^(١).

فهل يصح بعد هذا كله، أن يقال: إنه قد فاجأهم، وقتل وسبا، وغنم، قبل أن يحتج عليهم..

وقد يقال: إن قتال علي «عليه السلام» لهؤلاء القوم إنما كان بعد أن غزوا، وقوتلوا، وقتلوا، وذلك حين سار إليهم أبو بكر، وعمر، وعمر، ولا يجب دعوتهم في مثل هذه الحال، كما دلت عليه الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام»^(٢).

= وفي هامشه عن فروع الكافي ج ١ ص ٣٣٤ وعن تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٥٦ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ٢ ص ٩٠٩ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج ١ ص ٤١٢ ورياض المسائل (ط ق) ج ١ ص ٤٨٩ و (ط ج) ج ٧ ص ٥١١ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٨٢ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٧٤.

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٤٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٦٣ وفي هامشه عن الكافي (الفروع) ج ١ ص ٣٣٥ وعن علل الشرايع ج ٢ ص ٦٠٣ وعن تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٥٦ والبحار ج ٣٣ ص ٤٥٣ وج ٩٧ ص ٢٢ والكافي للحلي ص ٢٥٦ ورياض المسائل (ط ج) ج ٧ ص ٥١١ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٨١ والكافي للكليني ج ٥ ص ٢٨.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ =

بل لقد ذكرت بعض الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، وأنه صلوات الله وسلامه عليه قد فعل ذلك.. وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم.

تحرزوا!! انهزموا!!

في الحديث رقم (٢) المذكور في صدر هذا الفصل، يلاحظ: أن الرواية تحاول أن تتحاشى التصريح بهزيمة أبي بكر وعمر، فتقول: «حتى إذا صار بها بقرب المشركين اتصل بهم خبرهم، فتحرزوا، ولم يصل المسلمون إليهم..» وهذا معناه: أن أبا بكر وعمر لم ينهزما بالراية، بل لم تجر حرب ولا صدام فيما بينهم وبين المشركين، لأن المشركين تحرزوا منهم. وأما حين يصل الأمر إلى عمرو بن العاص فإن الحديث يصرح بهزيمة عمرو..

فما هذا الحنان على أبي بكر وعمر، الذي لا يستحقه حتى عمرو بن العاص، مع أنه هو الآخر أيضاً من أوليائهم وأحبائهم؟! على أنك تلاحظ: أنهم حين يصلون إلى عمرو، لا يشيرون إلى تحرز المشركين، الذين كانوا أيضاً يراقبون العساكر التي تخرج من المدينة..

= ص ٤٣ وفي هامشه عن فروع الكافي ج ١ ص ٣٣٢ وعن تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٤٥ وراجع: جواهر الكلام ج ٢١ ص ١٨ والكافي (ط دار الكتب الإسلامية) ج ٥ ص ٢٠ وتهذيب الأحكام (ط دار الكتب الإسلامية) ج ٦ ص ١٣٥.

.....
:
فإن كانوا قد تحرزوا من أبي بكر وعمر، فلماذا لم يتحرزوا من عمرو..
لكي يرجع عمرو كما رجع صاحبه من دون أن يصل المسلمون إليهم؟!
وإن كانوا لم يتحرزوا وهاجموا عمرواً ومن معه، فلماذا لم يهاجموا أبا بكر
ومن معه، وعمر ومن معه.. وتركوهم يرجعون قبل أن يصلوا إليهم؟!

القائد فقط هو السبب:

وذكرت الرواية المتقدمة برقم (٢) أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» لم
يزد على أن «أخذ الراية لعلي، وضم إليه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن
العاص، ومن كان معه في تلك السرية». فتحقق النصر العظيم على يده
صلوات الله وسلامه عليه، مع أنه لم يجر أي تعديل، سوى أنه أعطى القيادة
لأمير المؤمنين علي «عليه السلام»..
وهذا يشير إلى: أن العيب، أو فقل التقصير كان من القادة بالدرجة
الأولى..

بل يمكن القول: إن هزيمة نفس هذا الجيش ثلاث مرات متوالية، من
شأنها أن تجعل احتمالات الهزيمة في المرة الرابعة أقوى، لأن تلك الهزائم قد
حطمت معنوياته وزادت من جرأة جيش الأعداء عليه، ومن شرسته
ضده.

وهذا الأمر لا بد من أن يؤثر في زيادة الأمور صعوبة، من حيث أنه
يهيئ الأجواء لهزيمة أتعس، ولمقاومة من قبل الأعداء أشد وأشرس.
ولكن النتائج قد جاءت على عكس ذلك تماماً، وكان النصر على يد
سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم كما هو معلوم..

حسد عمرو أشد من الهزيمة وأضر:

وبعد، فقد يمكن أن يلتمس للمهزوم عذر، ولو كان باهتاً وضعيفاً، ولو بادعاء أن يكون خوفه على نفسه، وشدة الوجل والوهل قد أذهله عن تكليفه الشرعي، وأضعف عزيمة التصدي والصمود لديه.. ثم هو قد يراجع نفسه، ويندم على ما فرط منه، ويكون ما بدر منه حافزاً له على أن يرمي نفسه في أشد الأخطار، ليكفر عن ذنبه، ويرضي بذلك ربه.. ولكن أن يبادر الإنسان الذي يعيش في محيط الأمن والأمان، إلى العمل على تضييع النصر، وإلحاق الهزيمة بنفسه، وبجيش المسلمين لمجرد الاستجابة لرذيلة الحسد التي تحركت في نفسه، فذلك يدل على خلل عميق في الدين، وفي واقع الإيمان في عمق ذاته..

استجابة الشيخين لابن العاص:

والذي يثير دهشة كل منصف: أن ينقاد أبو بكر وعمر لابن العاص، وأن يحببا طلبه في العمل على ثني علي «عليه السلام» عن عزمه، وحمله على التراجع عن خطته في مهاجمة العدو!! فهل هما لم يلتفتا إلى حقيقة ما يرمي إليه ابن العاص؟! وكيف يكون ذلك والحال: أن محبيهما ما زالوا يصفونها بالخصافة والحكمة والتبصر.. وإن كانا قد التفتا إلى هذا الخطأ، ثم طاوعاه، ورضيا بأن يكونا أداة بيده لتنفيذ مآربه، فالأمر يصبح أدهى وأمر، وأنعس وأضر، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

أمير المؤمنين × يتهم:

ويظهر من جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لهؤلاء المعارضين: أنه يعتبر اتباعه «عليه السلام» إطاعة لله ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، وأن الاعتراض عليه عصيان لله ولرسوله..

وهو يصرح: بأن إصرارهم على اعتراضهم سوف ينتج طردهم من صفوف الجيش الذي يقوده «عليه السلام». وعليهم أن يواجهوا عاقبة فعلهم هذا، وأن يقدموا تفسيراً مقبولاً ومرضياً لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وإذا أضيف إلى ذلك جوابه الآخر، المتضمن لأمرهم بلزوم رحالهم، والكف عما لا يعينهم، فإنه يكون قد أفهمهم:

١ - أنه سوف يكون حازماً في موقفه هذا بنحو لا مجال فيه لأي جدل، أو اعتراض، لأنه في موقف لا مجال لغير الحزم فيه، وسيكون إفساح المجال للجدل، وللتشكيك، والأخذ والرد فيه سبباً في خلق مشكلات ونشوء عراقيل قد تؤثر على المهمة التي انتدبه الرسول «صلى الله عليه وآله» لإنجازها.

٢ - إن الانضباط في المهمات القتالية، والكون في المواقع المحددة من قبل القيادة، يعطي القدرة على التخطيط، والطمأنينة لسلامة التنفيذ، ويمكن من تحقيق النتائج، بعيداً عن المفاجآت التي يهيئ لها الخلل في الإعداد والاستعداد..

٣ - إن تدخل الجنود فيما لا يعينهم، وخصوصاً فيما يرتبط بالقرارات الحربية للقيادة.. معناه: أن يفقد القائد قدرته على التأثير في فرض تنفيذ قراراته.

٤ - إنه «عليه السلام» قد عرّف الناس: أن هذا الاعتراض يهدف إلى تهئية الأجواء لعصيان أوامر القائد، والتمرد على قراراته، وليس من مصلحة المعارضين أن يظهر هذا الأمر للناس، ولذلك فلم يعد أمامهم أي خيار سوى التراجع عن موقفهم..

٥ - إنه قد عرفهم وعرف الناس: أن ما يتذرعون به من أنهم يعرفون أمراً لم يكن علي عارفاً به غير صحيح، فهو عالم بما يصنع، ولذلك لا مجال لتضليل الناس بذرائع من هذا القبيل.

خطة علي × :

إن حذر القوم الذين يراد مهاجمتهم، واستعدادهم لابد أن يكون له أسبابه الواقعية.. وهي أحد أمرين هما:

١ - أن يكون لهم عين في المسلمين، يرسل إليهم بما يجري، ويعلمهم بتوجه السرية نحوهم، وبطبيعة تحركاتها..

٢ - أن يكون لهم رقباء في الجبال المشرفة، يخبرونهم بما يرونه، فيحتاطون ويستعدون للأمر قبل وقوعه، اعتماداً على ما يبلغونهم إياه من مشاهدات، أو معلومات.

وقد كان سلوك علي «عليه السلام» لطريق آخر يكفي لتعريف أولئك القادة الذين هزموا أو هربوا بأن علياً «عليه السلام» يتصرف بحكمة، وبدقة بالغة..

ولأجل ذلك عرف عمرو بن العاص: أنه «عليه السلام» سيطفر بهم.. فكيف لم يعرف بذلك أبو بكر وعمر؟ ولعل وضوح هذا الأمر وبدايته قد

.....
: جعل علياً «عليه السلام» يعتبر المعترضين يسعون إلى مجرد الخلاف عليه، وأنهم يريدون معصية الله ورسوله بذلك..

تبييت العدو ليس غدرًا:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة، وسواها: أنه «عليه السلام»، قد بيت المشركين وكبسهم، وهم غارون فظفر بهم.. ونعتقد: أن ذلك قد كان بعد الاحتجاج عليهم كما دلت عليه رواية القمي الآتية، التي ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر «أن إذا رآهم أن يعرض عليهم الإسلام، فإن تابعوا وإلا واقعهم». كما أنه سيأتي: أنه «صلى الله عليه وآله» ما كان يقاتل قومًا حتى يدعوهم، ويحتج عليهم. وعلى كل حال، فإن علياً «عليه السلام»، بعد أن فرض عليهم المعركة، في الموقع والمكان والوقت والزمان، الذي أحب وأراد، لم يعد يمكنهم التخلي عن مواقعهم إلى أي موقع آخر، لأن ذلك معناه: الاستيلاء على كل ما لديهم، وعلى منازلهم وأموالهم، بل هو قادر على سبي نسائهم وأطفالهم.. فإذا أبوا الاستجابة لأي منطق، ورفضوا الانصياع لأي خيار مقبول أو معقول، واختاروا طريق البغي والعدوان، فلا مانع من أن يكبسهم وهم غارون في أي وقت شاء..

وليس في هذا العمل أية مخالفة للشرايع، أو الأخلاق، بل هو العمل الحكيم الذي يؤيده الخلق الإنساني، ويرضاه الشرع، وتقره العقول.. لأنه ليس من حق العدو المحارب، المعتدي والظالم أن يعتبر نفسه في مأمن، في الوقت الذي يعطي لنفسه الحق بالغدر بالآخرين، ويرخص لنفسه في

تبييتهم، والفتك فيهم، ظلماً وعتواً، وبغياً وعلواً..
بل إن أخذ ذلك الظالم على حين غرة من شأنه أن يقلل من عدد القتلى في صفوف المهاجمين، وفي صفوف الأعداء أنفسهم، لأن ذلك يسقط قدرتهم على المقاومة. وينتهي الأمر بالاستسلام.
وإذا كان الاستسلام لأهل الدين. فإن معاملتهم لا بد أن تخضع لأحكام الشرع، وفق ما تفرضه الأخلاق الفاضلة، وتقضي به العقول، ولن يكون متأثراً بالأهواء والنزوات والميول..

تسمية الغزوة بذات السلاسل:

وقد أظهرت الرواية الثانية المتقدمة: أن سبب تسمية الغزوة بذات السلاسل: هو أنهم حين أسروا الرجال شدوهم بالحبال كالسلاسل، وقيل: هو اسم ماء يقال له: السلاسل.
ويظهر من أبي عبيد البكري: أن السلاسل رمل بالبادية، يكون بعضه على بعض كأنه السلسلة^(١)، ولعل هذا هو مرادهم حين قالوا: إن الأعداء قد اجتمعوا بوادي الرمل^(٢)، فراجع.

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٢ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٠ وعن فتح الباري ج ٧ ص ١٩ وتحفة الخوذي ج ١٠ ص ٢٦٠.
(٢) راجع: البحار ج ٢٠ ص ٣٠٨ وج ٢١ ص ٧٧ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٤ والمستجد من الإرشاد ص ١٠٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٤ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٠ وكشف اليقين ص ١٥١ وتأويل الأحاديث ج ٢ ص ٨٤٠.

.....
:
مع احتمال أن تكون هناك أكثر من سرية، ويكون بعضها إلى وادي الرمل، وبعضها إلى مواضع أخرى.

محابة لعمر؟!

وقد صرحت الرواية الثالثة: بأن الأعداء قد قتلوا جماعة كثيرة من المسلمين، حينما كانت قيادة المسلمين لأبي بكر.. ولكن الرواية تسكت عن قتل المسلمين حين استلم القيادة عمر بن الخطاب، وتكتفي بذكر هزيمته.. ثم لما وصل الأمر إلى عمرو بن العاص، عادت للتصريح بالهزيمة، وبقتل جماعة من المسلمين!!
فما هذه المحابة لعمر في هذا النص على حساب رفيقيه، أبي بكر، وعمرو بن العاص؟!

علي × كرار غير فرار:

وقد صرحت الرواية الثالثة أيضاً: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصف علياً «عليه السلام» بأنه كرار غير فرار.. وهذا الوصف هو نفسه: هو الذي أطلقه النبي «صلى الله عليه وآله» على علي «عليه السلام» يوم خيبر، بعد أن هُزم أبو بكر، ثم عمر. وأعطى «صلى الله عليه وآله» الراية لعلي «عليه السلام»، فرجع بالفتح.
وقد شرحنا هناك هذا النص، فراجع غزوة خيبر الفصل الثالث.

ما جرى في خيبر لم يزل يتكرر:

واللاف والعجيب: أن فرار هؤلاء القوم بالراية والجيش، ثم حصول

الفتح على يد أمير المؤمنين علي «عليه السلام» قد تكرر مرات عديدة..

فإننا لله.. وإنا إليه راجعون..

فقد حصل ذلك في:

١ - قريظة.

٢ - في خيبر.

٣ - في فدك.

٤ - في وادي الرمل بمشاركة عمرو بن العاص.

٥ - أو في ذات السلاسل قرب المدينة ومشاركة خالد.

٦ - وربما في بني سليم.

٧ - وربما في قضاة في بلاد الشام.

فهل هذه صدف.. أم أن النبي الحاضر يرى ما لا يراه الغائب ويريد لهذا الأمر أن يتكرر، وأن يعرف الناس الحقيقة.

علي × يُقبل قدمي النبي :

وذكرت الرواية الرابعة المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» أهوى إلى قدمي النبي «صلى الله عليه وآله» يقبلهما..

وهذا يدحض المزاعم التي تقول بعدم جواز التبرك بالأنبياء «عليهم السلام»، وبآثارهم، لأن علياً «عليه السلام»، إنما فعل ذلك طلباً لرضى الله سبحانه، ورغبة في ثوابه.. والتماساً للبركة، التي تعني المزيد من العطاء الهنيء والخير النامي، والمقام السامي..

وعلينا أن لا ننسى: أن هذا يشير إلى تراية أمير المؤمنين «عليه السلام»،

.....
: وشدة خضوعه لله سبحانه، ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، لم يكن يرى نفسه زميلاً لمحمد. كما أنه يشير إلى صفاء ذاته، وطهارة روحه، وخلوص نواياه.. ونجد في مقابل ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، كان يتبرك بالعرق الذي يكون على وجه علي «عليه السلام»^(١).

الله ورسوله عنك راضيان:

وقد كانت الجائزة العظمى التي نالها علي «عليه السلام» هي أن الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» راضيان عنه.. وتكون هذه الكلمات هي البشارة الكبرى التي يبكي علي «عليه السلام» فرحاً بها وشوقاً إليها.. فهو إذن لا يطمع بالقصور، ولا بالخور، ولا تهمه الجنان ولا يفرحه كل ما فيها، بمقدار ما يهمه ويفرحه رضى الله تعالى، ورضى رسوله، وفقاً

(١) راجع: مستدرك الوسائل ج ١٧ ص ٣٣٥ ومناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج ١ ص ٣٩٤ والمسترشد للطبري ص ٦٠٢ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي (ابن شاذان) ص ٥٨ والتحصيل للسيد ابن طاووس ص ٥٥٥ واليقين للسيد ابن طاووس ص ١٧٩ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٤٣ و ٣٦٧ والبحار ج ٣٧ ص ٣٠٠ و ٣٢٤ وج ٣٨ ص ٢ وج ٤٠ ص ١٥ و ٨٢ و ٣١٥ وج ٨٩ ص ٩١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٤٤٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٤٩ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص ١١٦ والغدير ج ٨ ص ٨٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ١٩٤ و ٣٨١ والإمام علي «عليه السلام» للهمداني ص ٩٢ و ١٤٨ وتفسير فرات ص ٤٠٦ والمناقب للخوارزمي ص ٨٥ وكشف الغمة ج ١ ص ١١٢ وكشف اليقين ص ٢٦٦ وتأويل الآيات ج ١ ص ١٨٥ وتنبيه الغافلين ص ٢٨.

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: {..رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} ^(١).
وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَّرْضِيَّةً} ^(٢).

(١) الآية ٨ من سورة البينة.

(٢) الآيتان ٢٧ و ٢٨ من سورة الفجر.

..... :

الفصل السابع:

رواية القمي توضح.. بل تصرح

ذات السلاسل برواية القمي:

وقد روى القمي عن جعفر بن أحمد، عن عبيد بن موسى، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» - ما ملخصه -:

إن أهل وادي يابس اجتمعوا اثني عشر ألف فارس، وتعاقدوا، وتعاهدوا، وتوثقوا: أن لا يتخلف رجل عن رجل، ولا يغدر بصاحبه، ولا يخذل أحد أحداً، ولا يفر عن صاحبه، حتى يموتوا كلهم، ويقتلوا محمداً «صلى الله عليه وآله»، وعلي بن أبي طالب «عليه السلام». فنزل جبرئيل «عليه السلام» على النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخبره بالأمر، وأمره أن يبعث أبا بكر في أربعة آلاف فارس، من المهاجرين والأنصار.

فخطب «صلى الله عليه وآله» الناس، وأخبرهم بما أخبره به جبرئيل «عليه السلام» عن أهل وادي الياوس، وأن جبرئيل أمره بأن يسير إليهم أبو بكر بأربعة آلاف فارس.

ثم أمرهم أن يتجهزوا للمسير مع أبي بكر يوم الإثنين، فلما حان وقت المسير أمر «صلى الله عليه وآله» أبا بكر: «أن إذا رأيهم أن يعرض عليهم

الإسلام، فإن تابعوا، وإلا واقعهم، فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرب ضياعهم، وديارهم».

فسار أبو بكر بهم سيراً رقيقاً، حتى نزل قريباً منهم، فخرج إليه منهم مئتا فارس، وهم مدججون بالسلاح، فسألوهم: من أين أقبلوا؟ وإلى أين يريدون؟ ثم طلبوا مقابلة صاحبهم.

فخرج إليهم أبو بكر، فسألوه، فأخبرهم بما جاء له.

فقالوا: أما واللات والعزى، لولا رحم ماسة، وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم، فارجع أنت ومن معك، وارتجوا العافية، فإنما نريد صاحبكم بعينه، وأخاه علي بن أبي طالب. فقال أبو بكر لأصحابه: يا قوم، القوم أكثر منكم أضعافاً، وأعدّ منكم، وقد نأت داركم عن إخوانكم من المسلمين، فارجعوا نُعلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحال القوم.

فقالوا جميعاً: خالفت يا أبا بكر رسول الله، وما أمرك به، فاتق الله وواقع القوم، ولا تخالف قول رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال: إني أعلم ما لا تعلمون. الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

ورجعوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأعلن على المنبر: أن أبا بكر قد عصى أمره، وأنه لما سمع كلامهم: «انتفخ صدره، ودخله الرعب منهم» ثم قال «صلى الله عليه وآله»:

«وإن جبرئيل «عليه السلام» أمرني عن الله: أن أبعث إليهم عمر مكانه في أصحابه، في أربعة آلاف فارس، فسر يا عمر على اسم الله، ولا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك، فإنه عصى الله وعصاني».

وأمره بما أمر به أبا بكر.

فسار بهم يقتصد بهم في سيرهم، حتى نزل قريباً من القوم، وخرج إليه
مئتا رجل، وقالوا له ولأصحابه مثل مقاتلتهم لأبي بكر.
فانصرف، وانصرف الناس معه، وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة
القوم وجمعهم، ورجع يهرب منهم.

فنزل جبرئيل «عليه السلام» وأخبر محمداً بما صنع عمر..
فصعد «صلى الله عليه وآله»، وأخبرهم بما صنع عمر، وأنه خالف أمره
وعصاه..

فلما قدم عمر قال «صلى الله عليه وآله»: «يا عمر، عصيت الله في عرشه،
وعصيتني، وخالفت قولي، وعملت برأيك، ألا قبح الله رأيك».
ثم ذكر: أن جبرئيل «عليه السلام» أمره أن يرسل علياً «عليه السلام»
مع الأربعة آلاف، وأن الله يفتح عليه وعلى أصحابه، ثم دعاه وأخبره
بذلك..

فخرج علي «عليه السلام» فسار بأصحابه سيراً غير سير أبي بكر
وعمر، فقد أعنف بهم في السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وتحفى
دوابهم، فقال لهم: لا تخافوا، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمرني
بأمر، وأخبرني: أن الله سيفتح عليّ، وعليكم، فأبشروا، فإنكم على خير،
وإلى خير.

فطابت نفوسهم وقلوبهم، وواصلوا سيرهم التَّعب، حتى نزلوا
بالقرب منهم..

فخرج إليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم علي «عليه

السلام» خرج إليهم في نفر من أصحابه، فقالوا لهم: من أنتم؟ ومن أين أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟

قال: أنا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخوه ورسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ولكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم من خير وشر.

فقالوا له: إياك أردنا، وأنت طلبتنا، قد سمعنا مقالتك، فاستعد للحرب العوان، واعلم أننا قاتلوك وقاتلوا أصحابك، والموعد فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينك.

فقال لهم علي «عليه السلام»: ويلكم تهددونني بكثرتكم وجمعكم؟! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فانصرفوا إلى مراكزهم، وانصرف علي «عليه السلام» إلى مركزه. فلما جنة الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم، ويقضموها، ويسرجوا. فلما انشق عمود الصبح صلى بالناس بغلس، ثم غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطئتهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرّب ديارهم، وأقبل بالأسارى والأموال معه.

ونزل جبرئيل فأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما فتح الله على علي «عليه السلام» وجماعة المسلمين، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين، وأعلمهم أنه لم يصب منهم إلا رجلاً. ونزل فخرج يستقبل علياً «عليه السلام» في جميع أهل المدينة من

المسلمين حتى لقيه على أميال من المدينة.
فلما رآه علي مقبلاً نزل عن دابته، ونزل النبي «صلى الله عليه وآله»
حتى التزمه، وقبل ما بين عينيه.
فنزل جماعة المسلمين إلى علي «عليه السلام» حيث نزل رسول الله،
وأقبل بالغنيمة والأسارى، وما رزقهم الله من أهل وادي اليابس.
ثم قال جعفر بن محمد «عليهما السلام»: ما غنم المسلمون مثلها قط إلا
أن تكون خبيراً، فإنها مثل خبير.
فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً..} إلى آخر
الرواية^(١).

ونقول:

إن لنا هنا وقفات نجملها على النحو التالي:

وادي اليابس:

إن كانت غزوة وادي اليابس هي نفس غزوة ذات السلاسل، كما يفهم
من تطابق أحداثهما، فتكون وادي اليابس وراء وادي القرى، التي كانت من
أرض الشام، وليست من أرض المدينة، كما يظهر من كلام السمهودي^(٢).

(١) البحار ج ٢١ ص ٦٧ - ٧٣ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٤ - ٤٣٨ وتفسير فرات
ص ٥٩٩ - ٦٠٢ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٤٩٥ - ٤٩٧ ونور الثقلين ج ٥
ص ٦٥٢ - ٦٥٥ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦١ - ٣٦٥ وتأويل الآيات
ص ٨٤٤ - ٨٤٨.

(٢) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٣٢٩ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٠.

ويظهر من كلامه أيضاً: أن دومة الجندل بوادي القرى، وهي تبعد عن المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة^(١).

لماذا يعادون علياً × ؟!

إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جاء بما أغاظهم، من حيث أن فيه نقضاً لما هم عليه من دين الآباء والأجداد، فلماذا هذا الحقد على علي «عليه السلام»؟! أليس من أجل أنهم رأوا نكايته في أعداء الله، وشدته في دين الله، ونصرته المؤثرة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! حتى لقد هزم الشرك في بلاد العرب، وأذل عزه، وأبار كيده، وتبر ما علاه، وحطم وهدم ما بناه..

أربعة آلاف:

قد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بعث أربعة آلاف فارس مع أبي بكر، ثم مع عمر بن الخطاب.

فقد يقال: إن ذلك موضع ريب، لأن المسلمين كانوا من القلة بحيث لا يمكن أن يجهزوا هذا العدد الكبير.. وإنما كانت خير قبل ذلك بسنة، ولم

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ عن ابن سعد، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٧٧ وسيرة مغلطاي ص ٥٤ ونهاية الإرب ج ١٧ ص ١٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٠٨ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣ والتنبيه والإشراف ص ٢١٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٢٦٦. ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٣٢٨ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٩٤ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٤.

..... : :
يجهز لها النبي «صلى الله عليه وآله» سوى ألف وخمسة مئة مقاتل..
ويجاب: بأن المسلمين قد كثروا بعد خيبر بصورة ظاهرة، مكنت النبي
«صلى الله عليه وآله» من إرسال ثلاثة آلاف مقاتل إلى مؤتة، وإنما كانت
ذات السلاسل بعدها بأكثر من سنة..

وربما يكون «صلى الله عليه وآله» قد استنفر العرب لحربهم - كما تقدم
في بعض النصوص - فاستجابوا له لأكثر من سبب يقنعهم بأن من
مصلحتهم مجارة النبي «صلى الله عليه وآله» في ما يريد.. خصوصاً بعد
سقوط خيبر، وبعد الحديبية، وعمرة القضاء، وغزوة مؤتة.

تخريب الضياع والديار:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر أبا بكر بتخريب
الضياع والديار..

وهذا يتنافى مع سياسته «صلى الله عليه وآله»، ومع وصاياه لبعوثه، وما
أكثرها.. وقد تقدمت وصيته للجيش الذي أرسله إلى مؤتة، وفيها: «ولا
تقربن نخلاً، ولا تقطعن شجراً، ولا تهدمن بيتاً»^(١).

لماذا هذا السير الرفيق؟!

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن أبا بكر قد سار بأصحابه سيراً رفيقاً.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٦٩ والبحار ج ٢١ ص ٦٠ عن المعتزلي، وسبل
الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٤٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٥٨ وراجع: السيرة
الحلبية ج ٣ ص ٦٦.

وهذا يعطيهم نفحة راحة تشعرهم بحب الدنيا، والرغبة بتجنب ضرب
السيوف، وملاقات الحتوف، وعزوف أنفسهم عن تحمل المشاق والمتاعب.
وسيصبح من الصعب عليهم الانتقال المفاجئ من هذا النعيم والهناء،
إلى مواجهة الأخطار والبلاء، والشقاء والعناء.

الإحسان إلى دوابهم:

وذكرت الرواية: أن علياً «عليه السلام» قد أمر أصحابه في الليلة التي
شن الغارة على أعدائه في صبيحتها: أن يحسنوا إلى دوابهم.. وذلك بإنزال
أحمالها عنها، وتقديم الماء والعلف لها. وجعلها في مكان مريح، وإبعاد جلها
عنها، ونحو ذلك.
وهذا يجعلها أكثر حيوية وفاعلية في موقع النزال، فلا يئتابها التعب
بسرعة، ولا يعرضها لحمل أكثر مما تطيق..

على نفسها جنت براقش:

وبعد أن أعلن الأعداء الحرب على أمير المؤمنين «عليه السلام» ومن
معه، وقالوا: إنهم قاتلوه ومن معه.. أصبح من المحتم عليهم أن يتوقعوا
من الطرف الآخر أن يهتبل أية فرصة لإيراد ضربته القاصمة بهم. وربما
يواجههم بكثير من الأمور الخادعة، والضربات الموجهة..
ولا يلام علي «عليه السلام» في الإغارة عليهم في أية ساعة غفلة
يرصدها فيهم، بل ذلك هو غاية الحزم، والتدبير الذكي، الذي يستحق
عليه الشناء والتقدير، لأنه يحفظ بذلك أهل الإيمان، ويوقع بأهل البغي
والطغيان، ويبطل كيدهم، ويخلص الناس من شرهم..

السرعة.. والمفاجأة:

ويلاحظ هنا: سرعة حسم علي «عليه السلام» لأمر الحرب لصالح أهل الإسلام، وقد ألحق بأعدائه أفدح الخسائر، من دون أن تلحق بأهل الإيمان خسائر تذكر، حيث لم يصب منهم إلا رجلا..

أبو بكر يخوف أصحابه:

وإذا عدنا بالحديث إلى أبي بكر، فلا بد أن يستوقفنا تخويفه لأصحابه بكثرة عدد وبحسن عدة أعدائهم؟!..

ألم يكن يعلم: أنه لم يكن لهم في كل حروبهم السابقة - رغم كثرتها - أية فرصة للتكافؤ مع أعدائهم في العدد والعدة؟! بل كانت كلها أبعد عن هذا الأمر، مما هي عليه في هذه السرية؟

فقد كان الجيش الذي يقوده أبو بكر أكبر جيش جهزه رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى ذلك الوقت، حيث بلغ أربعة آلاف مقاتل حسبما ذكرته الرواية المشار إليها.

فلماذا يثير أمامهم حتى مجرد احتمال الحاجة إلى المدد والعون؟! وهل حدث في أي من الحروب الكثيرة والخطيرة السابقة، أن أمدوا أي سرية وجيش بهال، أو رجال؟!..

لا نريد إلا محمداً وعلياً!!

والغريب في الأمر: أن يعلن هؤلاء الناس لأبي بكر: أنهم لا يريدون إلا شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونفس علي «عليه السلام». ثم

يرضى أبو بكر بالرجوع عنهم، ولا تثور حفيظته، ولا يزيد تصميمه على حربهم وقتالهم، بل ظنهم أن يُسَلَّم أصحاب محمد محمداً «صلى الله عليه وآله» لأعدائه ليقتلوه. إن لم نقل: إنه قد صدق ظنهم فعلاً.

وبذلك يكون قد أظهر للناس: أن المسلمين لا يدافعون عن دينهم ونبیهم، وإنما كل همهم هو حفظ أنفسهم، حين يجدون أنهم هم المستهدفون بالحرب.. فلو حادت الأمور عنهم، فربما لا يدخلون في الحرب بجذ وحماس كهذا الذي يعاينه الناس منهم..

بل إذا كان هذان الشخصان، وهما النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» يشكلان مشكلة حقيقية لأتباعهما، فقد يفكر هؤلاء الأتباع بحلول وسط، تزيل أية مشكلة بينهم وبين الناس، وقد يفكرون بالتخلي عن محمد وعلي صلوات الله وسلامه عليهما في يوم من الأيام.

ولا ندري إن كان أبو بكر قد فكر بالسبب الذي دعا هؤلاء الأعداء، للحرص على قتل النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»، مع أنه ربما لا يكون فيما بينهما وبينهم أية مشكلة، إذ لم يكن لهم عندهم ما يعتبره أهل الجاهلية ثارات ولا غير ذلك..

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» هو صاحب الدعوة، وكانت هي ذنبه الأكبر عند أهل الشرك. فلماذا الحقد على علي «عليه السلام»؟! الذي هو تابع لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، كسائر الصحابة الذين كانوا معه..

الشاهد يرى ما لا يرى الغائب:

وأغرب ما سمعناه هنا: أن يقول أبو بكر لأصحابه: «الشاهد يرى ما

لا يرى الغائب»، فأى شيء رآه أبو بكر لم يره أصحابه الذين كانوا معه؟!.. وهل كانت هناك أمور غائبة حقاً؟! أم أن كل شيء كان واضحاً، ومكشوفاً للناس كلهم؟!

وما الذي علمه أبو بكر، وجهله غيره، ليصح له القول: «إني أعلم ما لا تعلمون»؟!

وليس لنا أن نؤيد احتمال أن تكون هناك اتصالات، أو اتفاقات سرية بين أبي بكر هو وبين أهل وادي اليابس.. لم يعلم ولم يشارك بها سواه، وغاب عنها جميع من كانوا معه.

وذلك لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أزال هذا الاحتمال حين رجع أبو بكر، فصعد «صلى الله عليه وآله» المنبر، وخطب الناس، وأخبرهم بأن سبب هزيمة أبي بكر هو الخوف والجبن، فقد قال في خطبته: «فلما سمع كلامهم، وما استقبلوه به انتفخ صدره، ودخله الرعب منهم، وترك قولي، ولم يطع أمري».

ومهما يكن من أمر، فإن إحالة أبي بكر الأمر على مجهول دليل على أنه لم يكن قادراً على التبرير المقنع والمعقول.

فارجعوا نعلم رسول الله :

والذي زاد الأمر تعقيداً: أن أبا بكر لم يجد بين أربعة آلاف رجل حتى رجلاً واحداً يوافقه على ما يريد..

بل أعلنوا جميعاً: أن قراره هذا يخالف أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن عليه أن يتقي الله، ولا يصبر على رأيه. فإن أمر رسول الله «صلى

.....
الله عليه وآله» كان محمداً وواضحاً.

والأهم من ذلك: أن ما زعم أنه يريد أن يخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كان نفس الرسول «صلى الله عليه وآله» قد أخبره به علناً، وفي خطبة عامة على المنبر في المسجد، وقد سمعها الجميع، فذكر لهم «صلى الله عليه وآله» عدد الأعداء الذين يرسلهم إليهم، وبما تعاقدوا عليه بصورة تفصيلية..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد أزاح احتمال أن يكون قد عرف ذلك من حملة الأخبار ومن الأرصاد، الذين قد يهمون، ويخطئون، وقد يكذبون أيضاً - فأخبرهم «صلى الله عليه وآله» بأن جبرئيل «عليه السلام» هو الذي أخبره.

بل إنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم بأن جبرئيل أيضاً هو الذي أمره بإرسال أبي بكر في أربعة آلاف..

وذلك يعني: أن أبا بكر قد تمرد على الأمر الإلهي، ولذلك استحق أن يخطب النبي «صلى الله عليه وآله» الناس، ويخبرهم بمخالفة أبي بكر لأمر الله تعالى.

وملاحظة أخيرة وهامة نذكرها هنا، وهي: أنه إذا كان جبرئيل هو الذي نقل الأمر الإلهي بإرسال أبي بكر، فذلك يعني أن الله سبحانه هو الذي يريد أن يرى الناس هزيمة أبي بكر، وجبنه، ومخالفته لأمر الله تعالى، وأمر رسوله.. لأن الله يعلم بما سيكون من أبي بكر..

فهل المقصود هو تعريف الناس بأن أبا بكر ليس أهلاً، لما يسعى للحصول عليه؟ أم أن ثمة سراً آخر؟!

عمر أخو أبي بكر، وعلي × أخو النبي :

وقد ورد في كلام رسول الله قوله لعمر: «ولا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك».

ولكنه وصف علياً «عليه السلام» على المنبر أيضاً في الخطبة الأولى بأنه أخوه، فقال: «حتى يقتلوني، وأخي علي بن أبي طالب».

كما أن علياً «عليه السلام» قد وصف نفسه لأهل وادي الياض بقوله: «ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخوه». وأهل الوادي أيضاً وصفوه بالأخوة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» كما ظهر من قولهم لأبي بكر..

وقد عمل كل واحد من الأخوين ما يناسب عمل أخيه، وأخلاقه، وحالاته..

فالرسول «صلى الله عليه وآله» المطيع لله سبحانه وتعالى في كل شيء كان له أخ مثله في ذلك..

وأبو بكر الذي عصى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رغم التنبيه والتحذير، له أخ مثله في ذلك أيضاً.

واللافت: أن عمر قد سار في أصحابه سيراً رفيقاً، كما سار بهم أبو بكر، ثم هرب من الأعداء كما هرب، وعاش الرعب والخوف كما عاش.

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين حذره من أن يعمل مثل عمل أخيه، كأنه أشار إلى أن أخوته له هي التي تثير هذا التوقع منه، وهذا يدل على أن هذه الأخوة قد جاءت على أساس ملاحظة قواسم مشتركة بين الرجلين، ينشأ عنها توافق في السلوك وفي المواقف..

ذنب عمر أعظم:

وقد اظهرت كلمات النبي «صلى الله عليه وآله» التي واجه بها عمر بن الخطاب أن الذنب الذي ارتكبه عمر كان أعظم عند الله من ذنب أبي بكر.. وذلك للأسباب التالية:

١ - إنه قد جاء بعد التنبيه والتأكيد.

٢ - إنه بعد ظهور كونه معصية لله سبحانه، ولرسوله.

٣ - وبعد التنديد العلني بهذا العمل الشنيع..

فلا مجال بعد هذا كله لتوهم أن شيئاً ما قد خفي على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه يريد أن يعلمه به، ولا مجال أيضاً لاحتمال أن تكون بعض الأمور التي أخبر عنها قد جاءت على سبيل الحدس والتخمين.. ولا مجال أخيراً لاحتمال أن تأتي الأحكام مختلفة ومتفاوتة من واقعة لأخرى، أو من حال إلى حال..

الفتح على يد علي × :

وقد أخبر جبرئيل: أن الله تعالى يفتح على علي «عليه السلام» وعلى أصحابه.. مبيناً بكل هذه الأحداث المتتابعة: أن هناك سياسية إلهية لتعريف الناس بأن الله سبحانه وتعالى يرعى مسيرة هذه الرسالة، ويواكب تحركات من يدبرون في الخفاء للعبث بالتدبير الإلهي، وسوق الأمور باتجاه آخر، يخدم مصالحهم، ويحقق طموحاتهم..

ولأجل ذلك اختار الله أبا بكر أولاً، ثم اختار عمر ثانياً ليظهر للملأ أنها ليسا في الموقع الذي يضعان نفسيهما فيه، ولم يكونا مؤهلين لما يطمحان

للاستئثار به، وسلبه من صاحبه الشرعي..

ثم اختار علياً «عليه السلام» ثالثاً. مع التصريح بان الفتح سيكون على يديه، ليعلمهم: أن الله مطلع على دخائل نفوسهم، والله قد اختاره لعلمه بأنه هو الذي يوصل السفينة إلى شاطئ السلام.

الفتح لعلي × وأصحابه:

وقد وجدنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اكتفى بتبديل القائد، وأما الجيش نفسه، فأبقاه على ما هو عليه، ولم يستبدل منه حتى رجلاً واحداً، وقد كانت الهزيمة من نصيب هذا الجيش مرتين متواليين، مع نفس العدو ومع تقارب الزمان وفي نفس المكان، وفي نفس الظروف، وب نفس الأسلوب، وبعين الكلمات التي استخدمت، ونفس الخطاب والجواب..

وكان النصر حليفاً لهذا الجيش نفسه، مع ذلك العدو بالذات، وفي نفس الحالات، وفي الزمان والمكان عينه، رغم أن القائدين الأولين قد سارا بهذا الجيش سيراً رقيقاً، أو مقتصداً يجيبهم بقائدهم. أما الأمير الثالث، فقد بهم في السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وأن تحفى دوابهم.. ولا بد أن يثقل أمر هذا القائد عليهم، وتتجافى عنه قلوبهم، ولا يندفعون في محبته، وفي طاعته بالمقدار الذي يحظى به اللذان سبقاه..

ولكن النتائج جاءت معاكسة تماماً، فقد تحقق النصر، وكان الفتح والعز والكرامة نصيبهم معه، وكانت الهزيمة والمذلة، والمعصية لله في عرشه ولرسوله مع ذينك الأولين.

وهذا مثل للبشر جميعاً، يحمل لهم العبرة، والعظة، ويدعوهم للتأمل

العميق، والفكر الدقيق، حملته لنا كلمته «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» عن جبرئيل: «فأخبرني: أن الله يفتح عليه، وعلى أصحابه»..
فقد نسب الفتح إلى الله، الذي حبا به علياً «عليه السلام» وأصحابه معاً، مع أن الإنسان العادي قد يتوقع تخصيص الفتح بعلي دون أصحابه، الذين هزموا مع القائدين اللذين سبقاه..

ولكن الله ورسوله يريدان لنا أن ندرك حقيقة أن القيادة الصالحة، هي التي تعطي المواقف، وتغير من أحوال الرعية، وتؤثر في توجهاتها ومواقفها، وتعطيها صلابة في الدين، وورعاً في يقين، وتحملها على الصراط المستقيم، ولو لم تصدر لها أمراً، أو تفرض عليها قراراً، أو تبتز منها موقفاً. وهي التي تثير حميتها وإبائها، وتمنحها نفحة الشجاعة والإقدام، أو التخاذل والإحجام..

وقد ظهر ذلك في هذه الغزوة بصورة جلية وواضحة، فقد ساقهم موقف أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى مواقع العزة والكرامة والإباء، وأعطاهم نفحة من نفحات الشجاعة، والشعور بالكرامة. ففتح الله عليه وعليهم، وفق ما قاله الرسول الأكرم والأعظم «صلى الله عليه وآله» له ولهم.

تطمينات علي × لأصحابه:

وحين سار علي «عليه السلام» بأصحابه ذلك السير الحثيث الذي أتعبهم، فإنه يكون قد أفهمهم بذلك بأن ثمة جدية حقيقية في إنجاز أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أحسن وجه وأتمه.

ولعلمهم أصبحوا يتخوفون من أن يكون للتعب الذي لحقهم في

..... : :
مسيرهم هذا دوراً في خسارتهم الحرب التي يترقبونها.. فأراد «عليه السلام» أن يطمئنهم، ولكن لا بالوعود المادية ولا بالخطب الحماسية، بل بإعطائهم جرعة إيمانية روحية تتولى هي شحذ عزائمهم، وتقوية ضعفهم، وتعطيهم المزيد من الرضا والسعادة والبهجة، وذلك بالاعتماد على الغيب الذي يربطهم بالله سبحانه، ورسوله.

فذكر لهم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصيغة الإخبار من النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» لهم بالفتح العظيم.
والخبر من النبي «صلى الله عليه وآله» معناه: أن الله سبحانه هو الذي عرف رسوله به، وأطلعته على غيبه.. فليس الأمر مجرد تفاؤل، ولا هو كلام لمجرد التشجيع، وإثارة الحماس..

ولذلك يصرح النص المتقدم: بأن نفوسهم قد طابت وقلوبهم قد اطمأنت، وواصلوا سيرهم الشاق، وزالت عنهم الوسواس والمخاوف..

علي × أخو النبي ورسوله إليكم:

ولم نعهد في الذين آخى النبي «صلى الله عليه وآله» بينهم أن يذكروا هذه الأخوة في مواقع إبلاغ رسائل الحرب والقتال، لاسيما وأنها أخوة أنشأها وجعلها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليست أخوة نسب.. ولكن علماً «عليه السلام» قد فعل ذلك، وأبلغ هذا العدو المحارب بهذه الحقيقة، حين قال لهم: إنه أخو النبي «صلى الله عليه وآله»، ورسوله إليهم.
ولعله أراد أن يفهمهم أن موقفه منهم يحدده موقفهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأنه لا مجال للفصل في حسابات الربح والخسارة

بين علي كشخص، وبين علي الشريك مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الأخوة، وفي العمل على حفظ الرسالة، من خلال حفظ الرسول، فإن ذلك هو الذي يوصل إلى حفظ هذا الدين والذود عن حياضه.

علي × لا يحتكر النصر:

ورغم أن علياً «عليه السلام» قد حقق المعجزات في تاريخه الجهادي الطويل، ولاسيما حين قلع باب خيبر، وجعله ترساً يدفع به ضرب السيوف، وطعن الرماح، ثم حمله جاعلاً منه معبراً للجيش، بالإضافة إلى أعظم الإنجازات القتالية في بدر، وأُحد، والأحزاب، وقريظة، والنضير، وما إلى ذلك..

ولكنه لا يتهدد الأعداء بقوته، ولا يذكر لهم مواقفه هذه، بل هو يكتفي باستنكار تهديد الأعداء له، ثم هو يستعين بالله، وبالملائكة، وبالمسلمين عليهم، ويخبرهم أن كل حول وقوة لديه إنما هو من الله، وبه سبحانه وتعالى..

وهذا يعطي المسلمين نفحة روحية، ويذكرهم بنصر الله لهم في بدر، حين أمدهم بالملائكة في سائر المواطن. ولا بد أن يحدث هذا التذكير بليلة حقيقية في قلوب الكافرين، وطمأنينة وسكينة في قلوب المؤمنين، لأن له سابقة أثبتت صحة هذا المنطق وقوته، وظهرت نتائجه نصراً مؤزراً في حروب صعبة وهائلة، لا بد أن تبقى الأجيال تتمثله كحدث تاريخي فريد، وكيوم من أيام الإسلام مجيد..

ولا بد أن يترك إشراك علي «عليه السلام» للمسلمين في هذا العمل

..... : :
الجهادي أثراً طيباً في نفوسهم.. لأن الذي يعطيهم هذا الوسام هو نفس علي الذي لا يرتاب أحد في مقامه الجهادي والإيماني العظيم، ولا يشك أحد في صدقه، وفي تجربته، وفي خبرته بالحرب، ولشهادته هذه قيمة كبيرة لديهم، ولا بد أن يهتم كل أحد في أن يحصل على أدنى لفظة من علي، أعظم مجاهد على وجه الأرض، فكيف بما هو أكثر من ذلك..

يضاف إلى ذلك: أن هذا المنطق العلوي، الذي أوضح: أن الله وملائكته سوف يساهمون في تسجيل هذا النصر، لا بد أن يصعب على المتخاذلين، وعلى غيرهم اتخاذ قرار الانسحاب من المعركة، وسيفرض على الجميع بذل جهد، ودرجة تحملٍ وصبرٍ أعلى وأكبر مما اعتادوا عليه في الحالات الأخرى..

هل خرب علي × ديارهم؟!

وأما ما ذكرته الرواية: من أن علياً «عليه السلام» قد خرب ديار الأعداء.. فلا بد من التروي في قبوله.. إذ قد يقال: إن أوامره «صلى الله عليه وآله» بعدم التعرض للديار والأشجار، حسبما تقدم في غزوة مؤتة لا يتلاءم مع هذا الذي ورد في هذه الرواية.. إلا إذا فرضت الحرب نفسها إجراءات تؤدي إلى شيء من ذلك، من حيث توقف تحقيق النصر، على ذلك.. وكذا إذا احتاج حفظ أرواح المسلمين، أو احتاج المسلمون أنفسهم إلى قطع السبيل على أعدائهم ومنعهم من تجديد القوى، ومعاودة الفساد والإفساد، وخلق المتاعب والعبث بأمن أهل الإسلام..

أصول الحرب في سورة العاديات:

وقد ذكرت الروايات المختلفة، وهذه الرواية أيضاً: أن سورة العاديات قد نزلت في هذه الغزوة - غزوة ذات السلاسل - أو وادي اليبس - .
والذي يُلاحظ سير الأحداث فيها، ويُلاحظ أيضاً ما حكته سورة «والعاديات» نفسها، سيجد: أن هذه السورة قد تضمنت أصول الحرب كلها.. وأن علياً «عليه السلام» قد راعاها في هذه الغزوة بالذات..

ونحن نشير إلى ذلك باختصار فيما يلي:

١ - إنه حين يقسم الله سبحانه بأمر بعينه، فذلك يعني أن لهذا الأمر أهمية كبيرة، وأنه محبوب ومطلوب له تعالى، لأن له موقعاً كبيراً وأساسياً في المنظومة التي يريد الله سبحانه لها أن تؤثر في إنجاز الأهداف الإلهية الكبرى في إيصال الإنسان، وما في هذا الكون إلى كماله..

٢ - وحين أقسم الله تبارك وتعالى بالعاديات، وبالموريات، الخ.. فإنه لم يخرج عن هذه القاعدة؛ فالخيل التي تعدو في سبيل الله، وتسرع في هذا العدو إلى الحد الذي تضبح معه بأنفاسها، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾^(١). فإنها تكون قد بلغت أقصى مدى في سرعة الحركة، التي لها دور هام وحاسم في الحرب.

وقد فسر الضبح: بأنه «صوت أنفاس الفرس، تشبيهاً بالضباح، وهو صوت الثعلب.

وقيل: هو حفيف العدو، وقد يقال ذلك: للعدو.

(١) الآية ١ من سورة العاديات.

..... : :
وقيل: الضبج كالضبع، وهو مد الضبع في العدو الخ..^(١). أي حتى لا
يجد مزيداً^(٢).

والمراد بالضبع هنا: وسط العضد بلحمه، أو العضد كله، أو الإبط^(٣).
وقيل: الضبج: صوت أجواف الخيل إذا عدت، ليس بصهيل ولا
حممة^(٤).

٣- إن عدو الخيل هذا يشير إلى أنها دائمة الانتقال من مكان إلى مكان،
وأنة انتقال سريع، وهذا من شأنه أن يحرم العدو من فرصة رصدها في
مكان بعينه، وأن يفقده القدرة على التخطيط لأي عمل يمثل لها خطراً، أو
يلحق بها ضرراً..

٤- إن شدة اندفاع الخيل في هجمتها تحتم على ذلك العدو أن يتراجع
عن موقعه، وأن يتخلى عن حالة الثبات والطمأنينة، دون أن يملك قدرة
العودة إلى ذلك الموقع، وهذه حركة لا يختارها المحارب، الذي يملك زمام
المبادرة، ويكون له الاختيار.

(١) المفردات للراغب ص ٢٩٢.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٦٦ عن مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٨ و ٥٢٩ و (ط مؤسسة
الأعلمي) ص ٤٢١ و ٤٢٢.

(٣) راجع أقرب الموارد، مادة: ضبع وراجع: بدائع الصنائع ج ١ ص ٢١٠ وكتاب
العين ج ١ ص ٢٨٤ ولسان العرب ج ٨ ص ٢١٦.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٦٦ عن مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٨ و ٥٢٩ و (ط مؤسسة
الأعلمي) ص ٤٢١ و ٤٢٢ وكتاب العين للفراهيدي ج ٣ ص ١١٠ ولسان العرب
ج ٢ ص ٥٤٣ والقاموس المحيط ج ١ ص ٢٢٦ وتاج العروس ج ٢ ص ١٨٦.

فحالة الضعف والوهن التي ظهرت لديه هي التي فرضت عليه هذه الحركة التخاذلية.

٥ - إنه إذا صاحب هذا الاندفاع القوي للخييل كفيات وحالات خاصة، مثل الأصوات أو الهينات المخيفة، ومنها صوت ضبح الخيل الذي يدعوهم لتصوير حجم اندفاع عدوهم نحوهم، ثم صاحب ذلك لمعات نارية خاطفة وكثيرة، حين تقدح الخيل الشرر بحوافرها، فسوف يتشارك لدى ذلك العدو السمع والبصر في رسم صورة الخطر الداهم، وما يحمله من عنف، يززع ثباته، ويهزمه في عمق وجوده.

بل قد يوجب قدح النار تحت حوافر الخيل نشوء حالة تضليلية، من خلال تلهي أفراد العدو بالنظر إليها، وإثارة التكهنات حولها، فتتهدأ الفرصة لمفاجأتهم بالقتال المرير، والضاري.

هذا كله، عدا عن أن قدح النار من حوافر الخيل، من شأنه أن يبهج روح فرسانها ويقوي من اندفاعهم، ما دام أنه ناتج عن حركتهم وفعلهم.

٦ - ويأتي بعد ذلك كله عنصر المفاجأة بالقتال، بشتى أنواعه، التي يحتاج العدو في تحرزه منها إلى حركات متفاوتة في مداها وفي اتجاهاتها، شريطة أن تكون بالغة السرعة، وقوية التأثير..

ولن يكون الانتقال إلى هذه الحركات سهلاً وميسوراً، إلا لأقل القليل من الناس.

فكيف إذا كان هؤلاء المقاتلين في صفوف العدو، لا يقومون بعمل قد اختاروه لأنفسهم، بل تكون حركتهم مجرد رد فعل، يفقدون معه أي خيار، أو اختيار لموقع القتال ولأسلوبه، فضلاً عن عجزهم عن استهداف أي نقطة

..... : :
بالتقال، فضلاً عن الضعف الذي سوف يعتري طبيعة حركاتهم القتالية
نفسها..

والخلاصة: أن هذه المفاجأة بالقتال لابد أن تربكهم، وتمنعهم من
التأمل ومن التدبر والتدبير، وتدارك خطة مدروسة لمواجهة الموقف.

٧- إن للتوقيت وتحديد ساعة الصفر أهمية بالغة في النجاح في الحرب،
فإن المفاجأة إذا كانت في وقت الصبح على قاعدة: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾^(١)،
فلا بد أن تكون فرص النجاح أكبر وأوفر، لأن الفريق الذي لم يكلف
بمهمات قتالية، ولو بمثل الرصد والحراسة، يميل في هذه الساعة إلى أن
يخلد للراحة، ظناً منه أن غيره يشاركه في هذا الميل، فينسجم ظنه هذا مع
رغبته تلك، ويستسلم من ثم لأحلامه اللذيذة، وتأخذه سنة الكرى، وهو
أكثر طمأنينة، وأبعد عن التفكير فيما يزعج ويشير.

وأما المكلف بالرصد أو بالحراسة، فإنه إذا كان قد سهر الليل، حتى
بلغ ساعات الصباح الأولى، فلا بد أن يتنفس هذا الساهر المرهق في هذا
الوقت الصعداء، ويحسب أنه قد أنهى مهمته، وأن عليه أن يستريح،
ويعوض جسده عن هذا السهر الطويل، بالنوم المستغرق والعميق..

وهذا كله يجعل المفاجأة لهؤلاء وأولئك كبيرة وخطيرة؛ حيث يكون
الراصد والحارس في أقصى حالات الإرهاق، ويكون غيره من الناس
مستغرقاً في أحلامه، ولن يكون قادراً على الانتقال من حالة الإسترخاء
الشديد بأقصى درجاته إلى حالة الإستنفار، بل إلى الدخول في أعنف

(١) الآية ٣ من سورة العاديات.

حالات الحركات القتالية، التي لا يقتصر الأمر فيها على أن يفكر في الأسلوب وفي الطريقة القتالية التي يختارها وحسب. بل عليه أن يفكر في اكتشاف الحركة القتالية للعدو أولاً، ثم يعود إلى نفسه ليفكر فيما يمتلكه من وسائل دفعها، وفي كيفية استعمال تلك الوسائل بما يناسب حركة العدو هذه..

وفي سياق آخر نقول:

إن المغير يعرف هدفه، وقد حدده ورسم خطة للتعامل معه، وهو ينفذ ما رسم.

أما الذين يغير غيرهم عليهم، فلا يعرفون شيئاً عن مواقع المهاجمين أو عن خططهم، أو حالاتهم، وليس لديهم أية وسيلة لكشف ذلك فيهم، لأن العين وهي حاسة الرؤية تكون معطلة بسبب الظلمة، والنور الضئيل الذي ربما يكون قد بدأ ينتشر إنما هو في مستوى محدود، ولا يغير من الواقع شيئاً..

بل إنه حتى في حالات الحرب في العصور الحديثة، فمن جهة تكون أجهزة الرصد غير ذات أثر، فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وكذلك بعد غياب الشمس إلى مضي حوالي ساعة من أول الليل، ومن جهة تكون العين المجردة محجوبة بالظلمة، أو تكون دائرة عملها محاصرة ومحدودة بمقدار النور الذي استطاع أن يقتحم جحافل الظلام، وأن يتسلل إلى ثنايا تراكماته المهيمنة..

٨ - وهنا يأتي دور النقع والغبار، الذي يثور في ساحة المعركة، بسبب سرعة حركة الخيل المغيرة، ليكون الساتر، والمانع من الاستفادة من كمية

النور الضئيلة، التي تسللت إلى الأفق فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

كما أن لهذا النقع دوراً في إرباك حركة العدو، وفي التأثير على مخيلته، ويهيء الفرصة لتوهم كفيات وصور قتالية ضخمة ومهولة، لا وجود لها في الواقع.

ومن شأن هذا أيضاً أن يزيد ذلك العدو ضعفاً ووهناً، ويؤكد هزيمته الروحية، وربما يكون سبباً في مبادرته إلى هدر طاقات، وبذل جهد في غير الاتجاه الصحيح.

٩- ثم يأتي دور تلك الخيل العادية في الالتفاف على العدو، ومحاصرته بسرعة حسبما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿فَوَسَّطْنَاهُ بِهٖ جَمْعًا﴾^(١)، حتى إذا رأى العدو أنه يواجه القتال في كل اتجاه، فإنه لابد أن يصاب بالإحباط، وباليأس من أن تتيح له المقاومة شيئاً ذا بال، وستأكد لديه القناعة بأنه لا فائدة من الاستمرار فيها، لأن حصادها لن يكون في هذه الحال سوى أن يصبح طعمة للسيوف، وأن يلاقي الختوف، وفي مثل هذه الحال سيرى: أن الاستسلام هو الأرجح والأصلح.

وقد أظهرت النصوص المنقولة، وكذلك نزول هذه السورة المباركة في هذه المناسبة: أن علياً «عليه السلام» قد طبق هذه الأمور كلها في غزوة ذات السلاسل. فصلوات الله وسلامه على علي، سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم.

(١) الآية ٥ من سورة العاديات.

سرية علي × إلى بني خثعم:

عن سلمان الفارسي رحمه الله قال: بينما أجمع ما كنا حول النبي «صلى الله عليه وآله» ما خلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» إذ أقبل أعرابي بدوي، فتخطى صفوف المهاجرين والأنصار حتى جثا بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسأله النبي عن نفسه، وما جاء به، فأخبره أنه رجل من بني لجيم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «ما وراك بما جاء لجيم»؟

قال: يا رسول الله خلفت خثعم، وقد تهيأوا وعبأوا كتائبهم، وخلفت الرايات تحف فوق رؤسهم، يقدمهم الحارث بن مكيدة الخثعمي في خمسمائة من رجال خثعم، يتألون باللآت والعزى أن لا يرجعوا حتى يردوا المدينة، فيقتلوك ومن معك يا رسول الله.

قال: فدمعت عينا النبي «صلى الله عليه وآله» حتى أبكى جميع أصحابه، ثم قال: «يا معشر الناس سمعتم مقالة الاعرابي»؟ قالوا: كل قد سمعنا يا رسول الله.

قال: «فمن منكم يخرج إلى هؤلاء القوم قبل أن يطؤنا في ديارنا وحريمننا، لعل الله يفتح على يديه، وأضمن له على الله الجنة؟» قال: فوالله ما قال أحد: أنا يا رسول الله.

قال: فقام النبي «صلى الله عليه وآله» على قدميه وهو يقول: «معاشر أصحابي هل سمعتم مقالة الأعرابي»؟ قالوا: كل قد سمعنا يا رسول الله.

قال: «فمن منكم يخرج إليهم قبل أن يطؤنا في ديارنا وحريمننا، لعل الله

..... : :
أن يفتح على يديه، وأضمن له على الله اثني عشر قصرًا في الجنة».

قال: فوالله ما قال أحد: أنا يا رسول.

قال: فبينما النبي «صلى الله عليه وآله» واقف إذ أقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فلما نظر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» واقفًا ودموعه تنحدر كأنها جمان انقطع سلكه على خديه لم يتمالك أن رمى بنفسه عن بغيره إلى الأرض، ثم أقبل يسعى نحو النبي «صلى الله عليه وآله» يمسح بردائه الدموع عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: ما الذي أبكاك؟ لا أبكى الله، عينيك يا حبيب الله! هل نزل في أمتك شيء من السماء؟

قال: «يا علي، ما نزل فيهم إلا خير، ولكن هذا الأعرابي حدثني عن رجال خثعم بأنهم قد عبأوا كتائبهم.

ثم ذكر له ما جرى، فطلب منه أن يصف له القصور، فوصفها له.

فقال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: فذاك أمي وأبي يا رسول الله، أنا لهم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «يا علي، هذا لك وأنت له، أنجد إلى القوم».

فجهزه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خمسين ومائة رجل من الأنصار والمهاجرين، فقام ابن عباس رضي الله عنه وقال: فذاك أبي وأمي يا رسول الله تجهز ابن عمي في خمسين ومائة رجل من العرب إلى خمسمائة رجل وفيهم الحارث بن مكيدة يعد بخسمائة فارس؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «امط عني يا ابن عباس، فوالذي

بعثني بالحق لو كانوا على عدد الثرى وعليّ وحده لأعطى الله عليهم النصر حتى يأتينا بسبيهم أجمعين».

فجهزه النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: «اذهب يا حبيبي، حفظ الله من تحتك، ومن فوقك، وعن يمينك، وعن شمالك، الله خليفتي عليك».

فسار علي «عليه السلام» بمن معه حتى نزلوا بواد خلف المدينة بثلاثة أميال يقال له: وادي ذي خشب، قال: فوردوا الوادي ليلاً، فضلوا الطريق، قال: فرفع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» رأسه إلى السماء وهو يقول: يا هادي كل ضال، ويا مفرج كل مغموم، لا تقو علينا ظالماً، ولا تظفر بنا عدونا، واعهدنا إلى سبيل الرشاد.

قال: فإذا الخيل يقدح بحوافرها من الحجارة النار، حتى عرفوا الطريق فسلكوه، فأنزل الله على نبيه محمد: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا..} {يَعْنِي الْخَيْلَ} {فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا} قال: قدحت الخيل بحوافرها من الحجارة النار {فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا} قال: صبحهم علي مع طلوع الفجر.

وكان لا يسبقه أحد إلى الأذان، فلما سمع المشركون الأذان قال بعضهم لبعض: ينبغي أن يكون راعي في رؤوس هذه الجبال يذكر الله.

فلما أن قال: أشهد أن محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال بعضهم لبعض: ينبغي أن يكون الراعي من أصحاب الساحر الكذاب.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لا يقاتل حتى تطلع الشمس، وتنزل ملائكة النهار.

قال: فلما أن دخل النهار، التفت أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى

صاحب راية النبي «صلى الله عليه وآله» فقال له: ارفعها.
فلما أن رفعها، ورآها المشركون عرفوها، وقال بعضهم لبعض: هذا
عدوكم الذي جئتم تطلبونه، هذا محمد وأصحابه.
قال: فخرج غلام من المشركين، من أشدهم بأساً، وأكفرهم كفراً، فنادى
أصحاب النبي: يا أصحاب الساحر الكذاب، أيكم محمد؟ فليبرز إليّ.
فخرج إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو يقول:
ثكلتك أمك أنت الساحر الكذاب، محمد جاء بالحق من عند الحق، قال له:
من أنت؟

قال: أنا علي بن أبي طالب، أخو رسول الله، وابن عمه، وزوج ابنته.

قال: لك هذه المنزلة من محمد؟

قال له علي: نعم.

قال: فأنت ومحمد شرع واحد، ما كنت أبالي لقيتك أو لقيت محمداً، ثم
شد علي علي وهو يقول:

لاقيت يا علي ضيغاً قرماً كريماً في الوغا معلماً
ليث شديد من رجال خثعماً ينصر ديناً معلماً ومحكماً
فأجابه علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو يقول:

لاقيت قرناً حدثاً وضيغاً^(١) ليثاً شديداً في الوغا غشمشاً
أنا علي سأبير خثعماً بكل خطي يري النقع دماً
وكل صارم يثبت الضرب فينعم^(٢)

(١) هذا الشعر ورد كذلك، ولا يخفى عدم استقامة الوزن في هذا الشطر.

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فاختلف بينهما ضربتان، فضربه
علي «عليه السلام» ضربة فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى أمير
المؤمنين «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فبرز أخ للمقتول، وحمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه أمير
المؤمنين «عليه السلام» ضربة، فقتله وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى
علي «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فبرز له الحارث بن مكيدة وكان صاحب الجمع، وهو يعد بخمسائة
فارس، وهو الذي أنزل الله فيه: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}، قال: كفور {وَإِنَّهُ
عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ} قال: شهيد عليه بالكفر {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} قال أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يعني باتباعه محمداً.

فلما برز الحارث، حمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه علي ضربة
فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار.

ثم نادى علي «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فبرز إليه ابن عمه يقال له: عمرو بن الفتاك، وهو يقول:

أنا عمرو وأبي الفتاك وبيدي نصل سيف هتاك

أقطع به الرأس لمن أرى كذاك

فأجابه أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو يقول:

هاكها مترعة دهاقا كأس دهاق مزجت زعاقا

إنني امرؤ إذا لاقا أقد الهام وأجد ساقا

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه علي «عليه السلام» ضربة فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى علي «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فلم يبرز إليه أحد، فشد أمير المؤمنين «عليه السلام» عليهم حتى توسط جمعهم، فذلك قول الله: {فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا}، فقتل علي «عليه السلام» مقاتليهم، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وأقبل بسيهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فبلغ ذلك النبي، فخرج وجميع أصحابه حتى استقبل علي «عليه السلام» على ثلاثة أميال من المدينة.

وأقبل النبي «صلى الله عليه وآله» يمسح الغبار عن وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بردائه، ويقبل بين عينيه ويبيكي، وهو يقول:

«الحمد لله يا علي الذي شد بك أزري، وقوى بك ظهري، يا علي، إنني سألت الله فيك كما سأل أخي موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه أن يشرك هارون في أمره، وقد سألت ربي أن يشد بك أزري» ثم التفت إلى أصحابه وهو يقول:

«معاشر أصحابي لا تلوموني في حب علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فإنما حبي علياً من أمر الله، والله أمرني أن أحب علياً وأدنيه، يا علي من أحبك فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب الله أحبه الله، وحقيق على الله أن يسكن محبيه الجنة، يا علي من أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أبغض الله أبغضه ولعنه، وحقيق على

الله أن يقفه يوم القيامة موقف البغضاء، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً»^(١).

ونقول:

إننا بغض النظر عن ركافة الرجز الذي ذكرته الرواية، وعدم استقامة أوزان عدد من فقراته نشير إلى ما يلي:

إعترض ابن عباس:

قد ذكرت الرواية: أن ابن عباس قد قام، فقال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فداك أبي وأمي يا رسول الله، تجهز ابن عمي في خمسين ومائة رجل من العرب، إلى خمسمائة رجل، وفيهم الحارث بن مكيدة، يعد بخمسمائة فارس؟!«

فقال «صلى الله عليه وآله»: «أمط عني يا بن عباس الخ..»^(٢).

ونقول:

أولاً: إن من البعيد أن يصدر ذلك عن ابن عباس، الذي ولد سنة الهجرة، أو قبلها بثلاث سنوات، فيكون عمره في غزوة ذات السلاسل ثمانين سنوات أو أحد عشرة سنة على أبعد تقدير.. ولا يتوقع من صبي بهذه السن أن يواجه النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بهذا الاعتراض. وأن يجيبه النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا الجواب.

فإن هذا الجواب، خصوصاً قول «صلى الله عليه وآله»: «أمط عني يا بن عباس» يستبطن درجة من القسوة على طفل بهذه السن..

(١) البحار ج ٢١ ص ٨٤ و ٩٠ عن تفسير فرات ص ٥٩٣ - ٥٩٨.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٨٧ وتفسير فرات ص ٥٩٥.

كما أن نفس هذا الذي اعترض به ابن عباس والمتضمن لتفصيل واستدلال، وجراً، إنما يتوقع من أناس نشأوا في بيئة غير صالحة، ومن لا يلزمون أنفسهم بمقتضيات الأدب مع النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»..
ثانياً: إنهم يزعمون: أن العباس هاجر قبل الفتح بقليل وهو موضع ريب وشك، بل هو قد أسلم يوم فتح مكة، قال في الإستيعاب: «أظهر إسلامه يوم فتح مكة، وشهد حنيناً والطائف وتبوك»^(١).

وقال البلاذري: «لقي العباس النبي «صلى الله عليه وآله» بذي الحليفة، - قال ابن هشام: لقيه بالبحفة - وهو يريد مكة، وقد أظهر إسلامه. فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يمضي ثقله إلى المدينة، وقال له: هجرتك يا عم آخر هجرة، كما أن نبوتي آخر نبوة»^(٢).

ونظن أن أحفاده العباسيين هم الذين حاولوا: أن ينيلوه فضل الهجرة ولو بأن يلتقي بالنبي «صلى الله عليه وآله» بذي الحليفة، إذ لا هجرة بعد الفتح. مع أنهم قد غفلوا عن أنه كان لا يزال حين الفتح في مكة، وهو الذي ضغط على أبي سفيان لكي يظهر الإسلام قبل ضرب عنقه، وذلك حين

(١) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٣ ص ٩٥ وراجع: الجوهر النقي ج ٩ ص ١٠٦ وعن ذخائر العقبى ص ١٩١ ومغني المحتاج ج ٤ ص ٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٩٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٤ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٢٥٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٢١٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٨ ومواقف الشيعة ج ١ ص ١٧١ عن عيون الخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٥.

استعرض هو وإياه كتائب المسلمين الآتية لفتح مكة فراجع^(١).
فإذا كان العباس آنئذٍ لا يزال يعيش في مكة، ولم يهاجر إلى المدينة إلا
بعد الفتح. وكانت عائلته معه، فمن أين؟ وكيف ظهر ابن عباس في هذه
الغزوة التي سبقت فتح مكة؟

ثالثاً: أليس قد عاد الناس لِتَوَّهم من غزوة خيبر، التي كان جيش
المسلمين فيها حوالي ألف وخمسة مئة مقاتل، في مقابل عشرة آلاف من
اليهود فضلاً عن غيرهم؟

وكان قد شاع وذاع أيضاً ما حاق بالمشرّكين على يد المسلمين في بدر،
وأُحد، والأحزاب، وفي سائر المواقع، مع قلة عدد المسلمين في أكثر
المعارك، وكثرة عدد أعدائهم، الذين كثيراً ما كانوا يزيدونهم بأضعاف، وقد
كان النصر حليفهم باستمرار..

رابعاً: إذا كان ابن مكيدة يعد بخمسة مئة فارس، فإن علياً «عليه
السلام» يعد بالألوف، وهو قانع باب خيبر، وفتح حصونها بالأمس
وحده، وهو قاتل عمرو بن عبد ود، الذي كان يعدُّ يعدُّ بألف فارس، وهو
هازم جيش الشرك في حرب أحد وحده، إلى غير ذلك مما هو ذائع وشائع.

عدد جموع الأعداء:

وقالوا لقد كان العدد الذي جمعه بنو خثعم لمهاجمة المدينة هو خمسة مئة

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٨ والبحار ج ٢١ ص ١٢٨ و ١٢٩
ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ١٠٨ و ١٠٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٢٠ و
٢٢١ وقصص الأنبياء ص ٣٤٦ و ٣٤٧.

من رجل كما ورد في بعض الروايات^(١).

ونقول:

ألا يمكن أن يقال: إن خمس مئة رجل قد لا يجروءون على مهاجمة المدينة، بعد أن هزم الله يهود خيبر، وهم أكثر من عشرة آلاف، بتلك الطريقة المخزية كما تقدم، وهزم الله المشركين يوم الأحزاب، وهم ألوف، وهزمهم الله أيضاً في بدر وفي أحد، وفي سائر المشاهد؟!!

إلا إن كان الهدف هو أخذ المسلمين على حين غرة، قد تنتهي بقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وانفراط جمع المسلمين. ولكنه احتمال بعيد، فإن الإسلام قد انتشر وشاع وذاع، وكثر له الأتباع في جميع الأصقاع، ولا بد أن يوجب قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثورة جميع الناس ضد بني خثعم.

إن هذا يقوي احتمال تعدد هذه الواقعة، وتعدد فرار أولئك القوم، أعني أبا بكر، وعمر، قد جاء ليزيل به أية شبهة في عدم صحة ما يدّعون أنه لأنفسهم من فضل وكرامات، ومواقف وبطولات، فظهرت هزيمتهم في المواقف المختلفة لكي لا يتخيل أحد: أن ما جرى لهم في بني قريظة، ثم في خيبر، ثم في فدك، وقد كان مجرد حالة عفوية، طارئة، فرضتها معطيات مفاجئة، لم يكونوا يظنون أنهم سوف يواجهونها..

يضاف إلى ذلك كله، فرارهم المتوالي في سرية وادي يابس، وسرية ذات السلاسل، وربما وادي الرمل، وسوى ذلك مما يتأكد احتمال له لدى

(١) البحار ج ٢١ ص ٨٥ و ٨٦ و ٨٨ وتفسير فرات ص ٥٩٣.

الباحث المنصف^(١).

بكاء رسول الله :

ثم إن الرواية المتقدمة قد ذكرت: بكاء النبي «صلى الله عليه وآله» حتى أبكى جميع أصحابه، وذلك حين أخبره ذلك الرجل بما عزم عليه بنو خثعم. والسؤال هو: لماذا هذا البكاء يا ترى؟!

إننا لا يمكن أن نحتمل: أن يكون بكاء الخوف، أو بكاء الضعف، فإن هذا مما لا بد من تنزيه رسول الله عنه.. علماً أنه «صلى الله عليه وآله» قد واجه أضعاف هذا العدد من الأعداء في وقت كان المسلمون فيه في غاية القلة، والضعف من حيث العدد والعدد. ولم ينس المسلمون بعد ما جرى في خيبر، والأحزاب، وبدر، وأحد، وسوى ذلك.. كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد أضحى قادراً على حشد اضعاف ما حشده بنو خثعم..

وحتى لو كان هذا الأمر يستوجب البكاء، ولنفترض: أنه بكى إشفاقاً على بعض أصحابه من أن يصيبهم سوء، أو لغير ذلك من أسباب.. ولكن هل يصح أن يكون هذا البكاء علنياً وعلى رؤوس الأشهاد؟! وألا يوجب هذا البكاء والإبكاء وهناً في المسلمين، وإطماعاً لأعدائهم بهم؟! فيكون بالتالي نقضاً للفرض، وتضييعاً بل تفريطاً خطيراً، وغير مقبول؟!

(١) تقدم مصادر ذلك.

الإحجام غير المفهوم:

ولا ندري لماذا يحجم المسلمون عن الخروج إلى أولئك القوم، فلا يجيئون رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! ولماذا زهدوا بالجنة التي ضمنها لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع كثرة جموعهم، وقلة عدوهم؟! كيف وقد جهز «صلى الله عليه وآله» إلى مؤتة بالأمس ثلاثة آلاف مقاتل. وجهز قبلها ألفا وخمس مائة مقاتل إلى خيبر، ومثلها إلى الحديبية قبل ذلك.. ثم لا يجروا أحد من أصحابه على إجابته، والمبادرة إلى امتثال أمره؟!!

مئة وخمسون فقط:

وأما بالنسبة لاقتصار النبي «صلى الله عليه وآله» على مئة وخمسين رجلاً في مقابل خمس مئة، ومنهم بطل يعد بخمسة مئة فارس. **نلاحظ:** أن الرواية أشارت إلى أن ثمة من التفت إلى هذا الأمر، وسأل عنه، وقد سمت الرواية ابن عباس، وقالت: إنه سأل عن أنه إذا كان بإمكان النبي «صلى الله عليه وآله» أن يجهز الألوف إلى الحرب، فلماذا اكتفى بمئة وخمسين رجلاً؟! فأجابه «صلى الله عليه وآله» بأنه يريد أن يظهر أثر علي «عليه السلام»، وشجاعته، ومدى استعدادده للتضحية؟! وأنه لو أرسله وحده فإن الله ينصره عليهم.

وذلك ليؤكد للناس: أنه «عليه السلام» محل عناية الله ورعايته، وأنه مؤيد بنصره عز وجل.. وما ذلك إلا لشدة تفانيه في ذات الله، وحرصه على الفوز برضاه تبارك وتعالى.

الضلال عن الطريق والاهتداء إليها:

ثم إننا نستبعد: أن يكون علي «عليه السلام»، ومن معه ما لبثوا أن ضلوا عن الطريق وهم أهل البلاد، ويعرفون شعابها ومسالكها..
ولو فرض: أن بعضهم قد وقع في الشبهة، فإن من الطبيعي أن يكون بين هذا العدد من الناس الكثيرون ممن يعرفون الطريق، ويرشدون رفقاءهم إليها، ويدلونهم عليها..

يضاف إلى ذلك: أن علياً «عليه السلام» قائدهم هو الذي سلك المسالك الوعرة والغامضة في سرية ذات السلاسل، حتى إن ذلك قد حرك عمرو بن العاص، وكذلك خالد بن الوليد لتوسيط أبي بكر وعمر لديه، ليرجع بهم إلى الجادة، فأجابهم أنه يعلم ما يصنع..

فلماذا لا يرشدهم علي العارف بغوامض الطرق، والواقف على المسالك الصعبة، إلى طريق الجادة، حتى احتاجوا إلى قدح النار من حوافر خيولهم؟! وحتى لو قبلنا بأنهم قد ضلوا الطريق.. فإن حديث معرفتهم الطريق بسبب قدح النار من حوافر الخيل، يبقى هو الآخر موضع ريب، فإن قدح الشر لا يوجب رؤية الطريق، وتمييز معالمها، كما أنه لا يوجب اشتعال النار، إلى حد أن تكشف ما حولها..

إلا إن كان المقصود: أن سيره على الحجارة الذي أوجب قدح الشر من حوافر الخيل قد عرّفهم بأنهم يسرون على الطريق. مع افتراض أن يكون وجود الحجارة دليلاً على الطريق، باعتبار أن سائر المسالك لا حجارة فيها.. ولكن هذا يبقى مجرد احتمال، قد يعرض له التأيد أو التفنيد، بحسب ما يعرض له من أدلة أو شواهد. بل هو احتمال بعيد، وافتراض غير سديد.

لا يقاتل حتى تطلع الشمس:

وأما ما ذكرته الرواية: من أن علياً «عليه السلام» كان لا يقاتل حتى تطلع الشمس، وتنزل ملائكة النهار.. فلعله اشتباه من الراوي، وذلك لما يلي:

١ - إن ملائكة النهار تنزل من حين طلوع الفجر، كما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً} ^(١)، يعني صلاة الفجر، تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار ^(٢).

(١) الآية ٧٨ من سورة الإسراء.

(٢) راجع: البحار ج ٥ ص ٣٢١ وج ٩ ص ٢٩٦ وج ١١ ص ١١٧ و ١١٨ وج ٥٣ ص ٢١٢ وج ٧٣ ص ٢٥٤ و ٢٦٣ وج ٧٧ ص ٣٠ و ٧٢ و ٧٣ و ٩٩ و ١٠٢ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٣٢٩ وج ٨ ص ١٣٢ وعن مسند أحمد ج ٢ ص ٤٧٤ وراجع: فقه الرضا «عليه السلام» ص ٧٢ والمعتبر للمحقق الحلي ج ٢ ص ١٧ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ١ ص ١٩٦ و (ط ج) ج ٤ ص ٢٥ و ٢٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج ١ ص ٧٢ و (ط ج) ج ٢ ص ٢٧٣ والذكرى ص ١١٣ و ١٢٢ ومدارك الأحكام ج ٣ ص ٢٤ والحبل المتين ص ١٢٢ ومفتاح الفلاح ص ٤ والحدائق الناضرة ج ٦ ص ٢٠٧ ومستند الشيعة ج ٤ ص ٥٣ وجواهر الكلام ج ٧ ص ١٦٨ ومسند زيد بن علي ص ٩٩ والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ١٥٧ وفقه السنة ج ١ ص ٩٧ و ١٥٧ والمحاسن ج ٢ ص ٣٢٣ والكافي ج ٣ ص ٢٨٣ و ٤٨٧ وج ٨ ص ٣٤١ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٢٢ و ٤٥٥ وعلل الشرايع ج ٢ ص ٣٢٤ و ٣٣٦ وأمالى الصدوق ص ٢٥٤ وثواب الأعمال ص ١٣٦ والإستبصار ج ١ ص ٢٧٥ وتهذيب الأحكام ج ٢ ص ٣٧ وروضة الواعظين ص ٣١٧ ومختصر بصائر الدرجات ص ١٣١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢٧٣ وج ٤ =

٢ - قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» ما بيّت عدواً قط ليلاً..
بل إن علياً «عليه السلام» كان لا يقاتل إلا بعد زوال الشمس ظهراً،
وقد تقدم ذلك..

لماذا لا يقاتل إلا بعد الزوال؟!

وقد شرح أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه أسباب عدم قتاله إلا بعد

= ص ٥٠ و ٥٢ و ٥٣ و ٢١٢ و ٢١٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١ ص ٢٦١ وج ٣
ص ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٦٠ و ١٥٤ و ١٥٥ و مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٥١ و ١٢٠
و ١٢٤ و ١٦٤ وج ٤ ص ٧٥ والإختصاص ص ٣٦ وأمالي ص ٦٩٥ وعوالي اللآلي
ج ١ ص ٤٢١ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٦٠ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٢٠ وسنن
الترمذي ج ٤ ص ٣٦٤ والمستدرك للحاكم ج ١ ص ٢١١ والمصنف للصنعاني ج ١
ص ٥٢٣ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٣٨١ وصحيح ابن خزيمة ج ٢
ص ٣٦٥ وصحيح ابن حبان ج ٥ ص ٤٠٩ وكتاب الدعاء للطبراني ص ٥٩ وتفسير
أبو حمزة الثمالي ص ٢٣٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ٢٥ والتبيان ج ٦ ص ٥٠٩ ومجمع
البيان ج ٢ ص ١٢٨ وج ٦ ص ٢٨٣ وتفسير جوامع الجامع ج ٢ ص ٣٨٢ وفقه
القرآن ج ١ ص ٨٢ و ١١٤ وتفسير غريب القرآن ص ١٩٧ والتفسير الصافي ج ٣
ص ٢١٠ والتفسير الأصفي ج ١ ص ٦٩٢ ونور الثقلين ج ٣ ص ٢٠١ وجامع البيان
ج ١٥ ص ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ ومعاني القرآن ج ٤ ص ١٨٣ وزاد المسير
ج ٥ ص ٥٣ والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٠٦ وتفسير القرآن العظيم ج ١
ص ١٣ و ٥٣ وتفسير الجلالين ص ٣٧٤ وعن الدر المنثور ج ٤ ص ٣٩٦ وعن فتح
القدير ج ٣ ص ٢٥١ و ٢٥٥ وعن البداية والنهاية ج ١ ص ٥٦ وسبل الهدى
والرشاد ج ٩ ص ١٥٠ والنهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٥١٣.

زوال الشمس.. فركز على الأسباب التالية:

١ - إن هذا الوقت أقرب إلى الليل، فإذا ذاق المقاتلون طعم القتال، وعرفوا أنه ليس مجرد نزهة، بل فيه آلام ومصائب، وكوارث ونوائب، ثم جنهم الليل، فإنهم سوف يعيدون النظر في حساباتهم، وسيقيمون الأمور وفق أمور عينية ملموسة، لم تعد مجرد تصورات غائمة، تكتنفها الكثير من التخيلات التي تقلل من وضوحها، وتهون من أمرها.

فالألم المتصور والمفترض لا يؤثر في قرار الإنسان بمقدار ما إذا أصبح ماثلاً وحاضراً، والمصاب الذي تسمع به أو تقرأ عنه ليس تأثير بمقدار المصاب الذي تراه وتعيشه، وتعاني منه ما تعاني..

فقد يدفعك خيال مآ، أو يهيجك هائج حمية أو عصبية، أو يدعوك داعي طمع، أو جشع، أو تزين لك أحلام وردية، تركز إلى حسابات خاطئة أن تقتحم أتون الحرب.. فتبادر إلى ذلك.. فإذا مسك شيء من بلاياها وزراياها، يرجع إليك صوابك، وتلتمس الخلاص، ولات حين مناص.. ثم تطحنك رحي الحرب فيما تطحن، وتحطم ما صلب منك، وتلتهم ما رق ولان. وتجد نفسك غير قادر على استرجاع ما ذهب، ولا استدراك ما يأتي، وتفرض عليك تلك الحرب كل تبعاتها، وتحملك ما أردته وما لم ترده من جرائمها وموبقاتها، وتلقي عليك بكلاكلها وأثقائها، وتبوء بكل مخزياتها..

٢ - إن هذا الوقت القصير، الذي هو بداية القتال، يكون فيه رجال الحرب على درجة عالية من اليقظة، والنشاط والحذر، ويريد كل منهم أن يختبر قدرات العدو، وأن يكتشف مكامن قوته، ومواضع ضعفه.

فالإقدام فيه محدود، والحذر فيه على أشده.. ولا تتوفر فيه دواع
للاستقتال وطلب الموت، إذ لم يستحر القتل فيه بالأحبة، ولا وقع الأسر
بعد على الأبناء والإخوة، ولا السبي أو العدوان على رموز الشرف،
ومواضع الغيرة..

فلا موجب إذن لثورة حماس الشجعان. ليلقوا بأنفسهم في المهالك،
طلباً للثار، أو لأجل محو العار.

وإذا كانت الأمور لا تزال في حدودها المعقولة هذه، فيمكن للعاقل أن
يثوب إليه رشده في الليلة التي تعقب هذه البداية، ويكون - في هذه الحال -
مدركاً بعمق حقيقة ما هو فيه، ونتائج ما يقدم عليه، فيوازن بين الحالين،
ويتخذ القرار الرشيد، والموقف السديد..

٣ - وإذا كان هناك من يلاحق مهزوماً فسيمنعه حلول الليل من
مواصلة سعيه.

٤ - ولا ضير في أن ينجو ذلك المهزوم، فإن هزيمته النفسية، تكفيه هو
الآخر ليعيد حساباته، ويستأنف حياته، بنمط جديد، وحزر شديد.
كما أن المطلوب المهم هو دفع شره، والتخلص من أذاه.. وقد حصل
ذلك فعلاً.. وليس المطلوب هو قتله، أو أسره، إلا إذا كان دفع شره يحتاج
إلى ذلك.

وهذا هو ما قاله علي «عليه السلام»: «هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن
يقل القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم»^(١).

(١) الوسائل ج ١١ ص ٤٦ وفي هامشه عن الكافي (الفروع) ج ١ ص ٣٣٥ وعن تهذيب =

إن الإنسان لربه لكنود في من نزلت؟! .. :

وقد ذكرت الرواية المتقدمة أن قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} ^(١) قد نزل في الحارث بن مكيدة، إلى أن قال تعالى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} ^(٢).

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يعني باتباعه محمداً ^(٣).

وقيل: المراد عمرو بن العاص ^(٤).

وقيل: غير ذلك..

ونقول:

إن هذا الاختلاف لا ضير فيه، إذ لعل السورة قد نزلت أكثر من مرة. ولهذا نظائر كثيرة، حسبما أشرنا إليه في موارد أخرى في هذا الكتاب، وفي غيره. غير أن تفسير آية: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} ^(١) بعلي «عليه السلام». لا

= الأحكام ج ٢ ص ٢٥٦ وعن علل الشرايع ج ٢ ص ٦٠٣ والبحار ج ٣٣ ص ٤٥٣ وج ٩٧ ص ٢٢ والكافي للحلي ص ٢٥٦ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ٢ ص ٩٩٧ والتحفة السنية (مخطوط) ص ١٩٩ ورياض المسائل (ط ق) ج ١ ص ٤٨٩ و (ط ج) ج ٧ ص ٥١١ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٨١ والكافي (ط دار الكتب الإسلامية) ج ٦ ص ١٧٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٦٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٤٧ والبحار ج ١١ ص ٤٥٣ وج ٩٤ ص ٢٢.

(١) الآية ٦ من سورة العاديات.

(٢) الآية ٨ من سورة العاديات.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٨٨ و ٨٩ عن تفسير فرات ج ١ ص ١٦.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٧٧ عن الخرايج والجرايح.

يلائم سياق الآيات. حيث يظهر من السياق أن حب ذلك الكنود للخير، أي أن حبه للنعم الدنيوية، مثل المال، والجاه، والبقاء على قيد الحياة، شديد، ولذلك خاف الذين أرسلهم النبي «صلى الله عليه وآله» أولاً على أنفسهم، وحسدوا علياً «عليه السلام»، وحاولوا إحباط مسعاه في تحقيق النصر..

ثم ذكرت الآيات أن هؤلاء المحبين للدنيا سيرون في يوم القيامة كيف أن الله سيظهر ما أضمره في صدورهم، وسيفضح ما انطوت عليه قلوبهم. {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ} (١).

(١) الآية ٨ من سورة العاديات.

(٢) الآيات ٩ - ١١ من سورة العاديات.

الفصل الثامن:

سرايا حدثت.. إلى فتح مكة

سرية أبي قتادة إلى بطن إضم:

وفي أول شهر رمضان سنة ثمان أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» التوجه إلى مكة لفتحها، بعث أبا قتادة الحارث بن ربعي في ثمانية نفر إلى بطن إضم^(١)، ليظن ظان أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار^(٢).

وقال بعضهم: بعثنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى إضم [في نفر من المسلمين]، أميرنا أبو قتادة الحارث بن ربعي، وفينا محلم بن جثامة الليثي، وأنا. فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط

(١) بطن إضم: بين ذي خشب وذي المروة، على ثلاثة برد من المدينة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١١ وج ٦ ص ١٩٠ عن محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد، وابن أبي شيبه، والإمام أحمد، والترمذي، وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والطبراني، وأبي نعيم، والبيهقي في دلائلهم، عن عبد الله بن أبي حدر، والطبراني عن جندب البجلي، وابن جرير عن ابن عمر، وابن أبي حاتم عن الحسن، وعبد الرزاق، وابن جرير. وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٥ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٤٩ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٧.

الأشجعي على قعود له، ومعه مُتَيِّع له، ووطب من لبن.

قال: فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه، وسلبه بغيره ومتيعه.

فلما قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخبرناه الخبر نزل فينا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ...} (١).

فانصرف القوم ولم يلقوا جمعاً، حتى انتهوا إلى ذي خشب. فبلغهم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد توجه إلى مكة، فأخذوا على بين حتى لحقوا برسول الله «صلى الله عليه وآله» بالسقيا (٢).

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لمحلم: «أقتلته بعد ما قال آمنت بالله؟» وفي حديث ابن عمر، والحسن: فجاء محلم في بردين، فجلس بين يدي رسول الله (ليستغفر له)، فقال «صلى الله عليه وآله»: «أقتلته بعد ما قال إني مسلم؟» قال: يا رسول الله، إنها قالها متعوذاً.

قال «صلى الله عليه وآله»: «أفلا شققت عن قلبه؟» قال: لم يا رسول الله؟ قال: «لتعلم أصادق هو أم كاذب». قال: وكنت عالماً بذلك يا رسول الله. هل قلبه إلا مضغة من لحم؟

(١) الآية ٩٤ من سورة النساء.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٩٠ وعن مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٧٢. وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٥٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٧.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنما كان ينبيء عنه لسانه». وفي رواية: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا ما في قلبه تعلم، ولا لسانه صدقت».

فقال: استغفر لي يا رسول الله.

فقال: «لا غفر الله لك».

فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه. فما مضت سابعة حتى مات^(١). وفي حديث ابن إسحاق: فما لبث أن مات، فحفر له أصحابه، فأصبح وقد لفظته الأرض، ثم عادوا وحفروا له، فأصبح وقد لفظته الأرض إلى جنب قبره^(٢).

قال الحسن: لا أدري كم قال أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كم دفناه، مرتين، أو ثلاثاً؟!^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٩٠ وقال في هامشه: ذكره السيوطي في الدر ج ٢ ص ٢٠١ وعزاه لابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، عن الحسن. وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٥ وراجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٧ والمفاريذ عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ص ٤٣ ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ٩٢ والمعجم الكبير ج ٢ ص ١٧٧ وعن الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠١ وراجع ص ٢٠٢ وأسباب نزول الآيات ص ١١٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٩١ وراجع: أسباب نزول الآيات ص ١١٦ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٣٠٩ وعن الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٩١ وراجع: أسباب نزول الآيات ص ١١٦ وعن الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠١.

وفي حديث جندب، وقتادة: أما ذلك فوق ثلاث مرات، كل ذلك لا تقبله الأرض، فجاءوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فذكروا ذلك له، فقال: «إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله تعالى [يريد أن يعظكم]»، فأخذوا برجليه فألقوه في بعض الشعاب، وألقوا عليه الحجارة. وسيأتي في غزوة حنين حكومته «صلى الله عليه وآله» بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس في دم عامر بن الأضبط^(١).
نقول:

إن لنا مع هذا الذي ذكره وقفات، نذكرها في ضمن العناوين التالية:

توضيح لا بد منه:

إن الذي يقرأ ما تقدم يحتاج إلى إضافات وتوضيحات تفيده في استكمال ملامح صورة ما جرى، فيحتاج إلى أن يقال له: إن تلك السرية تبدو وكأنها سرية استطلاعية للجيش الكبير المجتمع، الذي يريد التحرك نحو مقصد لم يفصح عنه قائده..
فإذا كانت السرية الاستطلاعية قد توجهت إلى هدف مّا، فمن

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٣٤ و ٣٣٩ ج ٦ ص ١٩١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١١٦ وعن أسد الغابة ج ٢ ص ٢٨٢ وج ٤ ص ٤١٣ وعن جامع البيان ج ٥ ص ٣٠١ وعن تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٥٢ وعن الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٠ وعن فتح القدير ج ١ ص ٥٠٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٦ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٣٠٩ وتفسير الثعالبي ج ٢ ص ٢٨١.

الطبيعي أن يظن المراقب للأحداث أن الهدف هو التمهيد، ورصد الطرق والمسالك التي سيسلكها ذلك الجيش، أو يمر بالقرب منها. لكي لا تفاجئه كمائن العدو بهجمات قد تؤثر على تماسكه، وعلى معنوياته.. وربما يكون الهدف من السرايا الاستطلاعية هو تحديد الهدف الأقصى، الذي يراد تسديد الضربة القوية له..

هل كان أبو قتادة عالماً بهدف النبي :

ويظهر من ثنايا النصوص التي نقلناها: أن أبا قتادة ومن معه ما كانوا يعلمون إلى أين سيتوجه النبي «صلى الله عليه وآله».. ولذلك قال: فلما انتهوا إلى ذي خشب بلغهم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد توجه إلى مكة، فلهقوا به. وهذا معناه: أنه «صلى الله عليه وآله» قد مارس أقصى درجات الحيلة والحذر، حتى إن نفس سراياه كانوا لا يعلمون بالهدف الذي يريد توجيه الضربة إليه، ولا يعلمون بخطته الحربية، ولا بمقاصد تحركاته، حتى بعناوينها العامة.. وبذلك يكون قد أعطى درساً عملياً فيما يرتبط بالأسرار الحربية، على قاعدة ما روي عن أمير المؤمنين في قوله لأصحابه: «إن لكم عليّ أن لا أخفي عنكم سراً إلا في حرب»^(١).

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ٧٩ والأمالى للشيخ الطوسي ص ٢١٧ والبحار ج ٣٣ ص ٧٦ و ٤٦٩ وج ٧٢ ص ٣٥٤ ونهج السعادة ج ٤ ص ٢٢٩ وميزان الحكمة ج ١ ص ١٢٤ وشرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ١٦ ووقعة صفين للمنقري ص ١٠٧.

نصرت بالرعب:

قلنا في بعض المواضع من هذا الكتاب: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يفتح مكة من دون إراقة محجمة من دم فيها، وذلك حفاظاً منه «صلى الله عليه وآله» على قدسية البيت الحرام، الذي يريده الله حرماً آمناً، حتى حين يتخطف الناس من حوله.

فكان أن انتهج سياسة تعرّف أولئك الطغاة، بقوة الإسلام الحقيقية، وتزيل عن أعينهم غشاء الغرور والعنجهية، ليروا الحقائق على ما هي عليه، بعيداً عن التحجيم تارة، وعن التضخيم أخرى..

حتى إذا تضح لهم ذلك دب الرعب في قلوبهم، ولم يجدوا عن التراجع عن تلك المواقف المخزية محيصاً، وبذلك يتابع الإسلام مسيرته الظافرة، ويمارس حقه الطبيعي في الدعوة إلى الله تعالى.

وهذا بالذات هو ما عناه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقوله: «نصرت بالرعب».

وحين كان «صلى الله عليه وآله» من جهة أخرى يمارس أسلوب المفاجأة، فإنما كان يريد أن يظهر جانباً آخر من قوة الإسلام، من حيث أن أسلوب الحرب، وطبيعة الحركة فيها من شأنه أن يضيف المزيد من القدرات المؤثرة في إضعاف العدو، وفي هزيمته الروحية، وفي زيادة اندفاع القوات المهاجمة له، التي تريد تحقيق النصر عليه..

ولذلك بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا قتادة في ثمانية نفر إلى بطن إضم، ليظن ظان أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفكر في التحرك بذلك الاتجاه. أو أنه يفكر في معالجة القضايا القريبة منه، وليس له همّة فيها

هو أبعد من ذلك.

حتى إذا اطمأن العدو، وانصرف ليفكر في شأن آخر، باغته رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجيش قد لا يجرؤ أو لا يقدر على مواجهته حتى وهو في أقصى درجات الاستعداد، فكيف يواجهه في حال الغفلة والاستنامة.. بل إنه حتى لو كان العدو ملتفتاً إلى حركة رسول الله «صلى الله عليه وآله» باتجاه مواقعه، فإن شعوره بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قادر على فتح أكثر من جبهة في آن واحد، حتى لو كانت إحدى هذه الجبهات هي أعتى قوى الشرك في الحجاز كله، فإن ذلك سيفسح المجال لخياله ليسرح في آفاق القدرات التي توفرت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي جُرِّبَت الحرب معه مرات ومرات، وخسرها كل من جربها.

ابن جثامة تلفظه الأرض:

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رفض أن يستغفر لابن جثامة وأن الأرض قد لفظته.
ونقول:

إننا نتحفظ على قولهم هذا:

فأولاً: قد قيل: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استغفر له بعد دعائه عليه^(١).

ثانياً: إن ابن جثامة قد مات بحمص أيام ابن الزبير^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٥.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٥.

ثالثاً: إنهم يقولون: إن رجلاً لفظته الأرض اسمه فليت^(١). فلعلهم استعاروا هذه الحادثة من ذلك الرجل واتحفوا بها ابن جثامة لأسباب لا يهمننا التعرف عليها.

رابعاً: لماذا يستغفر النبي «صلى الله عليه وآله» لأسامه، كما يدعون، ويرفض أن يستغفر لابن جثامة؟!

ما معنى أن يطلب «صلى الله عليه وآله» من الله أن لا يغفر لابن جثامة، الذي كان يبكي، ويظهر الندامة، مع أن الله قد أرسله رحمة للعالمين. ومع أنه قد كان يمكنه أن يجري عليه الأحكام الشرعية التي تتعلق بالقاتل، إن وجدته مداناً فيما أقدم عليه.

ثم إن الله هو الذي يتولى حسابه على نواياه، إن كان صادقاً في توبته، أو غير صادق فيها.

ملاحظة أخيرة:

ويلاحظ هنا: أن هذه القصة تشبه في عناصرها، وسياقاتها قصة أسامة بن زيد، التي تقدم الحديث عنها في الجزء السابق من هذا الكتاب.

فكيف لم يتعظ محلم بن جثامة بما جرى لأسامه؟!

وهل يمكن أن نعتبر أن الشدة التي أظهرها النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» على محلم بن جثامة، ترجع إلى أن ما جرى لأسامه كان يجب أن يردع ابن جثامة وغيره عن ارتكاب نفس المخالفة، فضلاً عن أن يقدم نفس العذر.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٢٢٢ عن الروض الأنف.

سرية واحدة أم سريتان؟!

قد أورد الواقدي سرية أبي قتادة إلى خضرة، وابن أبي حدرد إلى الغابة في سياق واحد، معتبراً إياهما سرية واحدة.. لكنه في السيرة الحلبية جعلهما سريتين. ونحن لا نريد أن نبذل المزيد من الجهد في تحقيق ذلك، ولا سيما بملاحظة ما يرد على كثير من المواضع فيهما من الإشكالات التي تزيد في وهنهما، وإبعادهما عن درجة الاعتماد..

غير أن لنا الحق في أن نقدم تصوراً لما جرى، ربما يكون قادراً على حل الإشكال فيما يرتبط بوحدة القضية أو تعددها.. وهو: أن يكون ابن أبي حدرد ورجلان آخران قد كلفوا بمهمة قتل رفاعه بن قيس، فوافق ذلك مسير أبي قتادة، فضمهم إليه.. فأنجز ابن أبي حدرد ما كلفه به الرسول، في طريق الذهاب أو العودة، وشارك في سرية أبي قتادة، فأصاب ما أصاب من الغنائم في السريتين.. ولأجل ذلك أثرنا الفصل بينهما، وكأنهما سريتان مستقلتان.

ولكن المهم هو إثبات أصل وجود كثير من هذه السرايا، ومنها سرية أبي قتادة، وسرية قتل ابن أبي حدرد لرفاعة.. فضلاً عن لزوم إثبات توافق المواقع والمواضع التي يقيم فيها هؤلاء وأولئك، وإمكانية الالتقاء في طرقها ومسالكها.

إذ لو كانت هذه القبيلة أو الموقع في الشرق، وذاك في الغرب، فإن هذا التصور يسقط عن الاعتبار.

غير أن علينا هنا أن نذكر ما ذكره، ثم نشير إلى مواضع النظر فيما

زعموه، فنقول:

إننا نورد النصوص التي تتحدث عن هذه القضية وتلك أولاً، ثم نعقب عليها بما يقتضيه المقام.. فلاحظ ما يلي:

سرية أبي قتادة إلى خضرة:

عن عبد الله بن أبي حذرر الأسلمي قال: تزوجت ابنة سراقه بن حارثة النجاري وقد قتل ببدر، فلم أصب شيئاً من الدنيا كان أحب إلي من نكاحها، وأصدقته مائتي درهم، فلم أجد شيئاً أسوقه إليها، فقلت: على الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» المعول.

فجئت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبرته، فقال: «كم سقت إليها؟»

فقلت: مائتي درهم يا رسول الله.

فقال: «سبحان الله، والله لو كنتم تغتربونه من ناحية بطحان - وفي رواية - «لو كنتم تغتربون الدراهم من واديكم هذا ما زدتم».

فقلت: يا رسول الله أعني على صداقها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما وافقت عندنا شيئاً أعينك به، ولكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سرية، فهل لك أن تخرج فيها؟ فإني أرجو أن يغنمك الله مهر امرأتك.

فقلت: نعم^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٥ عن ابن إسحاق، وأحمد والواقدي وقال في هامشه: أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ٤٤٨ والبيهقي في السنن ج ٧ ص ٢٣٥ =

وفي حديث محمد بن عمر، وأحمد. واللفظ للأول: فخرجنا، ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، فكنا ستة عشر رجلاً بأبي قتادة، وهو أميرنا. فبعثنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى غطفان نحو نجد. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سيروا الليل، واكمنوا النهار، وشنوا الغارة، ولا تقتلوا النساء والصبيان».

قال: فخرجنا حتى جئنا ناحية غطفان^(١).

وفي حديث أحمد: فخرجنا حتى جئنا الحاضر ممسين، فلما ذهب فحمة العشاء، قال محمد بن عمر، قال: وخطبنا أبو قتادة، وأوصانا بتقوى الله تعالى. وألف بين كل رجلين، وقال:

«لا يفارق كل رجل زميله حتى يقتل أو يرجع إلي فيخبرني خبره، ولا يأتين رجل فأسأله عن صاحبه، فيقول: لا علم لي به، وإذا كبرت فكبروا، وإذا حملت فاحملوا، ولا تمنعوا في الطلب».

فأحطنا بالحاضر، فسمعت رجلاً يصرخ: يا خضرة، فتفاءلت وقلت: لأصين خيراً، ولأجمعن إلي امرأتي، وقد أتيناهم ليلاً.

قال: فجرد أبو قتادة سيفه وكبر، وجرдна سيوفنا وكبرنا معه، فشدنا

= والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ١٧٨ وذكره الهيثمي في المجمع ج ٤ ص ٢٨٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٧ و ٧٧٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٤ وعن مسند أحمد (ط دار صادر) ج ٦ ص ١١ ومجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ج ٦ ص ٢٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٣٤١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٥ عن ابن إسحاق، وأحمد والواقدي وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٣.

على الحاضر وقاتلنا رجالاً، وإذا أنا برجل طويل قد جرد سيفه وهو يمشي القهقري، مرة يقبل علي بوجهه، ومرة يدبر عني بوجهه، كأنه يريد أن يستطردني فأتبعه، ثم يقول: يا مسلم، هلم إلى الجنة فأتبعه. ثم قال: إن صاحبكم لذو مكيدة، أمره هذا الأمر. وهو يقول: الجنة الجنة. يتهمكم بنا.

فعرفت أنه مستقتل، فخرجت في أثره، وناديت: أين صاحبي؟ فقال: لا تبعد، فقد نهانا أميرنا عن أن نمعن في الطلب، فأدركته، وملت عليه فقتلته، وأخذت سيفه.

وقد جعل زميلي يناديني أين تذهب؟ إني والله إن ذهبت إلى أبي قتادة فسألني عنك أخبرته.

قال: فلقيته قبل أبي قتادة.

فقلت: أسأل الأمير عني؟

قال: نعم، وقد تغيط علي وعليك.

وأخبرني أنهم قد جمعوا الغنائم، وقتلوا من أشرافهم.

فجئت أبا قتادة فلامني، فقلت: قتل رجلًا كان من أمره كذا وكذا، وأخبرته بقوله كله.

ثم سقنا النعم، وحملنا النساء وجفون السيوف معلقة بالأقتاب، فأصبحت وبعيري مقطور بامرأة كأنها ظبي. فجعلت تكثر الالتفات خلفها وتبكي، فقلت: إلى أي شيء تنظرين؟

قالت: أنظر والله إلى رجل لئن كان حياً لاستنقذنا منكم.

فوقع في نفسي أنه هو الذي قتلت.

فقلت: قد والله قتلته، وهذا والله سيفه معلق بالقتب.

قالت: فألقِ إلي غمده.

فقلت: هذا غمد سيفه.

قالت: فشِمِّه إن كنت صادقاً.

قال: فشِمِّته فطبق.

قال: فبكت، ويئست^(١).

وعن ابن عمر قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» سرية قبل نجد، فخرجت فيها، فغنمنا إبلاً وغنماً كثيرة، فبلغت سهماً اثني عشر بعيراً، فنقلنا أميرنا بعيراً بعيراً كل إنسان، ثم قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقسم علينا غنيمتنا، فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس، وما حاسبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذي أعطانا صاحبنا، ولا عاب عليه ما صنع^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٥ و ١٨٦ عن أحمد والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٨ و ٧٧٩ وعن مسند أحمد ج ٦ ص ١١ و ١٢ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ وعن عون المعبود ج ٤ ص ٥٩ و ٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٣٤١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٧ والمجموع ج ١٩ ص ٣٨٣ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٠٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣١٢ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ١٩٠ وراجع صحيح ابن حبان ج ١١ ص ١٦٤ والمعجم الأوسط ج ٥ ص ١٥٥ والمعجم الكبير ج ١٢ ص ٢٩٤ والجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٦٢ وعن الدر المنثور ج ٣ ص ١٦٠ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ١٤٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٤.

وفي رواية: نفلنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بغيراً بغيراً، فكان لكل إنسان ثلاثة عشر بغيراً^(١).

قال عبد الله بن أبي حذر: فأتينا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجئت برأس رفاعه أحمله معي، فأعطاني رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تلك الإبل ثلاثة عشرة بغيراً، فدخلت بزوجتي، ورزقني الله خيراً كثيراً^(٢).

وعند محمد بن عمر، عن جعفر بن عمر: وقالوا: غابوا خمس عشرة ليلة، وجاؤوا بمائتي بغير، وألف شاة، وسبوا سبياً كثيراً، وجمعوا الغنائم،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٧ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبي داود وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٧ ص ٦٥٣ كتاب المغازي وصحيح مسلم ج ٣ ص ٣٦٨ وأحمد في المسند ج ٢ ص ١٠ - ٦٢ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٩ و ٧٨٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ والمغني ج ١ ص ٤١٧ والشرح الكبير ج ١٠ ص ٧٤١ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٠٨ و ١٠٩ وسنن أبي داود ج ١ ص ٦٢٣ والسنن الكبرى ج ٦ ص ٣١٢ وعن فتح الباري ج ٦ ص ١٦٩ وعن عون المعبود ج ٧ ص ٢٩٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥١٨ ومسند الشاميين ج ٤ ص ١٤٢ وكنز العمال ج ٤ ص ٥٣٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٦٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ و ٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٣ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٥ وعن أسد الغابة ج ٣ ص ٣٣٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٤٦ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٨٠.

فأخرجوا الخمس، فعزلوه، وعُدِلَ البعير بعشر من الغنم^(١).
قال الدياربكري: فقتل من أشرفهم، وسبى سبياً كثيراً، واستاق النعم،
فكانت الأبل مائتي بعير، والغنم ألفي شاة، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة^(٢).
ونقول:

المهور الغالية:

والذي لا مجال للإغماض عنه: هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد
استكثر المهر الذي أعطاه ابن أبي حدرد لزوجته، ووجه له ما يشبه اللوم لمجرد
أنه أصدق زوجته مائتي درهم..
ونقول:

١ - إن النبي نفسه «صلى الله عليه وآله» قد أصدق زوجته - كما يقول
هؤلاء أنفسهم - ضعف هذا المبلغ أو أزيد من ذلك.. فلماذا يعترض على
غيره في أمر هو قد سنه للناس؟! وللناس في رسول الله «صلى الله عليه
وآله» أسوة حسنة..

٢ - على أن ما يزعم أنه قد قاله لابن أبي حدرد: «لو كنتم تغتربون
الدراهم من واديكم هذا ما زدتم»، غير ظاهر الوجه على المستوى العملي،
فإن عمر بن الخطاب قد أمهر زوجته أم كلثوم أربعين ألف درهم، أو عشرة

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٠.
(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٢ وعن عيون الأثر
ج ٢ ص ١٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٤٩.

آلاف دينار، أو أربعين ألف دينار^(١).

ثم زادت المهور، وتنامت حتى بلغت مئات الألوف والملايين.

-
- (١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٩ و ١٥٠ وراجع: جواهر الكلام ج ٣١ ص ١٥ والمبسوط للشيخ الطوسي والسرائر ج ٣ ص ٦٣٧ ط جماعة المدرسين والوسائل ط مؤسسة آل البيت ج ٢١ باب ٩ من أبواب المهور والفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٥٥ و ٤٥٦ وأسد الغابة ج ٥ ص ٦١٥ والذرية الطاهرة للدولابي ص ١٦٠ والإصابة ج ٤ ص ٤٩٢ والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٥٦ وج ٥ ص ٣٣٠ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٢٥ والدر المنثور ص ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء الراشدين ص ١٦٦ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٤٩١ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار التحرير) ج ٨ ص ٣٤٠ و (ط دار صادر) ص ٤٦٤ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٠١ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ٦٢٥ عن ابن سعد، والبيهقي في السنن، وابن أبي شيبة، وابن عساكر، وابن عدي في الكامل، وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٧٠ (ط مطبعة الإستقامة) والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٤ ونساء أهل البيت لخليل جمعة ج ١ ص ٦٦٠ والمجموع ج ١٦ ص ٣٢٧ وذخائر العقبى ص ١٧٠ عن أبي عمر، والدولابي، وابن السمان، وإفحام الأعداء والخصوم ص ١٦٥ ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ٤ ص ٢٧٠ وج ٩ ص ١٦١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٣١٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٢٢٧ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٤ ص ٧١ وعمدة القاري ج ٢٠ ص ١٣٧ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٩٤ وسيرة ابن إسحاق ص ٢٤٩ ومختصر تاريخ دمشق ج ٩ ص ١٦١ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٨ وراجع: تاريخ عمر بن الخطاب ص ٢٦٧ ونهاية الأرب ج ١٩ ص ٣٩١ والسيدة زينب لحسن قاسم ص ٦٤ ونظام الحكومة النبوية (التراتب الإدارية) ج ٢ ص ٤٠٥ عن المختار الكتتي في الأجوبة المهمة، نقلاً عن الحافظ الدميري.

وحدث زواج بوران بنت الفضل بن سهل بالمأمون، وما أنفق في زفافها، وما جعل نحلة لها، مما لا يجهله أي مطلع على كتب التاريخ^(١).

٣ - قد أحل الله سبحانه أن يعطي الرجل للمرأة من المهر ما شاء. وإن كان يستحب تقليل المهر.. ولكن لا يلام ولا يحبه من لم يعمل بالمستحب..
٤ - إن مقدار المهر وخصوصياته قد تفرضه ظروف خارجة عن اختيار الزوج، وقد يكون منها رغبة الزوجة، أو رغبة أهلها بتكثير المهر لأسباب خاصة بهم.. فلا يستحق الزوج هذا التأنيب أو اللوم، إلا إذا ثبت أنه هو قد بادر إلى ذلك على سبيل المباهاة، أو الشطط..

تبييت العدو:

وقد ذكرت تلك الرواية: أن المسلمين أغاروا على القوم ليلاً.. مع أنه قد تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما بيت عدواً ليلاً..
فإذا كان هو لم يفعل ذلك تنزهاً عنه، فهل يسمح به لسراياه وبعوثه؟!

الغنائم والأسرى:

والذي يثير الشبهة أيضاً هذه الغنائم الكثيرة، التي بلغت ألفي شاة، وماءتي بعير، بل أكثر، بالإضافة إلى الأسرى والسبايا، هو أن الغانمين كانوا ستة عشر رجلاً فقط.. فكيف استطاعوا أن يحافظوا على كل هذه الغنائم، وكل هذا السبي من محاولات أصحابها، استرجاعها، أو اقتطاع جزء أو أجزاء منها، من أي جهة أرادوا..

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ١٠٢ و ١٠٣.

فإن ستة عشر رجلاً إذا تفرقوا حول ذلك الحشد العظيم من الغنائم وغيرها، وصاروا أفراداً متباعدين حولها، فإن هجوم أي جماعة من أية جهة كانت، سوف يكون ناجحاً في استعادة ذلك السلب والسبايا، أو في استعادة كثير منه.

علماً بأن كثرة هذه الإبل والغنم، إن لم تكن تشير إلى كثرة المالكين لها، فإن مجرد كونهم من قبائل غطفان يكفي على هذه الكثرة فيهم، ومعها الجرأة أيضاً.. فقد عرفنا: أن عيينة بن حصن الغطفاني كان يتحرك في المنطقة كلها من منطلق كونه قوة رئيسة فيها، حتى لقد كان المناوئون للإسلام يعرضون عليه أثماً باهظة جداً، إذا نصرهم بالآلوف من الغطفانيين الذين كانوا تحت أمره وبأمرته.

إذن.. فكيف يمكن أن نتصور ستة عشر رجلاً يغيرون على غطفان، وهي في بلاد بعيدة عن المدينة - حتى لقد غاب المسلمون في سريتهم إليها خمس عشرة ليلة - ثم يأخذون سبايا وغنائم بهذا الحجم العظيم، ولا يبادر الأهل والأصحاب، وأهل النجدة من تلك القبيلة لنجدة من حل بهم المصائب؟! واسترجاع كل أو بعض ما أخذ من سبايا، وأسلاب؟! خصوصاً مع طول المسير، وليس للمغيرين ظهير ولا مجير، ولا محام ولا نصير!!

الإحاطة بالحاضر:

وإذا كانت الغنائم والسبايا بهذه الكثرة، فإن الدائرة التي يكون فيها الحاضر متسعة، فكيف أحاط ستة عشر رجلاً بهم فيها؟! وكيف تعرّف بعضهم على بعض؟.. وكيف؟.. وكيف؟..

يرى وجه مهاجمه في ظلام الليل:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأن هجوم أبي قتادة ومن معه كان ليلاً، بعد ان ذهبت فحمة العشاء، (أي ذهب إقباله وأول سواده^(١)).. فكيف رأى ابن أبي حدرد الرجل الطويل، وقد جرد سيفه؟! وكيف رآه يمشي القهقري، ومرة يقبل عليه بوجهه، ومرة يدبر عنه بوجهه؟!

افتراق الزميلين:

وإذا كان هو قد طارد ذلك الرجل الطويل، وترك صاحبه، فلماذا يتركه صاحبه؟! أو لماذا يترك هو صاحبه؟! وإذا كان يراه يذهب كما تقول الراوية، فلماذا لم يلحق به؟!

الغنائم تحل المشكلات:

ثم إننا لا نستطيع أن نتجاهل ذلك الانطباع غير المحمود، الذي تتركه الطريقة التي يزعمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عالج بها مشكلة ابن أبي حدرد، من حيث أنه اعتمد في ذلك على الغنائم التي سوف تحصل عليها تلك السرية، وكأن همهم «صلى الله عليه وآله» منصرف إلى حل المشكلات بهذا الأسلوب.. وكأن سراياه كانت سرايا تحصيل أموال، وحصول على سبايا وغنائم..

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٤ وكنز العمال ج ١ ص ٣٤٠١ وعون المعبود ج ٧ ص ١٨٩ وشرح سنن النسائي للسيوطي ج ١ ص ٢٨٧ والنهاية في غريب الحديث ج ٣ ص ٤١٧ ولسان العرب ج ٢ ص ٤٤٨.

ونحن لا نشك في عدم صحة ذلك، وأنه لا يمكن أن يكون ذلك محط اهتمامات رسول «صلى الله عليه وآله»، ولا هو مما يرتكز إليه في وعوده المالية.. بل كان همه «صلى الله عليه وآله» هو الدعوة إلى الله. وتحصين المسلمين، وحفظهم من كيد أعدائهم، والمتربصين بهم..

وعد آخر بسبية متوقعة:

هذا وقد رووا عن عبد الله بن أبي حدرد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان قد وعد محمية بن جزء الزبيدي بجارية من أول فيء يفيء الله به. فلما رجع أبو قتادة بالغنائم والسبي التي أخذها من غطفان، في أرض محارب، جاء محمية بن جزء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: يا رسول الله، إن أبا قتادة قد أصاب جارية وضيئة، وقد كنت وعدتني جارية من أول فيء يفيء الله به عليك.

فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي قتادة، وقال: هب لي الجارية، فوهبها له، فأخذها ودفعها إلى محمية بن جزء^(١). ونقول:

١ - لماذا يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» من أبي قتادة أن يهبه الجارية، ولا يطلب منه أن يبيعها له؟! أليس ذلك هو الأنسب، من حيث أنه لا تبقى

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٤٩ وعن الإصابة ج ٦ ص ٣٧ والأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٨٩ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٦.

لأحد منة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وهو الأولى، من حيث تأكيد اليقين بطيب نفسه عن تلك الجارية الوضيئة، والرضا بالمال الذي يحصل عليه كثر لها؟! ..

٢ - لماذا اختار ذلك الرجل الموعد خصوص جارية أبي قتادة الوضيئة، ولم يختار سواها؟! ..

أو فقل: لماذا يفسح المجال لذلك الشخص ليعين هو هذه الجارية أو تلك؟ ولماذا لا يكتفي بمجرد مطالبة النبي «صلى الله عليه وآله» بالوفاء بوعده، باستخلاص أية جارية كانت من صاحبها، لكي يعطيه إياها؟

٣ - ألم يكن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الصفى من المغانم؟ أليس كان من الطبيعي أن تكون الجارية الوضيئة التي قد يثور حولها خلاف حين الاقتسام، هي الصفى لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لينقطع بذلك دابر الخلاف فيها، ويزول الاحساس بالغبن، والتحاسد لدى سائر المقاتلين الذين لم تكن تلك الجارية من نصيبهم؟! ..

٤ - إن ما يستوقفنا هنا أيضاً: أن غطفان لم تحاول اللحاق بأولئك الذين قتلوا رجالها، وسبوا نساءها، واستاقوا نعمها وشاءها، وهم خمسة عشر رجلاً فقط، مع أن مسيرهم طويل، وليس فيهم من يخشاه فوارس غطفان، الذين كانوا يعدون بالمئات والألوف..

سرية ابن أبي حدرد إلى الغابة:

وفي هذه السنة كانت سرية عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي أيضاً، ومعه رجالان إلى الغابة، لما بلغه «صلى الله عليه وآله» أن رفاعة بن قيس يجمع

لحربه، فذهب الرجال الثلاثة إلى رفاعه فقتلوه وهزموا عسكره، وغنموا غنيمة عظيمة. حكاة مغلطاي^(١).

وعن عبد الله بن أبي حدرد أنه قال: أقبل رجل اسمه رفاعه بن قيس، أو قيس بن رفاعه في بطن عظيم من بني جشم، حتى نزل بقومه، وبمن معه الغابة، يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان ذا اسم وشرف في جشم.

فدعاني رسول الله «صلى الله عليه وآله» ورجلين من المسلمين فقال: «أخرجوا إلى هذا الرجل، حتى تأتوني منه بخبر وعلم».

وقدم لنا شارفاً عجفاء، يحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفاً، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم، حتى استقلت، وما كادت. ثم قال: «تبلغوا عليها واعتبقوها»^(٢).

قال عبد الله بن أبي حدرد: فخرجنا، ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر (عشيشية)، مع غروب الشمس، كمنت في

(١) راجع: كتاب المحبر ص ١٢٣ وعن أسد الغابة ج ٣ ص ٣٣٤ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٥ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٦٤ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٢ وعن زاد المعاد ج ١ ص ١١١٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٤٦ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٢.

ناحية، وأمرت صاحبي فكمننا في ناحية أخرى من حاصر القوم، وقلت لهما:
إذا سمعتماني قد كبرت وشدت في ناحية العسكر، فكبرا، وشدا معي.
قال: فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة القوم، أو أن نصيب منهم شيئاً، غشنا
الليل، فذهبت فحمة العشاء، وكان راعيهم قد أبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه.
فقام صاحبهم رفاعه بن قيس، أو قيس بن رفاعه. فأخذ سيفه، فجعله في
عنقه، ثم قال: والله لأتبعن أثر راعينا هذا، فلقد أصابه شر.
فقال بعض من معه: نحن نكفيك فلا تذهب.
فقال: والله لا يذهب إلا أنا.
فقالوا: ونحن معك.

قال: والله لا يتبعني أحد منكم. وخرج حتى مر بي، فلما أمكنني نفحته
بسهم، فوضعتة في فؤاده، فوالله ما تكلم، ووثبت إليه، فاحتزرت رأسه،
وشدت في ناحية العسكر، وكبرت، وشد صاحباي وكبرا.
فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه: عندك، عندك. بكل ما قدروا عليه من
نسائهم وأبنائهم، وما خف معهم من أموالهم، واستقنا إيلاً عظيمة، وغنماً
كثيرة^(١).
ثم ذكر أنه جاء بالغنيمة إلى رسول الله فأعانه «صلى الله عليه وآله»،
منها بثلاثة عشر بعيراً.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٦ والسيرة الحلبية ج ٣
ص ١٩٤ وعن البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٥٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤
ص ١٠٤٦ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٧
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٢ وعن زاد المعاد ج ١ ص ١١١٩.

ونقول:

إن أكثر المفردات التي وردت في هذه السرية قد جاءت في غير السياق الطبيعي، فلاحظ على سبيل المثال ما يلي:

١ - إن راوي هذه الأحداث هو ابن أبي حدرد نفسه، وهو يدعي أنه حقق بطولات نادرة، من شأنها أن تصبح حديث النوادي، للحاضر، وللبادي، وأن يحتفي الناس ببطلها وبمساعديه، ويصبح الرجل المقدم على الأقران، وأن نسمع الثناء عليه وعليهم من كل شفة ولسان، حتى من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في ذلك الوقت، وفي كل عصر وزمان.. ولكن كل ذلك لم يكن..

٢ - إذا كان هناك جمع عظيم مجموع، ومستعد لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد هزمه ثلاثة أشخاص فقط، فإن المتوقع من هذا الجمع العظيم، أن يعيد الكرة على مهاجميه، بعد أن يعود إليه صوابه، وأن يلاحق الذين استاقوا الأبل والشاء، وأن يراقب حركتهم، ويسعى إلى الانتقام لنفسه، ويستعيد كرامته، ويستنقذ شرفه.

ولكن كل ذلك لم يكن أيضاً.

٣ - إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما أرسل ابن أبي حدرد ورفيقه في مهمة محددة، وهي أن يأتوا من رفاعه بن قيس بخبر، فما معنى أن يشنوا الغارة عليه، ويقتلوه، ولم يأمرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك..

٤ - ما معنى أن يعطيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مهمتهم تلك التي تحتاج إلى النشاط والحركة السريعة، لكونها مهمة استطلاع شارباً

واحدًا؟. ثم أن تكون هذه الشارف عجفاء، أي لم تستطع أن تقوم بواحد منهم لشدة ضعفها^(١).

٥ - لماذا أصر رفاعه على الخروج في طلب الراعي، ولم يوكل ذلك إلى بعض قومه؟! ثم لماذا أصر أن يكون وحده؟! فهل كان غاضباً من قومه، لائماً لهم على تقصيرهم؟!.

أم أن على الرئيس أن يتولى أمر تفقد رعاته، وأن يبحث عنهم بنفسه؟! ٦ - لماذا حمل رأس قيس بن رفاعه معه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وهل جرت عادة السرايا أن يأتوا برؤوس الناس إليه «صلى الله عليه وآله»؟!.

وما الذي قاله له رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك؟! هل قبله منه؟ أم اعترض عليه؟! أم سكت عنه?!.

٧ - من هو الذي جمع هذا الجمع العظيم؟! هل هو قيس بن رفاعه؟ أم هو رفاعه بن قيس؟!..

وهل يكون مثلاً من يستطيع أن يجمع هذا الجمع نكرة ومجهولاً إلى هذا الحد؟!.

٨ - لماذا لم يذكر الرواة لنا عن هؤلاء الذين جمعهم رفاعه بن قيس شيئاً، فلم تعرف قبائلهم، ولا عرفنا أحداً من الشخصيات التي كانت

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٤ وعن البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٥٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٤٦ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٥.

معهم، أو في جملة قياداتهم..

٩ - قد ذكروا: أن ابن أبي حدرد زعم: أنه طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعينه في مهر زوجته، فأرسله في هذه السرية، وأعانه «صلى الله عليه وآله» بثلاثة عشر بعيراً في صداق زوجته^(١).

ثم ذكروا: أنه حين طلب منه «صلى الله عليه وآله» المعونة في ذلك: أرسله مع أبي قتادة في سرية فحصل على ما أراد، فقد روي عن ابن أبي حدرد نفسه أنه قال:

«لما طلبت منه «صلى الله عليه وآله» الإعانة في مهر زوجتي. قال لي: ما وافقت عندنا شيئاً أعينك به، ولكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سرية، فهل لك أن تخرج فيها».

ثم ذكر خروجه معهم، وأنه قتل ذلك الرجل الذي صار يتهم به، وأنه رأى في السبي امرأة كأنها ظبي، تبين له أنها هي صاحبة ذلك الرجل الذي كان قد قتله، فراجع^(٢).

ويلاحظ: أن ثمة تشابهاً في مقدار الغنيمة، بين هذه السرية والسرية التي قبلها، فحصته كانت في كل واحدة منها ثلاثة عشر بعيراً.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٤ والمستدرک للحاکم ج ٢ ص ١٧٨ والسنن الکبری ج ٧ ص ٢٣٥ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٨٢ وعن المصنف لابن أبي شيبه ج ٣ ص ٣١٩ وبغية الباحث ص ١٥٨ والمعجم الكبير ج ٢٢ ص ٣٥٢ وعن فيض القدير ج ٥ ص ٤٢١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣١٠ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ١٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨٥.

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر:

وكانت سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر، ليرصدوا عيراً لقريش^(١). في شهر رجب في السنة الثامنة للهجرة، وذلك بعد أن نكثت قريش العهد وقبل الفتح^(٢).

قال بعضهم: وكان النكث - كما زعم هؤلاء - في شهر رمضان^(٣). ولعل الأمر قد اشتبه عليه، فإن الفتح كان في شهر رمضان، أما النكث فكان قبل ذلك.

ولعله أراد أن يكتب أن الفتح كان في شهر رمضان، فكتب بدل ذلك، أن النكث كان فيه.

وعند ابن سعد: أن هذه السرية كانت في سنة ست أو قبلها، قبل الحديبية^(٤).

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٤ و ٣١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢٢ وعن صحيح البخاري (ط دار العامرة - إستانبول) ج ٦ ص ٢٢٤ وعن صحيح مسلم ج ٦ ص ٦٢ ومسند الحميدي ج ٢ ص ٥٢١ ومسند أبي يعلى ج ٢ ص ٤٥٧ وصحيح ابن حبان ج ١٢ ص ٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٦ والبحار ج ٢١ ص ٦٤.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٣ وتاج العروس ج ٥ ص ١٢٥.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ عن ابن العراقي في شرح التقريب.

(٤) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٩ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٤ و ١٧٥ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٦١.

وعلى كل حال، فقد قالوا: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا عبيدة بن الجراح في سرية فيها المهاجرون والأنصار، وهم ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر، إلى حي من جهينة، فأصابهم جوع شديد، فأمر أبو عبيدة بالزاد فجمع حتى إنهم كانوا ليققسمون التمرة.

فقليل لجابر: فما يغني ثلث تمرة.

قال: لقد وجدوا فقدوها.

قال: ولم تكن معهم حمولة. إنما كانوا على أقدامهم، وأباعر يحملون عليها زادهم. فأكلوا الخبط، حتى إن شفق أحدهم بمنزلة مشفر البعير العضة. فمكثنا على ذلك حتى قال قائلهم: لو لقينا عدواً ما كان بنا من حركة إليه. لما بالناس من الجهد.

فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تماً بجزر. يوفيني الجزر ههنا، وأوفيه التمر بالمدينة؟

فجعل عمر يقول: واعجباه لهذا الغلام، لا مال له، يدان في مال غيره. فوجد رجلاً من جهينة، فقال قيس بن سعد: بعني جزراً وأوفيك سقة من تمر بالمدينة.

قال الجهني: والله ما أعرفك. ومن أنت.

قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم.

قال الجهني: ما أعرفني بنسبك. أما إن بيني وبين سعد خلة، سيد أهل يثرب.

فابتاع منهم خمس جزر، كل جزور بوسقين من تمر. يشرط عليه البدوي تمر ذخيرة مصلبة من تمر آل دليم.

قال: يقول قيس: نعم.
قال الجهنني: فأشهد لي.
فأشهد له نفرًا من الأنصار، ومعهم نفر من المهاجرين.
قال قيس: أشهد من تحب.
فكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب، فقال عمر: لا أشهد! هذا يدان ولا مال له. إنما المال لأبيه.
قال الجهنني: والله، ما كان سعد ليخني بابه في سقّة من تمر! وأرى وجهًا حسنًا، وفعالًا شريفًا.
فكان بين عمر وبين قيس كلام حتى أغلظ له قيس الكلام.
وأخذ قيس الجزر فنحراها لهم في مواطن ثلاثة. كل يوم جزورًا. فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال: تريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟
وقال الواقدي: حدثني محمد بن يحيى بن سهل، عن أبيه، عن رافع بن خديج، قال: أقبل أبو عبيدة بن الجراح ومعه عمر بن الخطاب، فقال: عزمت عليك ألا تنحر؛ أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟
فقال قيس: يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت وهو يقضي دين الناس، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، لا يقضي سقّة من تمر لِقوم مجاهدين في سبيل الله! فكاد أبو عبيدة أن يلين له، ويتركه حتى جعل عمر يقول: اعزم عليه! فعزم عليه، فأبى عليه أن ينحر.
فبقيت جزوران معه، حتى وجد القوم الحوت، فقدم بهما قيس المدينة ظهرًا يتعاقبون عليها.
وبلغ سعد ما كان أصاب القوم من المجاعة، فقال: إن يكن قيس كما

أعرفه فسوف ينحر للقوم.

فلما قدم قيس لقيه سعد، فقال: ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابهم؟

قال: نحرت.

قال: أصبت، انحر.

قال: ثم ماذا؟

قال: ثم نحرت.

قال: أصبت، انحر.

قال: ثم ماذا؟

قال: ثم نحرت.

قال: أصبت، انحر.

قال: ثم ماذا؟

قال: نهيت.

قال: ومن هناك؟

قال: أبو عبيدة بن الجراح أميري.

قال: ولم.

قال: زعم أنه لا مال لي، وإنما المال لأبيك.

فقلت: أبي يقضي عن الأبعد، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، ولا

يصنع هذا بي.

قال: فلك أربع حوائط.

قال: وكتب له بذلك كتاباً.

قال: وأتى بالكتاب إلى أبي عبيدة، فشهد فيه، وأتى عمر فأبى أن يشهد

فيه - وأدنى حائط منها يجذ خمسين وسقاً. وقدم البدوي مع قيس فأوفاه سقته، وحمله، وكساه.

فبلغ النبي «صلى الله عليه وآله» فعل قيس، فقال: إنه في بيت جود^(١).
ثم روى الواقدي عن جابر بن عبد الله: أن البحر ألقى لهم حوتاً مثل
الظرب، فأكل الجيش منه اثنتي عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلع من
أضلاعه فنصب، ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مر تحتها فلم يصبها^(٢).
حدثني ابن أبي ذئب، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: إن كان
الرجل ليجلس في وقب عينه، وإن كان الراكب ليمر بين ضلعين من
أضلاعه على راحلته.

حدثني عبد الله بن الحجازي، عن عمر بن عثمان بن شجاع، قال: لما قدم
الأعرابي على سعد بن عبادة، قال: يا أبا ثابت! والله، ما مثل ابنك صنعت، ولا
تركت بغير مال؛ فابنك سيد من سادات قومه، نهاني الأمير أن أبيعه.
قلت: لم؟

قال: لا مال له! فلما انتسبت إليك عرفته، فتقدمت لما عرفت أنك تسمو
على معالي الأخلاق وجسيمها، وأنت غير مذم بمن لا معرفة له لديك.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٧ - ١٧٨ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧٤
و ١٧٥ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٩٤ ص ٤١٢ -
٤١٥ وسير اعلام النبلاء ج ٣ ص ١٠٥ و ١٠٦.

(٢) راجع: مسند ابن الجعد ص ٣٨٧ وصحيح ابن حبان ج ٢ ص ٦٥ ورياض
الصالحين للنووي ص ٢٨١ وعن نصب الراية ج ٦ ص ٧٠ وعن مسند أحمد ج ٣
ص ٣٠٦ وعن صحيح مسلم ج ٦ ص ٦١.

قال: فأعطى ابنه يومئذ أموالاً عظماً^(١).

رصد عير قريش لا يصح:

ونقول:

قد ذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا عبيدة بن الجراح في ثلاث مائة رجل إلى حي من جهينة في ساحل البحر.

وقيل: ليرصدوا عيراً لقريش.

قال الحلبي: «وعليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة الواقعة في الحديبية، لما تقدم أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يرصد عيراً لقريش إلى الفتح.

وتعدد سرية الخبط بعيد، فلا يقال: يجوز أن تكون سرية الخبط مرتين: مرة قبل الهدنة، ومرة بعدها. ومن ثم حكم على هذا القول: بأنه وهم الخ...»^(٢).

ونضيف إلى ذلك: أن رصد العير، إن كان لأجل مهاجمتها وأخذها، كان ذلك نقضاً للهدنة، ولا يقدم النبي «صلى الله عليه وآله» على ذلك أبداً. وإن كان لمجرد الاستعلام عن مسيرها، وعن حالاتها، فيرد سؤال عن الفائدة في الحصول على هذه المعلومات.

وسؤال آخر عن سبب تجهيز ثلاث مائة رجل لمجرد مهمة رصد،

(١) المغازي للواقدي ص ٧٧٤ - ٧٧٧ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٢ و ١٩٣

وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٨ وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الكتب العلمية) ج ٥٢ ص ٢٧٠.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩١.

يكفي فيها أقل من عشر هذا العدد.

وسؤال ثالث يفرض نفسه هنا، عن سبب امتداد إقامة ثلاث مائة شخص ما يقارب الشهرين في تلك المنطقة النائية.

وسؤال رابع عن سبب قصور أزوادهم عن أن تكفيهم في هذه المدة التي يحتاجون إليها لتحقيق مراد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنجاز المهمة الموكلة إليهم..

ثم أن نسأل أخيراً.. إذا كانت المهمة قتالية، لمن كان في ساحل البحر من جهينة، فإن كانوا قد أنجزوها فور وصولهم، فلماذا لم يرجعوا إلى بلادهم مباشرة؟

ولماذا امتدت إقامتهم إلى حين نفدت أزوادهم حتى أكلوا الخبط؟ ثم إلى حين أكلوا شهراً من تلك الدابة البحرية.

وإن كانت تلك المهمة لم تنجز، ولم يباشروا القتال الذي أمروا بمباشرة، فلا بد أن نسأل عن سبب ذلك.

على أن الأغرب من ذلك كله.. أن سرية تمتد تحتاج إلى حوالي شهرين لإنجاز مهمتها، وفيها ثلاث مائة مقاتل، لا يذكر لنا التاريخ أي شيء عما جرى لها، وعن أي شيء من إنجازاتها..

فلا ندري هل حققت نصراً، أم منيت بهزيمة.. وإن كانت قد ظفرت بالعدو، فكم قتلت منهم؟ وكم أسرت؟ وما هي الغنائم التي حصلت عليها؟ وإذا كان ثلاثة أشخاص، أو أربعة عشر شخصاً أو نحو ذلك يحققون الإنجازات الكثيرة في سرايا أخرى، فلماذا لم يستطع هذا العدد الكبير هنا تحقيق أي شيء رغم هذه الكثرة؟!!

هدف السرية:

وروي عن جابر أنه قال: إن سبب بعث هذه السرية هو «طلب عير لقريش، وترصدها. فأقمنا على الساحل حتى فني زادنا، وأكلنا الخبط حتى تقرحت أشداقنا، ثم إن البحر ألقى إلينا دابة، يقال لها: العنبر، فأكلنا منها نصف شهر حتى صحت أجسامنا»^(١).

ونقول:

إننا لا ندري ما معنى أن يرسل «صلى الله عليه وآله» ثلاث مائة رجل في طلب عير لقريش مع أنه يكفي لأخذ العير ما هو أقل من هذا العدد بكثير.. إلا إذا فرض: أن قريشاً كانت تجهز مئات المقاتلين لحماية قوافلها الاقتصادية.

وإن كان المطلوب كما صرحت به الرواية هو مجرد ترصد تلك البعير، وليس المطلوب القتال فإن هذا العدد الكبير لا يناسب حالة الترصد والاستطلاع، لأنه عدد لا يمكن إخفاؤه لمدة طويلة.. بل هو سوف يطير خبره في كل اتجاه، وسوف يتحاشى الناس من الاقتراب منه.. وفرض توزعهم في الشعاب والجبال ليقوموا بمهمة الرصد، لا يمنع من افتضاح أمرهم مع طول المدة التي تحتاجها مهمة الرصد هذه.. إلا إن كان الهدف

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ وراجع: مسند الحميدي ج ٢ ص ٥٢١ و ٥٢٢ وصحيح ابن حبان ج ١٢ ص ٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢٢ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٥ وعن صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٣٣ وعن صحيح مسلم ج ٦ ص ٦١ و ٦٢.

من هذه السرية هو الضغط على قريش من الناحية النفسية، وإيجاد حالة من الخشية والترقب، وعدم الاستقرار لديها..

على أن من غير المعقول: في سرية بهذا الحجم، وتحتاج في إنجاز مهمتها إلى وقت طويل، أن لا تحمل معها من القوات ما يكفيها طيلة إقامتها إلا أن يكون اعتمادها على الغارة والسلب، وهذا ما لا يقرهم عليه دينهم وخلقهم، ولا يقبله وجدانهم ولا يرضاه منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما أشرنا إليه أكثر من مرة.

عقلاء.. أم حساد؟!

إن سعد بن عبادة كان رئيس الخزرج، وكان من بيت شرف وأريحية وإباء.. وكان قيس نفسه معروفاً بالجود والكرم أيضاً..

ولسنا نشك في أن سعداً لا يخذل ولده في موقف كهذا، بل هو يسر ويفتخر ويتباهى به. وقد قال ذلك الرجل - بائع التمر - نفسه: والله، ما كان سعد ليخني بابنه في سقة من تمر.

ولكن اللافت: هو هذا الموقف الحاد الذي اتخذته عمر بن الخطاب، الذي كان يكفي أن يسدي النصيحة لقيس فيما بينه وبينه. وأما تقبيح عمله على رؤوس الأشهاد، ثم التشكيك بوفاء أبيه له، فلا يرضاه أحد لاسيما وانه يستبطن انتقاصاً من سعد ومن قيس على حد سواء..

ولا نريد أن نفسح المجال لخيالنا ليلحق دوافع هذا الموقف الحاد، فنفترض تارة أن الهدف هو صلاح قيس، وحفظ أموال سعد عن الإهدار والتبذير..

ثم نناقش في ذلك: بأن هذا ليس من التبذير ولا الإهدار، بل هو مال تحفظ به النفوس، وتصان به الأرواح. وإن لم تسخ به نفس سعد بن عباد، ولم يف بذمة ولده، فلا شك في أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الذي سيتولى هذا الوفاء، ولو من بيت مال المسلمين.

وسيكون «صلى الله عليه وآله» شاكراً لقيس، مغتبطاً بما صنع، لأنه حفظ جيش المسلمين من الضياع، وإبعاد الأذى والمتاعب عنه، حتى لو كانت في أدنى حالاتها أمر محبوب ومطلوب لله تعالى، ولرسوله، ولكل عاقل أريب.. وقد كنا نتوقع أن يبادر عمر نفسه، أو أمير السرية والمسؤول عن حفظها - وهو أبو عبيدة - إلى نفس ما فعله قيس. ولكن الأمور سارت على عكس ما توقعناه، فهما لم يفعلوا شيئاً، كما أنهما قد اتفقا على منع غيرهما من فعل أي شيء من ذلك.

وقد زاد الطين بلة، أن عمر بن الخطاب أبى أن يشهد ليس فقط لم يشهد على صفقة قيس مع ذلك الأعرابي على الجزائر التي أخذها ليطعم الجيش، وإنما هو لم يشهد حتى على الكتاب الذي كتبه سعد لولده بالحوائط الأربع، مكافأة له على ما فعل حسبما تقدم.

فهل كان ذلك من حسد اعترى هذا، أو ذاك، أو كليهما؟ أم كان قصر نظر، وعجز عن إدراك هذا الأمر الظاهر البداهة؟ أم أنهم لا يريدون لقيس المعروف بولائه لعلي «عليه السلام» أن يذكر بفضيلة أو مكرمة؟ لا ندري ولعل الفطن الذكي يدري.

عدد الجزائر:

قال البخاري: نحر لهم تسع جزائر، كل يوم ثلاثاً^(١).
وقيل: نحر لهم ستة جزائر، كل يوم ثلاثاً ثم نهاه أبو عبيدة^(٢).
لكن الحلبي يقول: بل نحر ثلاث جزائر، ثم أيد ذلك بما تقدم عن
الواقدي، من أنه بقي معه جزوران قدم بهما إلى المدينة.
ونقول:

لا ندرى كيف أيد القول بأنه نحر لهم ثلاث جزائر من قولهم: إنه بقي

-
- (١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٢ و (ط دار الفكر) ج ٣ ص ٢٠١ وراجع: المصنف للصنعاني ج ٤ ص ٥٠٨ ومسند الحميدي ج ٢ ص ٥٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٧ والسنن الكبرى للبيهقي (ط دار الفكر) ج ١٤ ص ١٥٠ وصحيح البخاري (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٤٠٧ وعن صحيح مسلم (ط دار الكتب العلمية) ج ١٣ ص ٧٤ (٤٩٥٦) و سنن النسائي ج ٧ ص ٢٧٣ والسنن الكبرى للنسائي (ط دار الكتب العلمية) ج ٣ ص ١٦٤ واللؤلؤ والمرجان ج ١ ص ٦٢٠ وفتح الباري (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٤٠٧ وشرح الزرقاني ج ٤ ص ٢٩٦ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٣ والبداية والنهاية (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٦ وزاد المعاد ج ١ ص ١١٤٢
- (٢) راجع: البحار ج ٢١ ص ٦٤ عن الكازروني في المنتقى في مولد المصطفى وراجع: وصحيح البخاري (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١١ ص ٣٩ وفتح الباري (ط دار الفكر) ج ١١ ص ٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٧ والسنن الكبرى للبيهقي (ط دار الفكر) ج ١٤ ص ١٥٦ وعمدة القاري ج ٢١ ص ١٠٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٢ ص ٢٧٠.

معهم جزوران.. فلماذا لا ينحر لهم تسعة، ويبقى معه جزوران، فإن المفروض هو: أنه أطعم الجيش ثلاثة أيام..

وإذا كان عدد الجيش ثلاث مائة رجل، فمن المعلوم: أن الجزور الواحد إنما يكفي مائة رجل.. كما ظهر في غزوة بدر، حيث كشف النبي «صلى الله عليه وآله» عدد جيش المشركين من ذبحهم يوماً تسعاً، ويوماً عشراً، فكان الجيش ما بين تسع مائة إلى ألف.. فهل أطعم قيس في كل يوم مائة رجل فقط، وأبقى مائتين بلا طعام؟!

مبالغات لا مبرر لها:

وقد أفاضوا ما شاءت لهم قرائعهم في وصف دابة العنبر، وبيان ضخامتها، وعظم خلقتها حتى قالوا: «فرغ لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه، فإذا هو دابة تدعى العنبر، فأقمنا عليها شهراً، ونحن ثلاثمائة حتى سمنا».

ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه بالقلال الدهن، ونقتطع منه القدر كالثور.

ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينها، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعير معنا، ثم ركب أطول رجل منا (وهو قيس بن سعد) فجاز من تحتها، وتزودنا من لحمه الوسائق. فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فذكرنا ذلك له فقال: هو رزق أخرجه الله تعالى لكم.

فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟

فأرسلنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منه فأكله»^(١).

ونقول:

إننا نشك في كثير مما ذكروه هنا.. وذلك لما يلي:

هل للعنبر فلس؟!

إن أول سؤال يرد على الأذهان هو:

هل صحيح أن لحم هذه الدابة العظيمة مما يحل أكله؟! من حيث أن لها فلساً يكون علامة على ذلك، أو ليس لها فلس، فتكون حراماً. كما هو مذهب أهل الحق..

مقدار وقب عينها:

ثم إن هناك تناقضات حتى في مبالغاتهم، فبينما يظهر من بعضها أن شخصاً واحداً قد جلس في وقب عينها نجد نصاً آخر يقول: إن أبا عبيدة قد أجلس في وقب عينها، ثلاثة عشر رجلاً!!
فأي ذلك هو الصحيح؟!

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٢ و ١٩٣ والمحلّى ج ٧ ص ٣٩٥ وعن مسند أحمد ج ٣ ص ٣١٢ وعن صحيح مسلم ج ٦ ص ٦١ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٦ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٨٦ ومسند ابن الجعد ص ٣٨٧ ورياض الصالحين للنووي ص ٢٨١ والجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣١٩ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٠٥.

الأعجوبة التي لم يهتم لها أحد!!

إن هذه الدابة إذا كانت بهذا الوصف فهي أعجوبة الدهر، فلماذا لم يقصدها الناس للتفرج على حجم أضلاعها من جميع البلاد؟ ولماذا لم يحتفظ أحد منهم بوقب عينها؟! أو بضلع من أضلاعها، ليفاخر به؟!

لا نظير لهذه الدابة في المحيطات:

وإذا كان هذا هو حجم وقب عينها، وارتفاع أضلاعها، فإن طولها لابد أن يكون مئة متر، أو أكثر بكثير. فهل وجد في محيطات هذا العالم حيوان بهذا الحجم؟!

إنهم يقولون: إن أكبر حيوان بحري يعرف في العالم كله، لا يزيد طوله على ثلاثة وثلاثين متراً، ولعل هناك من يحتمل أن يصل طول واحد منها إلى أربعين متراً..

مع أن وقب عين الدابة التي يتحدث هؤلاء عنها يبلغ مساحة غرفة طولها ثلاثة أمتار بعرض ثلاثة، أو أقل بقليل، فإذا أضفنا إلى ذلك مساحة العين الأخرى، ثم المساحة الواقعة بينهما..

فإن مساحة وجه تلك الدابة، ستكون ما بين عشرة أمتار إلى خمسة عشر متراً على أقل تقدير.. فما بالك بطول هذه الدابة التي عبرت عنها الروايات بالكثير الضخم..

هل هذا ميتة؟!

وفي حين يقولون: إنهم حين وجدوا الدابة التي تدعى العنبر، قال أبو

عبدة: ميتة.

ثم قال: اضطررتم إليها، فاكلوا، فأقمنا عليها شهراً ونحن ثلاث مائة حتى سمنا^(١).

ثم يقولون في مناقضة ذلك: «فلما قدمنا المدينة، ذكرنا ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر العنبر، فقال: أخرج الله تعالى لكم، لعل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟!».

فأرسلنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منه فأكله.

أي ولم يكن أروح، بدليل أنه «صلى الله عليه وآله»، قال: لو نعلم أننا ندركه لم يروح لأحبينا لو كان عندنا منه. قال ذلك ازدياداً منه^(٢).

فكيف يكون ميتة أولاً، ولم يحل لهم إلا لأنهم اضطروا إليه، ثم يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأتيه منه بشيء، ثم يأكله وهو لم يكن مضطراً

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٢ ومسند ابن الجعد ص ٣٨٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٢٨ والمحلى ج ٧ ص ٣٩٥ ونيل الأوطار ج ٩ ص ٢٧ وعن مسند أحمد ج ٣ ص ٣١١ وعن صحيح مسلم ج ٦ ص ٦١ والسنن الكبرى ج ٩ ص ٢٥١ وشرح مسلم للنووي ج ١٣ ص ٨٥ وعن فتح الباري ج ٩ ص ٥٠٨ وصحيح ابن حبان ج ١٢ ص ٦٥ ورياض الصالحين للنووي ص ٢٨١ وعن نصب الراية ج ٦ ص ٧٠ والفصول من الأصول للجصاص ج ٤ ص ٤١ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢٢.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٨ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٦٥.

إليه؟!.....

إن لم يكن أروح:

وأما الحديث عن الرائحة، فلست أدري ما أقول فيه!! وكيف يمكن أن يبقى هذا اللحم طيلة ما يقرب من أربعين يوماً، وفي بلاد الحجاز بالذات، التي تمتاز بارتفاع درجات الحرارة فيها، ثم لا تظهر له رائحة كريهة، ولا يعرض عليه ما يوجب التحفظ من الاستفادة منه في الطعام؟! على أن كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو نعلم: أننا ندركه لم يروح لأحبنا الخ..» تشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» كان يتوقع فيه ذلك، وأن القضية في ذلك لا تخضع للمعجزة والكرامة، والتصرف الإلهي، بل هي جارية وفق السنن والأوضاع الطبيعية، فلا مجال لأي ادعاء في غير هذا السياق.

الفصل التاسع:

حنين الجذع.. ومنبر رسول الله

إِتْخَاذُ الْمَنْبَرِ:

وزعموا: أن المنبر قد اتخذ لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في سنة ثمان من الهجرة، فصار «صلى الله عليه وآله» يخطب عليه وكان قبل ذلك إذا خطب يقوم ويستند إلى أحد جذوع النخل التي كانت في المسجد، لأنه «صلى الله عليه وآله» قد بنى مسجده مستقوفاً على جذوع النخل.

وقد اختلفوا في كثير من الأمور التي يرتبط بهذا الأمر، مما يمكن أن يعطي صورة غير مرضية عن مدى الخلل في رسمهم لصورة كثير من الوقائع والأحداث، ثم هو يشير إلى مدى الجهد الذي ينبغي أن يبذل للتعرف على الصورة الحقيقية، أو المقاربة لها في كل ملامحها، وسماتها، كبيرة كانت، أو صغيرة، وكمثال على ذلك نشير إلى الاختلافات التالية:

١ - هل صنع المنبر في السنة السابعة، أو الثامنة، أو التاسعة.

٢ - هل صنع المنبر من أثل (شجر)، أو من طرفاء.

٣ - وهل صنعه (باقوم) باني الكعبة لقريش، أو باقوم، أو ميمون، أو رجل رومي، أو صباح، غلام العباس، أو كلاب غلامه، أو مينا، غلام امرأة أنصارية، اسمها: غلاثة.

٤ - وهل هو درجتان ومجلس، كما عن الواقدي.. أو هو ثلاث مراقي،

أو أربع.

٥ - وهل الذي اقترح على رسول الله «صلى الله عليه وآله» صنع المنبر امرأة أنصارية اسمها عائشة أو علاثة، فعمله غلامها باقوم الرومي. أو أن رجلاً سأل «صلى الله عليه وآله» عن ذلك فأجابه إليه^(١).
ونحن نذكر هنا بعض الروايات التي تضمنت شيئاً مما تقدم.

قال الصالحى الشامى:

«وفيها: اتخذ المنبر وحنين الجذع، وهو أول منبر عمل في الإسلام، كما جزم به ابن النجار وغير واحد.

قال الحافظ: وفيه نظر، لما ورد في حديث الإفك في الصحيحين عن عائشة، قالت: فثار الأوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على المنبر، فنزل يخفضهم حتى سكنوا.
فإن حمل على التجوز في ذكر المنبر وإلا فهو أصح مما مضى»^(٢).

(١) راجع هذه الاختلافات في: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٨ و ٦٩ والبحار ج ٢١ ص ٤٧ عن المتقى للكاظمي. وراجع: المصنف للصنعاني ج ٧ ص ٤٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٣٩٣ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٦٩ وعن مسند أحمد ج ٣ ص ٣٠٠ وعن صحيح البخاري ج ١ ص ١١٦ وج ٣ ص ١٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ١١٤ وج ٥ ص ٤٣ وشرح مسلم للنووي ج ٥ ص ٣٤ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٢٨ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٣٣ وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٢٣٨ وعن البداية والنهاية ج ٦ ص ١٤٠ وعمدة القاري ج ٤ ص ١٠١ و ٢١٠ وج ١١ ص ٢١٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٦٩.

لكننا قدمنا في الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب: أن حديث الإفك موهون جداً، وقد تواردت عليه العلل والأسقام من كل جانب ومكان. فلا يصح الإعتماد عليه في رد ما عداه.

هذا.. وقد روي عن سهل بن سعد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرسل إلى علاتة، امرأة قد سماها سهل: أن مري غلامك النجار أن يعمل لي أعواد المنبر أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته، فعملها من طرفاء الغابة.

وفي رواية: فعمل هذه الثلاث درجات، ثم جاء بها، فأرسلته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر بها فوضعت ها هنا^(١).

وعن أبي بن كعب قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريشاً، وكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، هل لك أن تجعل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة، حتى يراك وتسمع الناس خطبتك؟

قال: نعم، فصنع له ثلاث درجات، هي التي أعلى المنبر، فلما صنع وضعه رسول الله «صلى الله عليه وآله» موضعه الذي هو فيه، فكان إذا بدأ الرسول «صلى الله عليه وآله» أن يخطب عليه تجاوز الجذع الذي كان يخطب إليه أولاً.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ١٨٢ و ١٨٣ وج ١٢ ص ٦٩ عن البخاري، ومسلم، والبيهقي وراجع: صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٩٥ وشرح مسلم للنووي ج ٥ ص ٣٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٥٢.

ثم إن الجذع خار حتى تصدّع وانشق، فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما سمع صوت الجذع مسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر، وكان إذا صلى صلى إليه.

فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب، فكان عنده حتى بلى [فأكلته الأرض وعاد رفاتاً]^(١).

وروي عن أنس أنه قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد، فخطب الناس، فجاءه رومي، فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم، فصنع له منبراً له درجان ومقعد على الثالثة، فما قعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» على المنبر خار الجذع^(٢).

وقد تقدم في حديث الإفك: أن بعض الروايات قد صرحت: بأن تميم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٦٩، عن الشافعي، وأحمد، وابن ماجه، وراجع: مستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ٤٢ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ١٣٧ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٨ وفتح الباري (ط دار المعارف) ج ٦ ص ٤٤٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٧ ص ٢٧٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٦ ص ١٣٨ و (ط مكتبة المعارف) ج ٣ ص ١٢٥ وعن دلائل النبوة للبيهقي ج ٦ ص ٦٧ وعن سنن ابن ماجه في إقامة الصلاة ح ١٤١٤ وعمدة القاري (ط دار الفكر) ج ١٦ ص ١١٧ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٦٩ وراجع: سنن الدارمي ج ١ ص ١٩ وصحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ١٤٠ والبحار ج ١٧ ص ١٧٠ وعن البداية والنهاية ج ٦ ص ١٣٩ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣١١.

الداري هو الذي صنع المنبر.

وبعضها يقول: إن غلاماً للعباس اسمه كلاب هو الذي صنع المنبر.
وفي نص آخر: أن غلام العباس الذي صنع المنبر اسمه صباح..
وبملاحظة هذه الروايات كلها يتضح مدى التلاعب والتصرف الذي
نال هذه القضية، التي قد لا يخطر على بال أحد أن تكون مسرحاً للأهواء،
وأن يخبط فيها الرواة خبط عشواء. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.
ونحن بدورنا لا نرى ضرورة لصرف العمر في تحقيق هذا الأمر، فنكتفي
بالإشارة إلى ما يلي:

حنين الجذع:

ويقولون: إن الروايات قد تواترت في أن ذلك الجذع الذي كان يستند
إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قد اضطرب، وسمع له حنين كحنين
الناقة التي انتزع ولدها.
وقد روى هذا الحديث بضعة عشر صحابياً.
وفي رواية أنس: حتى ارتج المسجد لخواره، وكثر بكاء الناس لما رأوا به^(١).
وفي رواية عن أبي بن كعب: أنه تصدع وانشق حتى جاء النبي «صلى

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٩ وراجع في حنين الجذع: البحار ج ١٧ ص ٣٦٥ و
٣٢٦ و ٣٢٧ والخرائج الجرايح ج ١ ص ١٦٥ وعن الشفا بتعريف حقوق
المصطفى ج ١ ص ٣٠٤ وعن عيون الأثر ج ١ ص ٢١٨ وسنن الدارمي ج ١
ص ١٩ وصحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ١٤٠.

الله عليه وآله»، (فاحتضنه أو) فوضع يده عليه فسكن^(١).
لكن في نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعاه إليه، فجاء يخرق
الأرض، ثم أمره فعاد إلى مكانه^(٢).
وفي رواية عنه «صلى الله عليه وآله» قال: هذا بكى لما فقد من الذكر^(٣).

-
- (١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٩ والبحار ج ١٧ ص ٣٦٥ وج ٢١ ص ٤٧
والخراج ج ١ ص ١٦٥ وكتاب المسند للشافعي ص ٦٥ وعن مسند أحمد ج ٥
ص ١٣٧ و ١٣٨ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٨ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٥٤
وكنز العمال ج ١٢ ص ٤١١ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٢ وتاريخ مدينة
دمشق ج ٤ ص ٢٩٢ وعن البداية والنهاية ج ٦ ص ١٣٨ وعن فتح الباري ج ٦
ص ٤٤٤ والشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ٣٠٤ وعن عيون الأثر ج ١
ص ٣١٨ ومصباح الزجاجة ج ١ ص ٢٥٢ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١٨
ص ٢٥٣ وعمدة القاري ج ٦ ص ٢١٤ وج ١٦ ص ١١٧ وسبل الهدى والرشاد
ج ٩ ص ٣٩٤ وج ١٢ ص ٦٩ عن الشافعي، وأحمد، وابن ماجه.
(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٣٥٢
والشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ٣٠٤.
(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٩ والبحار ج ٢١ ص ٤٧ وعن مسند أحمد ج ٣ ص ٣٠٠
والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٣٣ وصحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ١٤٠ وكنز
العمال ج ١١ ص ٣٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٣٩٣ وعن البداية والنهاية
ج ٦ ص ١٤٠ وعن الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ٣٠٤ وعن عيون
الأثر ج ١ ص ٣١٨.

دفن الجذع:

وقالوا: فأمر به النبي «صلى الله عليه وآله» فدفن تحت المنبر^(١).
ولكن روى الراوندي: أن الجذع بقي إلى أن هدم بنو أمية المسجد
فقلعوا الجذع^(٢).

وفي حديث أبي بن كعب: «فكان إذا صلى النبي «صلى الله عليه وآله»
صلى إليه، فلما هدم المسجد وغير أخذ أبي ذلك الجذع، وكان عنده في تلك
الدار إلى أن بلي، وأكلته الأرضة (الأرض)، وعاد رفاتاً»^(٣).

عبرة.. ومناسبة:

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: معاشر المسلمين، هذا الجذع

-
- (١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٩ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١
ص ٣٠٤ وعن عيون الأثر ج ١ ص ٣١٨.
- (٢) البحار ج ١٧ ص ٣٦٥ عن الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٥ ودرر الأخبار ص ١٦٠.
- (٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٩ والبحار ج ١٧ ص ٣٨٠ وج ٢١ ص ٤٧ عن المنتقى
للكازروني، ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٨٠ ومستدرك سفينة البحار ج ٢
ص ٤٢ وكتاب المسند للشافعي ص ٦٥ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ١٣٧ و ١٣٨
وسنن الدارمي ج ١ ص ١٨ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٥٤ وعن فتح الباري ج ٦
ص ٤٤٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤
ص ٣٩٢ و ٣٩٣ وعن البداية والنهاية ج ٦ ص ١٣٨ وعن الشفا بتعريف حقوق
المصطفى ج ١ ص ٣٠٤ وعن عيون الأثر ج ١ ص ٣٢٠ وسبل الهدى والرشاد
ج ١٢ ص ٦٩ عن الشافعي، وأحمد، وابن ماجه.

يحن إلى رسول رب العالمين، ويحزن لبعده عنه.

ففى عباد الله الظالمين أنفسهم من لا يبالي: قرب من رسول الله أم بعد، ولولا أني احتضنت هذا الجذع، ومسحت يدي عليه، ما هداً حنينه إلى يوم القيامة.

وإن من عباد الله وإمائه لمن يحن إلى محمد رسول الله، وإلى علي ولي الله، كحنين هذا الجذع، وحسب المؤمن أن يكون قلبه على موالاة محمد وعلي وأهلما الطيبين منطويًا.

أرأيتم شدة حنين هذا الجذع إلى محمد رسول الله؟ وكيف هداً لما احتضنه محمد رسول الله، ومسح يده عليه؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: والذي بعثني بالحق نبياً، إن حنين خزان الجنان، وحوار عينها، وسائر قصورها ومنازلها إلى من يوالى محمداً وعلياً وأهلما الطيبين، ويبرأ من أعدائهما لأشد من حنين هذا الجذع، الذي رأيتموه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وإن الذي يسكن حنينهم وأنينهم، ما يرد عليهم من صلاة أحدهم معاشر شيعة علي محمد وآله الطيبين، أو صلاة نافلة، أو صوم، أو صدقة. وإن من عظيم ما يسكن حنينهم إلى شيعة محمد وعلي، ما يتصل بهم من إحسانهم إلى إخوانهم المؤمنين، ومعونتهم لهم على دهرهم.

يقول أهل الجنان بعضهم لبعض: لا تستعجلوا صاحبكم، فما يبطئ عنكم إلا للزيادة في الدرجات العاليات في هذه الجنان، بإسداء المعروف إلى إخوانه المؤمنين.

وأعظم من ذلك مما يسكن حنين سكان الجنان وحوورها إلى شيعتنا ما يعرفهم الله من صبر شيعتنا على التقية، واستعمالهم التورية، ليسلموا من كفره عباد الله وفسقتهم، فحينئذ تقول خزان الجنان وحوورها: لنصبرن على شوقنا إليهم كما يصبرون على سماع المكروه في ساداتهم وأئمتهم، وكما يتجرعون الغيظ، ويسكتون عن إظهار الحق لما يشاهدون من ظلم من لا يقدرعون على دفع مضرته.

فعند ذلك يناديهم ربنا عز وجل: يا سكان جناتي، ويا خزان رحمتي، ما لبخل آخرت عنكم أزواجكم وساداتكم، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي، بمواساتهم إخوانهم المؤمنين، والأخذ بأيدي الملهوفين، والتنفيس عن المكرويين، وبالصبر على التقية من الفاسقين الكافرين، حتى إذا استكملوا أجزل كراماتي، نقلتهم إليكم على أسر الأحوال وأغبطها، فأبشروا. فعند ذلك يسكن حنينهم وأنينهم^(١).

التبرك بمنبر رسول الله :

وفي حديث عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام» في بيان آداب زيارة النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «إذا فرغت من الدعاء عند القبر، فأنت المنبر، وامسح بيدك، وخذ برمانيته، وهما السفلاوات، وامسح عينيك، ووجهك به، فإنه يقال: إنه شفاء للعين. وقم عنده فاحمد الله، واثني عليه، وسل حاجتك، فإن رسول الله «صلى

(١) البحار ج ١٧ ص ٣٢٧ و ٣٢٨ ج ٦٢ ص ٣٣ و ٣٤ ج ٦٨ ص ٣٣ ج ٨ ص ١٦٣ و ١٦٤ عن التفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص ١٨٨ - ١٩٠.

الله عليه وآله» قال: ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة، وإن منبري على ترعة من ترع الجنة، وقوائم المنبر رتب في الجنة».

والترعة: هي الباب الصغير^(١).

وقد أشرنا أكثر من مرة إلى مشروعية التبرك والاستشفاء بآثار الأنبياء «عليهم السلام»، وأن ما يدَّعيه بعض الجهلة من حرمة ذلك، لا أساس له في دين الإسلام.

ويمكن مراجعة كتاب: «التبرك بآثار الأنبياء والصالحين» للعلامة الشيخ الأحمد الميانجي «رحمه الله».. ففيه ما ينقع الغلة، ويشفي الغليل..

إنزل عن منبر أبي:

ومما يناسب ذكره هنا: موقف هام جداً للإمام الحسن «عليه السلام» في مقابل أبي بكر، حيث جاء إليه يوماً وهو يخطب على المنبر، فقال له: نزل عن منبر أبي.

فأجابه أبو بكر: صدقت. والله، إنه لمنبر أبيك، لا منبر أبي.

(١) البحار ج ٩٧ ص ١٥١ عن كامل الزيارات، وسفينة البحار ج ٨ ص ١٧٢ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٥٦٨ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧٧ والوسائل (ط) مؤسسة آل البيت ج ١٤ ص ٣٤٥ و (ط دار الإسلامية) ج ١٠ ص ٢٧٠ ومستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٥٢٧ والمزار لابن المشهدي ص ٧٦ ومستدرك الوسائل ج ١٠ ص ١٩٥ ومنتقى الجمان ج ٣ ص ٤٦٥ والكافي ج ٤ ص ٥٥٣ وجواهر الكلام ج ٢٠ ص ٨٤ والحدائق الناضرة ج ١٧ ص ٤١٥ ومدارك الأحكام ج ٨ ص ٤٧١.

فبعث علي «عليه السلام» إلى أبي بكر: إنّه غلام حدث، وإنّا لم نأمره.
فقال أبو بكر: إنا لم نتهمك^(١).

وليتأمل قوله «عليه السلام»: إنّا لم نأمره، فإنه لا يتضمن إنكاراً على الإمام الحسن «عليه السلام»، ولا إدانة لموقفه.

ولقد صدق أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه؛ فلم يكن الإمام الحسن «عليه السلام» يحتاج إلى أمر، فلقد أدرك خطة الخصوم بما آتاه الله من فضله، وبإحساسه المرفف، وفكره الثاقب. وهو الذي عايش الأحداث عن كثب، بل كان في صميمها.

وإذن.. فمن الطبيعي أن يدرك: أن عليه مسؤولية العمل على إفشال تلك الخطة، وإبقاء حق أهل البيت «عليهم السلام» وقضيتهم على حيويتها

(١) راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨٠ و ١٤٣ وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٤١ عن أبي نعيم وغيره، وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٢٦ و ٢٧ بسند صحيح عندهم، والصواعق المحرقة ص ١٧٥ عن الدارقطني، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٤٠ عن فضائل السمعي، وأبي السعادات، وتاريخ الخطيب، وسيرة الأئمة الاثني عشر ج ١ ص ٥٢٩ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص ١٢٣ عن الدارقطني، وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٤٢ و ٤٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٩٣ وينايع المودة ص ٣٠٦ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٤٩٤ عن الكنز، وأبي سعد، وأبي نعيم، والجلابي في جزئه، والغدير ج ٧ ص ١٢٦ عن السيوطي، وعن الرياض النضرة ج ١ ص ١٣٩ وعن كنز العمال ج ٣ ص ١٣٢ و حياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشي البحار ج ١ ص ٨٤ عن بعض من تقدم، والإتحاف بحب الأشراف ص ٢٣.

في ضمير ووجدان الأمة.

وكان علي وصي النبي «صلى الله عليه وآله» يحتاط للأمر، حتى لا تحدث تشنجات حادة، ليس من مصلحة القضية، ولا من مصلحة الإسلام المساهمة في حدوثها في تلك الظروف.

والإمام الحسين × أيضاً:

ولا عجب إذا رأينا للإمام السبط الشهيد الحسين «عليه السلام» موقفاً مماثلاً تماماً لموقف أخيه مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.. ونجد: أن عمر قد أخذه إلى بيته، وحاول تقريره: إن كان أبوه أمره بهذا، أو لا. فأجابه عن ذلك بالنفي. وبعض الروايات تقول: إنه سأله عن ذلك في نفس ذلك الموقف أيضاً، فنفي ذلك، فقال عمر: منبر أبيك والله، وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا أنتم^(١).

(١) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٤٥ والإصابة ج ١ ص ٣٣٣ وقال: سنده صحيح، وأمالى الطوسي ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص ١٢٣ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٩٥ عن كنز العمال ج ٧ ص ١٠٥ عن ابن كثير، وابن عساكر، وابن سعد، وابن راهويه، والخطيب، والصواعق المحرقة ص ١٧٥ عن ابن سعد وغيره، والإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٣ والمنقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٤٠ وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٤١ وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٤٢ وحياة الحسن للقرشي ج ١ ص ٨٤ والإمام الحسن للعلالي ص ٣٠٥ عن الإصابة، وصححه، وينابيع المودة ص ١٦٨ وتذكرة الخواص ٢٣٥ وسيرة الأئمة =

فأبو بكر لم يكن يرى: أن اتهام أمير المؤمنين في قضية الإمام الحسن
«عليه السلام» من صالحه..

أما عمر، الذي رأى أنه قد أصبح قوياً في الحكم، وقد تكرر الموقف
لصالح غير أهل البيت «عليهم السلام» على الصعيد السياسي..
نعم، إن عمر هذا، يهتم بالتعرف على مصدر هذه الإرهابيات، ليعمل
على القضاء عليها قبل فوات الأوان، ما دام يملك القدرة على ذلك بنظره.
لقد كانت مواقف الحسين «عليهما السلام» هذه تعتبر تحدياً عميقاً
للسلطة، في أدق وأخطر قضية عملت هذه الجهة من أجل حسم الأمور
فيها لصالحها، ورأت أنها قد وفقت في مقاصدها تلك إلى حد بعيد..
فجاءت هذه المواقف لتتهز من الأعماق ما كاد يعتبر، أو قد اعتبر بالفعل من
الثوابت الراسخة.

والحسنان «عليهما السلام» هما ذانك الفرعان من دوحة الإمامة، وغرس
الرسالة، اللذان يفهمان الظروف التي تحيط بهما، وقيّمانها التقييم الصحيح
والسليم، ليتخذوا مواقفهما على أساس أنها وظيفة شرعية، ومسؤولية إلهية.

= الاثني عشر للحسني ج ٢ ص ١٥ وكفاية الطالب ص ٢٢٤ عن مسند أحمد، وابن
سعد وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢٤ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٤٦
وصححه، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٣٦٩ وهامش أنساب
الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ٢٧ عن تاريخ دمشق ج ١٣ ص ١٥ و ١١٠
بعده أسانيد، وترجمة الإمام الحسين من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودي ص ١٤١ و
١٤٢ وفي هامشه عن ابن سعد ج ٨ في ترجمة الإمام الحسين وعن كثر العمال ج ٧
ص ١٠٥ عن ابن راهويه وغيره، والغدير ج ٧ ص ١٢٦ عن ابن عساكر.

أما التكليف الشرعي، والموقف الذي لأبيهما، فهو وإن كان في ظاهره يبدو هنا مختلفاً، إلا أنه ولا شك يخدم نفس الهدف، ويسير في نفس الاتجاه.

أول قود في الإسلام:

قالوا: وفي هذه السنة أقاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلاً من هذيل برجل من بني ليث، وهو أول قود كان في الإسلام^(١).

ومن الواضح: أن هذا القود مهم جداً في توجه الناس نحو الانقياد لأحكام الشرع في أكثر الأمور حساسية وأهمية في حياتهم، وفقاً لقاعدة: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ^(٢)، وقاعدة: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} ^(٣).

فإن من الواضح: أن من يستحل قتل الناس، فإنه يكون قد تجاوز جميع الحدود، وأعفى نفسه من الالتزام بجميع الحقوق، وسمح لنفسه بهتك جميع الحرمات الإنسانية. فلا سبيل إلى عقد أي التزام مع إنسان من هذا القبيل، إذ لا يمكن الاطمينان إليه، بأن يفي بأي عهد أو عقد، أو أن يقف عند أية حرمة إنسانية..

وعلى كل حال، فإن لهذا الموضوع جهات كثيرة من البحث، نسأل الله التوفيق للتعرض لها بالمعالجة في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى..

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٠ وعن أسد الغابة ج ١ ص ٢٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٨٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٥٨.

(٢) الآية ١٧٩ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

١ . الفهرس الإجمالي

الفصل الثاني: معركة مؤتة	٥٠ - ٥
الفصل الثالث: خالد يضيع النصر الأعظم	١٠٦ - ٥١
الفصل الرابع: نهايات ونتائج	١٥٦ - ١٠٧
الفصل الخامس: صورة موهومة لسرية ذات السلاسل	١٩٨ - ١٥٧
الفصل السادس: الصورة الحقيقية لغزوة ذات السلاسل	٢٣٤ - ١٩٩
الفصل السابع: رواية القمي توضح .. بل تصرح	٢٨٠ - ٢٣٥
الفصل الثامن: سرايا حدثت .. إلى فتح مكة ..	٣٢٤ - ٢٨١
الفصل التاسع: حنين الجذع .. ومنبر الرسول ..	٣٤٠ - ٣٢٥
الفهارس	٣٥٥ - ٣٤١

٢ - الفهرس التفصيلي

الفصل الثاني: معركة مؤتة

المسلمون في مؤتة:	٧
المسلمون في مواجهة هرقل:	٨
في المواجهة:	٩
استشهاد القادة:	١١
جراحات جعفر:	١٣
كيفية الجمع بين الروايات:	١٧
طليعة شرحبيل:	١٧
الأرقام عن عدد جيوش العدو:	٢٠
فتجمعوا لهم:	٢٢
إما النصر وإما الشهادة:	٢٢
فخرج على قومه في زينته:	٢٤
إيذاء الحيوان لا يجوز:	٢٦
عقر الفرس أم عرقبها:	٢٧
أول من عرقب فرسه:	٣٢
آخر محاولة للشيطان!!	٣٣
تسقط اليد ويرتفع اللواء:	٣٥

٣٥	الطيار بعد قطع يديه:
٣٦	الطيار أسوة وقدوة:
٣٧	استشهاد جعفر وهو صائم:
٣٨	ذو الجناحين:
٣٩	نظرة في الكرامات:
٤١	استشهاد ابن رواحة:
٤٣	تردد ابن رواحة في النزول:
٤٣	الحرب دامت أياماً:
٤٥	هزيمة خالد:
٤٥	الآن حمي الوطيس:
٤٦	شهداء مؤتة:

الفصل الثالث: خالد يضيع النصر الأعظم

٥٣	الإنحياز، أم النصر والفتح؟!
٥٥	دلائل انتصار خالد:
٦٠	الغنائم دليل النصر:
٦٤	صمود ونصر، أو مجرد انحياز:
٦٥	تهافت بلا مبرر:
٦٧	طريق جمع فاشل:
٦٩	حديث جابر وخزيمة:
٧١	حديث عوف بن مالك:
٧٤	خالد يتحدث عن نفسه!!

٧٥	حديث قتل ابن رافلة:.....
٧٧	إخبار النبي ' عن الشهداء:.....
٧٨	حديث عطف بن خالد:.....
٨٠	حديث برذع:.....
٨٠	حديث أبي عامر:.....
٨٤	إيهام أم إيهام؟!.....
٨٤	هل اصطلاح المسلمون على خالد؟!.....
٨٥	ثبت خالد مقداراً مّا:.....
٨٧	النصر الموهوم:.....
٨٩	المضحك المبكي:.....
٨٩	دلالات في تشويش النصوص وتناقضها:.....
٩٠	خالد سيف الله:.....
٩٦	علي × سيف الله المسلول:.....
٩٨	من الذي سمى خالدًا بسيف الله؟!.....
١٠٠	حديث الهزيمة:.....
١٠٥	رواة حديث الهزيمة:.....
١٠٥	شرذمة لماذا؟!.....

الفصل الرابع: نهايات ونتائج

١٠٩	عدد الشهداء دليل هزيمة خالد:.....
١١٠	المبارزات قللت عدد الشهداء:.....
١١١	لو كان النصر للروم؟!.....

١١٢	أثر مؤتة في فتح مكة:
١١٣	الإخلاص في العمل أشد من العمل:
١١٥	التأكيد على عظمة جعفر:
١١٨	إمتياز جعفر لقرايته!!
١١٩	حرب أخرى في مؤتة:
١٢٠	النبي ' يرى ما جرى في مؤتة:
١٢٦	يا فُرَّار!!:
١٣٠	الرسول ' رؤوف رحيم:
١٣١	هل ظلم الفارون؟!
١٣٣	التخفيف والتلطيف:
١٣٤	لو دخلنا المدينة قتلنا!!
١٣٥	الحر تكفيه الإشارة:
١٣٦	النصر الضائع:
١٣٨	النبي ' .. وعائلة جعفر:
١٤٣	لا تقولي هجراً، ولا تضربي صدرأ:
١٤٤	على مثل جعفر فلتبك البواكي:
١٤٦	مدى حزن النبي ' على جعفر:
١٤٧	النبي ' بدون جعفر وعلي ':
١٤٨	حديث عائشة في بكاء النساء:
١٥٠	أسماء وتعريف الناس بفضل جعفر:
١٥٢	إتحاذ الطعام في أيام العزاء سنة:

١٥٣	زيارة عوائل الشهداء:
١٥٤	شهداء في قبر واحد، وإخفاء القبر:
	الفصل الخامس: صورة موهومة لسرية ذات السلاسل
١٥٩	غزوة ذات السلاسل:
١٦٥	تاريخ غزوة ذات السلاسل:
١٦٦	مقصد السرية:
١٦٦	سراة المهاجرين والأنصار مع عمرو:
١٦٨	علم عمرو بن العاص بالحرب:
١٧٠	ورطة تأمير عمرو على الشيخين:
١٧٦	النبي ' يتألف الناس بعمرو، ويستنفر العرب:
١٧٧	اللواء.. والراية:
١٧٨	سراة المهاجرين والأنصار:
١٧٩	الإختلاف على الصلاة؟ أم على الإمارة؟!
١٨١	المغيرة داعية فتنة ومتزلف:
١٨٣	أخلاق أبي عبيدة:
١٨٤	صلاة الجماعة:
١٨٥	المهاجرون يعترضون مرة أخرى:
١٨٦	التناقض والإختلاف:
١٨٧	غنائم عمرو المكذوبة:
١٨٩	لا تأمرنّ على اثنين:
١٩١	نبايح ذا العباءة؟!

أبو بكر مجبر على الخلافة:	١٩٢
الأجرة على قسمة الجزور:	١٩٤
جنابة، وصلاة:	١٩٦
رواياتهم مزيفة:	١٩٧
الصورة الأوضح والأصح:	١٩٧

الفصل السادس: الصورة الحقيقية لغزوة ذات السلاسل

تتمت أغفلوها عمداً:	٢٠١
نصوص أوجزناها:	٢٠٢
إختلافات لها حل:	٢٠٧
١ - ما هو المقصد؟!	٢٠٨
٢ - المقتولون من الأعداء:	٢٠٨
٣ - المحرض على الاعتراض:	٢٠٩
٤ - محور الاعتراض:	٢٠٩
٥ - من المخبر للنبي ' بجمع الأعداء؟!:	٢١٠
٦ - وقت الإغارة:	٢١٠
٧ - ماذا جرى لأبي بكر وعمرو بن العاص؟!	٢١١
٨ - كيف أوقع علي × بالأعداء؟!	٢١١
٩ - عدد قتلى المشركين:	٢١٢
١٠ - الذين هاجموا المشركين:	٢١٢
١١ - كيف عرف المشركون بجيش علي ×:	٢١٣
١٢ - وادي اليابس أم وادي الرمل:	٢١٤

-
- ٢١٤ هذا هو الحل:
- ٢١٦ إختلافات لا حل لها:
- ٢١٨ ١ - عدد أفراد السرية:
- ٢١٩ ٢ - المقتولون مع أبي بكر:
- ٢١٩ ٣ - اختلاف التاريخ:
- ٢٢٠ ٤ - بعدها عن المدينة:
- ٢٢١ هل هناك أكثر من سرية؟!:
- ٢٢٢ الإغارة قبل الاحتجاج أم بعده؟!:
- ٢٢٤ تحرزوا!! انهزموا!!:
- ٢٢٥ القائد فقط هو السبب:
- ٢٢٦ حسد عمرو أشد من الهزيمة وأضر:
- ٢٢٦ استجابة الشيخين لابن العاص:
- ٢٢٧ أمير المؤمنين × يتهم:
- ٢٢٨ خطة علي ×:
- ٢٢٩ تبييت العدو ليس غدراً:
- ٢٣٠ تسمية الغزوة بذات السلاسل:
- ٢٣١ محابة لعمر؟!:
- ٢٣١ علي × كرار غير فرار:
- ٢٣١ ما جرى في خيبر لم يزل يتكرر:
- ٢٣٢ علي × يُقبِّل قدمي النبي ':
- ٢٣٣ الله ورسوله عنك راضيان:

الفصل السابع: رواية القمي توضح.. بل تصرح

- ٢٣٧..... ذات السلاسل برواية القمي:
- ٢٤١..... وادي اليابس:
- ٢٤٢..... لماذا يعادون علياً × ؟!
- ٢٤٢..... أربعة آلاف:
- ٢٤٣..... تخريب الضياع والديار:
- ٢٤٣..... لماذا هذا السير الرفيق؟!
- ٢٤٤..... الإحسان إلى دوابهم:
- ٢٤٤..... على نفسها جنت براقش:
- ٢٤٥..... السرعة.. والمفاجأة:
- ٢٤٥..... أبو بكر يخوف أصحابه:
- ٢٤٥..... لا نريد إلا محمداً وعلياً!!
- ٢٤٦..... الشاهد يرى ما لا يرى الغائب:
- ٢٤٧..... فارجعوا نعلم رسول الله ':
- ٢٤٩..... عمر أخو أبي بكر، وعلي × أخو النبي ':
- ٢٥٠..... ذنب عمر أعظم:
- ٢٥٠..... الفتح على يد علي ×:
- ٢٥١..... الفتح لعلي × وأصحابه:
- ٢٥٢..... تطمينات علي × لأصحابه:
- ٢٥٣..... علي × أخو النبي ورسوله إليكم:
- ٢٥٤..... علي × لا يحتكر النصر:

٢٥٥	هل خرب علي × ديارهم؟!
٢٥٦	أصول الحرب في سورة العاديات:
٢٦٢	سرية علي × إلى بني خثعم:
٢٦٨	إعتراض ابن عباس:
٢٧٠	عدد جموع الأعداء:
٢٧٢	بكاء رسول الله ' :
٢٧٣	الإحجام غير المفهوم:
٢٧٣	مئة وخمسون فقط:
٢٧٤	الضلال عن الطريق والاهتداء إليها:
٢٧٥	لا يقاتل حتى تطلع الشمس:
٢٧٦	لماذا لا يقاتل إلا بعد الزوال؟!
٢٧٩	إن الإنسان لربه لكنود في من نزلت؟!

الفصل الثامن: سرايا حدثت.. إلى فتح مكة..

٢٨٣	سرية أبي قتادة إلى بطن إضم:
٢٨٦	توضيح لا بد منه:
٢٨٧	هل كان أبو قتادة عالماً بهدف النبي ' :
٢٨٨	نصرت بالرعب:
٢٨٩	ابن جثامة تلفظه الأرض:
٢٩٠	ملاحظة أخيرة:
٢٩١	سرية واحدة أم سريتان؟! :
٢٩٢	سرية أبي قتادة إلى خضرة:

المهور الغالية:	٢٩٧
تبييت العدو:	٢٩٩
الغنائم والأسرى:	٢٩٩
الإحاطة بالحاضر:	٣٠٠
يرى وجه مهاجمه في ظلام الليل:	٣٠١
افتراق الزميلين:	٣٠١
الغنائم تحل المشكلات:	٣٠١
وعد آخر بسبية متوقعة:	٣٠٢
سرية ابن أبي حدرد إلى الغابة:	٣٠٣
سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر:	٣٠٩
رصد غير قریش لا يصح:	٣١٤
هدف السرية:	٣١٦
عقلاء.. أم حساد؟!:	٣١٧
عدد الجزائر:	٣١٩
مبالغات لا مبرر لها:	٣٢٠
هل للعنبر فلس؟!:	٣٢١
مقدار وقب عينها:	٣٢١
الأعجوبة التي لم يهتم لها أحد!!:	٣٢٢
لا نظير لهذه الدابة في المحيطات:	٣٢٢
هل هذا ميتة؟!:	٣٢٢
إن لم يكن أروح:	٣٢٤

الفصل التاسع: حنين الجذع.. ومنبر الرسول

٣٢٧	إتحاذ المنبر:
٣٣١	حنين الجذع:
٣٣٣	دفن الجذع:
٣٣٣	عبرة.. ومناسبة:
٣٣٥	التبرك بمنبر رسول الله
٣٣٦	إنزل عن منبر أبي:
٣٣٨	والإمام الحسين × أيضاً:
٣٤٠	أول قود في الإسلام:

الفهارس:

٣٤١	١ - الفهرس الإجمالي
٣٤٥	٢ - الفهرس التفصيلي